

جذور الثقافة العربية
والتعليم في إريتريا

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

١٢ ش شهاب الدين - مصر الجديدة

ت : ٢٤٨٥٢٠٢ / ٢٥٦٧٦٥٩

رقم الإيداع : ٩٧/٥٢٣٧

الترقيم الدولى : 977-19-3373-6

محمد عثمان ابوبكر

جذور

الثقافة العربية

والنظم

في إفريقيا

تقديم: د. السيد فليفل
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
معهد الدراسات والبحوث الأفريقية

المكتب المصري لتوزيع المطبوعات

الغلاف: تصميم كامل جرافيك

obeikandi.com

إهداء

أهدى هذا الكتاب إلى الذين تركوا بصماتهم من الرعيل الأول فيما قدموه من تراث حضارى وثقافى عن اللغة العربية فى إريتريا إلى الجيل الصاعد أمثال العلامة الجليل إبراهيم المختار أحمد عمر «مفتى الديار الإريترية سابقاً» والأساتذة محمد أحمد سرور ، محمد عثمان حيوتي ، يسن باطوق ، وأحمد حسن حيوتي ، وكوليرى عمر نجاشى ، وحسب الله عبدالرحيم ، وآدم حمد أقدوباى طيب الله ثراهم ، وغيرهم من الذين أسهموا فى هذا المجال الثقافى والفنى لبلدنا الحبيب .

obeikandi.com

تقديم

الأخ محمد عثمان أبو بكر واحد من الشخصيات الإريتيرية الوطنية التي لعبت دوراً مهماً في قيادة وتوجيه الحركة الطلابية الإريتيرية، التي كانت حملت الشعلة الأولى للثورة الإريتيرية، وسعت لتنويره بحقوقه وإثارة فضته على الصعيد العربي، وأزكت حماس أبناء الوطن الإريتيري، ودعتهم لمجابهة ظلم الاحتلال الإثيوبي وسياساته القمعية، كما أرست صلة عراها لا تفصم بين الثورة الإريتيرية وبين العرب والعروبة جميعاً.

وقد اجتهد الأخ محمد عثمان في تقديم الدراسات المتواليات عن الثورة الإريتيرية، ودور الطلاب فيها، كما استعرض تاريخ بلاده، وصلاتها العربية، ووقف دهرًا طويلاً مناضلاً من أجل تأكيد حق إريتريا في الاستقلال، ومن أجل الدفاع عن عروبتهما والتصك بارتباطهما العربي.

وهو في كتابه الذي بين أيدي القارئ الكريم يقدم سرداً تاريخياً يدل به على أصالة الانتماء العربي لإريتريا، وعلى قدم وجوده، وعلى وحدة الأداء الحضاري العربي والإفريقي عبر اتصال محقق ومستمر، وهجرات بشرية متعاقبة، جعلت من البحر الأحمر بحيرة متدفقة بكل ألوان هذا الأداء وذاك الاتصال.

وقد يختلف الباحثون المدققون حول المنهج الذي انتهجه الأستاذ محمد عثمان أبو بكر في دراسته لقضية اللغة العربية في إريتريا، ولقضية التعليم العربي والثقافة العربية في هذا البلد المناضل، وهل كان من الأوفق أن يكون له منهج آخر أم لا، ولكن الباحثين مطالبون بالتماس العذر للرجل، فهو لا يقدم بحثاً بالمفهوم الأكاديمي، ولكنه يطرح قضية يحمل رسالتها، ويمضي بها مدلاً عليها، مستخدماً قدراً من الأداء البحثي التاريخي، مضافاً إليه قدر آخر من عرض بعض إسهامات الباحثين الآخرين الذين تناولوا موضوعات كتابه من قبل، ليقدم بين يدي القارئ الإريتيري - قبل غيره - سجلاً متواصلاً من المعرفة حول جذوره الثقافية، وما تعمق فيها من إسهامات عربية.

وإذا كان السرد التاريخي قد غلب على نصف كتابه الأول، فإن القسم الآخر منه يعد إسهاماً حقيقياً للمؤلف، عرض عبره بشكل رائع لأدبيات الثورة الإريترية، ومواقفها من قضية اللغة العربية. فإذا للدستور الإريترى الأول - قبيل الاتحاد بين إريتريا وإثيوبيا - موقف رائع من تلك القضية، فالعربية لغة رسمية ذات منزلة حضارية ودينية معتبرة، وإذا الإريثريون يؤيدونها جميعاً، كأداة تعبير وطني، ويرفضون في سبيلها - عبر عصرى الحكم الإمبراطورى والماركسى الإثيوبيين - كل سياسات التمهير والهيمنة الثقافية الإثيوبية

ويوغل القارئ في المطالعة فإذا من ثوار إريتريا شعراء فحول، وإذا بقصائدهم في حب الوطن والتضحية في سبيله هي ملاحم شعرية عربية، وإذا التلاحم العربى مع الثوار يبدو جلياً وجليلاً، فإذا الثورة الإريترية - آخر الأمر - فصل من فصائل التحرر العربى، وإذا هي حركة مضادة للاستعمار والعنصرية والصهيونية.

وأوغل شخصياً في القراءة أنتهب الكتاب انتهاباً، وأعجب من مواقف العروبة الإريترية، ما يجعلنى أمتلىء إحساساً بضرورة أن يطالع العرب شعر الثوار الإريثريين، باعتباره شعراً ثورياً ووطنياً إريترياً، بمثل ما هو شعر عربى ينبغى أن يلم به، وأن نللم شتاته، وأن نضيف إلى دواويننا العربية مزيداً من الدواوين، وإلى شعرائنا العرب مزيداً من الأسماء اللامعة الرائعة، والإريترية أيضاً.

وكمؤرخ أجدنى أقف وقفة إعجاب بالشعب الإريترى، مسلميه ومسيحييه، ممن جادوا بأرواحهم في سبيل الحرية، وفي سبيل الانعتاق الوطنى. وأدرك حكمة الزمن، وحكمة الأحداث، وسر النفس الإنسانية في سعيها إلى الخلاص. وأدرك دقة التوازن الإنسانى، بين الارتباط بالآخرين والتواصل معهم، وبين التمايز عنهم حفاظاً على الهوية. ومع وقفة الإعجاب، ومع الإدراك والوعى التاريخيين، أجد أن إريتريا تشهد اليوم نوعاً من التجاهل المتعمد لثراث العروبة والعربية، وهو تجاهل أراه يقف ضد حركة التاريخ، وضد الواقع الحضارى، وضد التيار الثقافى العربى، ولا أرى لهذا التجاهل مصيراً إلا ذات المصير الذى آلت إليه الطغمة العسكرية الإثيوبية، ومن قبلها الطغمة الإمبراطورية الإثيوبية - أغنى مقبرة التاريخ.

وإذا كان محمد عثمان أبو بكر يقف مع حركة التاريخ في إريتريا ، وإذا كان خصومه بالأمس قد استوعبتهم مقبرة التاريخ ، فإن من الواجب أن نسمعه وهو يقيم الوضع العربى فى إريتريا فيقول :

« ان العروبة فى إريتريا لا تكتب ولا تفقد بقرار أو قانون أو تصريح مسؤل ؛ فالعروبة ثقافة ولغة وعادات وتقاليد وإرث حضارى وتاريخى مميز ، وهى تشرىف لكل بلد أو إقليم أو مجتمع فيه ميزات للحضارة والثقافة العربية ، وخاصة فى منطقة القرن الإفريقى » .

ويمضى المطالع لكتاب الأستاذ محمد عثمان أبو بكر فيجد هذه القصيدة ، تغلى بحالة من الثورة فى غضون المواجهات مع القوات الإثيوبية فى منتصف الستيات ، وتغنى عن أى حديث عن وضع العربية لدى الثوار :

أنت فى صدر الزمان قلادة	وعلى جبين الدهر أمجاد تجدد
وعلى الربى والبوادر ملاحم	وفى عتمة المأسى أنغام تردد
قد دوى صوت المهان فيك صاعقاً	وفى ثناك المهين ثموراً توقد
قال : لن أبقي للغاصبين فريسة	ولن تبقى يداى بالقيود تصفد
لا : ولن تستبيح المشانق عزمى	لا القمع يوهن عزمى فأجد
وداعاً لعهد المهانة والشقا	وما الأمجاد إلا بالدماء تشيد
قد كان المخاض عيراً مرعباً	وها هو فجر البطولات تولد
ولأشعلت ملايين الشموع لأمة	يحاصرها دجى المأسى فتصمد
أيا شـعلة الأبطال هاتى لنا	من مصب الكرامة عزماء وسودد
فالدرب ما يزال وعراً شائكاً	وما برح الأفق بالغيوم ملبد
بيد أنا سوف غمضى قدماً	وسهامنا الشهباء للأمام تمدد

وإذا كانت تلكم الأبيات تشي بكل قوة العروبة فى إريتريا، وبكل ملامح الترابط العربى الإفريقى، فإن العرب مطالبون بمزيد من البحث والدراسة، ثم الدعم والتأييد لحملة لواء العربية والعروبة فى كل الامتداد الثقافى العربى فى أفريقيا، ومطالبون أيضا بتداركهم قبل أن تمتد إليهم - عبر البحر الأحمر - أيدى دعاة التشكيك والتضليل من حملة مباخر الصهيونية والشرق أوسطية، ودعاة الإغراق فى العنصرية القائمة على الألوان سواء فى هذا أيضا وأسودها. كما أن الأفارقة مطالبون بمزيد من التمحيص فى تاريخهم، ومزيد من العمل لتفسيره.

إن العروبة وشيجة أخلاقية وحضارية، وهى تقوى بقوة أبنائها، وتضع بضائعهم أو ضالهم.

فأشكر إذا للأستاذ محمد عثمان، راجياً له مزيداً من التقدم فى أعماله الأدبية، والعلمية، متمنياً لإريتريا كل تقدم وازدهار، واثقاً أنها - لو تركت لاختيارها - تصبح عضواً جديداً فى الجامعة العربية. وذلك موضوع نضال آخر.

والله من وراء القصد وهو المستعان.

أ.د. السيد فليفل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة القاهرة

للإفريقية

ية في شرق أفريقيا

د. محمود شهاب رئيس جامعة القاهرة
ضامًا بقاعة المؤتمرات بالعصر



المؤلف يلقي بحث عن جذور الثقافة العربية

أ. د. / محمود فهمي حجازي رئيس دار الكتب القومية المصرية وأ. د. / راجية محمد عفت

اللغة العربية في شرق أفريقيا

رعاية الأستاذ الدكتور مفيد محمود شهاب رئيس جامعة القاهرة
١٩٩٦/١٢/٢١ الساعة التاسعة صباحًا بقاعة المؤتمرات بالعصر



المؤلف في ندوة اللغة في شرق إفريقيا وإلى جواره رئيس قسم اللغات

أ. د. / عبدالله نجيب بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية

obeikandi.com

المقدمة

كثيراً ما قررت أن أكتب عدة مقالات في الصحف والمجلات العربية عن اللغة العربية وتأثيرها في إريتريا، ولكن نظراً لانشغالي بكتابة بعض الكتب التي تتعلق بمنطقة القرن الإفريقي، والتي لم أفرغ من كتابتها حتى الآن؛ جعلني أرجئ هذا الموضوع إلى وقت آخر كان لابد من كتابته في هذا الجانب، وخاصة بعد أن دخلت إريتريا مرحلة تاريخية مهمة • وهي مرحلة انتقالية دخلها شعبنا بعد أن أنجز استقلاله الوطني وأقام كيانه على تراب أرضه بعد أن طرد آخر جندي إثيوبي من على أرض إريتريا في الرابع والعشرين من مايو من عام ١٩٩١ •

ولاشك أن الانتصار الذي تحقق وضعنا جميعاً أمام تحديات جبارة ولا تقبل التريث أو التثريب، وأول تلك التحديات هي معركة البناء التي تنظم عموم البلاد والتي علينا أن نتجه إليها بكلياتنا ونحت في صخور النضال من أجل بناء ما دمرته حرب العقود الطويلة لاكتساب الاستقلال السياسي معناه ومغزاه من خلال بناء الوطن واستكمال كل مؤسساته بصورة تتقاطع ونضال شعبنا وطموحاته وآماله^(١).

ولكن عندما كلفت بكتابة هذا البحث من جانب الأستاذ الدكتور سيد فليغل مدير مركز اللغة للأفارقة، بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، وجدتها فرصة مناسبة لإبراز الجانب الثقافي العربي في إريتريا؛ لأنه موضوع حيوى يستحق الاهتمام والدراسة بطريقة علمية على أساس منهج البحث العلمى الصحيح من الباحثين خاصة أن كل ما كتب عن هذا الجانب بالذات لا يذكر بل معدوم •

(١) محمد عثمان أبو بكر : مذكرة قدمت إلى رئيس وأعضاء مفوضية الدستور الإريتري عام ١٩٩٥ وهي عبارة عن مقترحات وآراء حول الدستور الإريتري الجديد مؤكداً الثوابت الوطنية وعلى رأسها اللغة العربية والتعددية السياسية والتي يجب إقرارها في الدستور

لقد وجدنا، بعد أن نال الشعب الإريتري استقلاله الوطني، بعض الأصوات هنا وهناك تنادى بإبعاد إريتريا عن العروبة لاعتبارات داخلية وخارجية لا مبرر لها • وتتناقض مع نفسها وحقائق التاريخ والمنطق، وهى بذلك تغتر فوق الواقع؛ حيث إنها تعرف جيداً أن التاريخ والجغرافيا والموقع تلعب دوراً كبيراً فى التكوين السكانى للشعب الإريتري •

وإريتريا كما هو معروف بحكم موقعها الجغرافى كانت مسرحاً دائماً لموجات متتالية من الهجرات البشرية، سامية، حامية، زنجية، حتى يمكن أن يقال إن السكان هم مزيج من هذه التزاوجات التاريخية، تطنى على ثقافتهم وملامحهم السمات السامية العربية، إلا أن الانصهار على مدى التاريخ والترابط فى إطار المصالح الاقتصادية المتشابكة جعل منها كلاً لا يتجزأ (١) •

وهذه السمة - سمة التعدد - لا تنفرد بها إريتريا وحدها، فنادراً ما يوجد فى العالم قطر يتكون سكانه من سلالة عصرية واحدة تنتمى إلى جد واحد أو من تجمع لغوى أوحد، وثقافى واحد، فالتجانس فى إطار التعدد سمة مألوفة فى كل أقطار الدنيا، فالشعب الإريتري نتاج للتفاعلات والتزاوج بين الهجرات السامية العربية فى الجزيرة العربية من جهة وبين السكان المحليين من جهة ثانية (٢) • وكانت هذه الخلفية العرقية ذات الأبعاد الثقافية والدينية والاجتماعية هى التى شكلت، فى نهاية الأمر، «الإريتري» المعاصر الذى أكد انتماءه العربى من خلال العديد من المواقف فى العصر الحديث ابتداءً من إقرار اللغة العربية فى البرلمان الإريتري عام ١٩٥٢ كلغة رسمية للبلاد بجانب اللغة التجريدية • وانتهاءً بتقديم مذكرات رسمية من الفصائل الإريتريّة إلى جامعة الدول العربية • إبان النضال الوطنى تطالب بالحصول على «عضوية مراقبة» فى الجامعة العربية • وبين هاتين المرحلتين من عام ١٩٥٢ - ١٩٩٠ أكدت الثورة الإريتريّة فى أكثر من مناسبة وفى أكثر من موقف، ارتباطها بحركة الثورة العربية وتطلعها نحو بناء المجتمع العربى المتحرر والمنطلق من مركزات الحضارة العربية والمنفتح على التجارب الإنسانية والهادف إلى تحرير الإنسان العربى من كافة أشكال القهر والاضطهاد والتخلف •

(١) عثمان صالح سبى : جغرافية إريتريا، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥١

(٢) انظر كتاب تاريخ إريتريا المعاصر أرضاً وشعباً للمزيد من المعرفة حول هذا الموضوع

ومما يؤكد ذلك أن إقرار اللغة العربية فى البرلمان الإريتري ، عام ١٩٥٢ بالرغم من معارضة إثيوبيا وأنصارها وبالرغم من الغياب العربى الكامل فى ذلك الوقت - أن ذلك القرار كان بحق تعبيراً تاريخياً ودليلاً قاطعاً على أن عروبة إريتريا لم « تصدر » إليها من الخارج كما تدعى بعض الأطراف بل نبعت من الداخل وترعرت رغم كل القوى التى حاولت محاربتها • وعندما انطلقت الثورة فى إريتريا فإن برنامج جبهة التحرير الإريترية أكد بدون لبس أو غموض أن « الثورة الإريترية جزء لا يتجزأ من الثورة العربية » •

وقد ترجمت الثورة وجميع الفصائل ذلك فى كافة مجالات نشاطاتها « العسكرية ، والسياسية ، والثقافية ، والتعبئة ، والتعايية » كما أوضحنا فى هذا البحث •

ومجمل القول :

فإن العروبة فى إريتريا لا تكتب ولا تفقد بقرار أو قانون أو تصريح مسئول ؛ فالعروبة ثقافة ولغة وعادات وتقاليـد وإرث حضارى وتاريخى مميز ، وبالتأكيد فإن كل المقومات الحضارية موجودة فى إريتريا شعباً وأرضاً • وحقيقة أن العروبة فى البداية والنهاية تشريف لكل بلد أو إقليم أو مجتمع فيه ميزات للحضارة ، ولثقافة العربية^(١) ؛ وخاصة منطقة القرن الإفريقى وعموم إفريقيا ؛ حيث إن التأثير العربى الإسلامى فى هذه المناطق واضح المعالم مهما حاولت أية قوى داخلية كانت أو خارجية فى إنكار هذه الحقيقة التاريخية التى لا تقبل الجدل الكثير فيها • إننى لا أنكر أن اللغة العربية فى إريتريا فى الوقت الحاضر ليست لغة الشارع فى عموم البلاد ، وهذا له أسبابه وظروفه الخاصة بسبب تعدد اللهجات التى تتميز بها إريتريا من ناحية ومن ناحية أخرى الاستعمار الأوروبى والإثيوبى الذى لعب دوراً كبيراً فى طمس اللغة العربية واللغة التجريدية المحلية ، وفرض بدلاً منها اللغة الأمهرية لأسباب سياسية •

ولكن الشعب الإريتري قاوم بكل ما يملك من الإمكانيات لإبراز كيانه المميز وتاريخه وحضارته الأصيلة ، وفى إريتريا شعب غنى بكل القيم والقوة والعزة ، شعب كتبت عنه العديد من الأقلام العربية والأجنبية فى شموخه وعشرته وعطائه وتضحياته فى سبيل أن

(١) أحمد يوسف الفرعى : جريدة الأهرام ، ٩ مايو ١٩٩٦ ، القاهرة

ينال استقلاله الوطني • ولقد قدم لذلك أكثر من ١٥٠ ألف شهيد وناضل ٣٠ عاماً ، وكانت ثورته تعتبر أطول ثورة فى إفريقيا •

وبالرغم من تلك المعاناة صمد الشعب للحفاظ على تراثه وحضارته وثقافته وما يؤكد ذلك فى فترة نمو الحركة الوطنية التى شهدت البلاد فى فترة حق تقرير المصير •

أخذت اللغة العربية حقها فى الازدهار حيث كانت لغة الثقافة والتفكير والتخاطب بين المسلمين بصفة خاصة ، وذلك بسبب ما توفر للنخبة من الشباب الإريتري من التعليم فى مصر والسودان • وهكذا لعب أجدادنا وأباؤنا دوراً مقدراً للحفاظ على تراثهم الثقافى فى إريتريا • وهذا وضع فى الكشف ، الذى يبين دور الحركة الوطنية فى فترة الأربعينات ، عن مجموعة الصحف والمجلات التى كانت تصدر باللغة العربية • وأين نحن اليوم من هذا النضال العريق •

إن الشعب الإريتري من أكثر التجمعات الإنسانية ارتباطاً بتاريخه ، مهما كان الأمر ؛ فالتقاليد والعادات تساعدنا على استكشاف الماضى وتفهم الحاضر ، والوقوف على تاريخنا القديم ونضالاتنا وبطولاتنا نحتاج منا إلى قراءة صحيحة وجديدة وخاصة بعد انتصارنا ؛ لأن من لا ماضى له لا مستقبل له ^(١) .

وفى هذا البحث حاولت بقدر المستطاع أن أوضح هذه الحقائق التاريخية عن اللغة العربية فى إريتريا بصفة عامة وتأثر اللهجات الإريتريّة بها والتى تشكل وحدته الثقافية حيث يتحدث نحو ٨٠٪ من سكان إريتريا لغتى التجرينية والتجري ، واللغتان تنحدران من لغة جنز السامية التى وفدت إلى إريتريا وهضبة الحبشة مع وافدى حمير وسبأ من اليمن وقبل ثلاثة آلاف سنة • فاللغتان الأساسيتان للقطر هما من جذور لغوية واحدة •

ويتلخص البحث فى سبعة فصول بما فيه الفصل التمهيدي والذى أوجزت فيه الخلفية التاريخية والتأثير الجغرافى ودوره فى تكوين المجتمع الإريتري والهجرة العربية فى مختلف العصور وما نقلته من تراث وحضارة عربية امتزجت بالمؤثرات المحلية والتى تغلب فيه السمة السامية فى البلاد •

(١) محمد عثمان أبو بكر ، مرجع سابق ، ص ١٨١

الفصل الأول : الخلفية التاريخية وحقيقة الصراع فى منطقة القرن الإفريقى •

ويلى بعده **الفصل الثانى** : أتناول فيه اللغة العربية وتأثيرها فى السكان الإريتريين من الطائفتين : مسلمين ومسيحيين ، وأهمية اللغة العربية وتأثيرها منذ غو الحركة الوطنية فى إريتريا عام ١٩٤١ فى فترة حق تقرير المصير • ومن خلال تتبعنا هذه المرحلة المهمة من نضالنا الوطنى ، كيف كانت هذه اللغة تحظى بالاهتمام والعناية من قبل الشعب الإريتري وخاصة الجانب الإسلامى فى تلك الحقبة من الزمن •

و**الفصل الثالث** : يتناول جذور الثقافة العربية فى إريتريا ، والمؤثرات الحضارية واللغوية فى التراث الإريتري الشعبى •

و**الفصل الرابع** : يتناول العلاقة التاريخية بين العرب وإريتريا •

و**الفصل الخامس** : يتناول اللغة العربية من الاحتلال الإثيوبى حتى الثورة الإريتريّة ، وما صدر من كتب عن الثورة الإريتريّة ليس بالقليل ، منها ما صدر عن فصائل الثورة ، والجزء الآخر كتبه أصدقاء الثورة والذين كان لهم اهتمام بما يجرى فى المنطقة بصفة عامة •

القسم الأول ، أى ما أصدرته الثورة كان فى معظمه عبارة عن وثائق تاريخية وقانونية ، ومحاضر الأمم المتحدة عند مناقشة القضية الإريتريّة فى فترة حق تقرير المصير والجزء القليل كان عن « قضايا » محددة ومواضيع تتناول جانباً من جوانب الثورة الإريتريّة • والقسم الثانى أى ما صدر عن الأصدقاء فهو يختلف من شخص إلى آخر ومن جهة إلى أخرى خاصة وأن هؤلاء الأصدقاء كانوا يتناولون مراحل معينة من النضال الإريتري ، وكان تركيزهم بصورة أساسية على الصراع الإريتري الإثيوبى •

و**الفصل السادس** : يتناول الأدب الشعبى الإريتري وتأثره باللغة العربية فى عهد الثورة ؛ لأن الشعب الإريتري شعب رقيق فى عواطفه ، حساس رغم التشرد وظلم المستعمر •• وأن تجربة الثورة فجرت ينباع الإبداع الفنى فى نفوس أعداد كبيرة من الشباب والكهول • وفى فترة الثورة ظهر أدب جديد فى إريتريا وهو أدب الثورة أو الأدب الملتزم بالتغنى بالأرض والإصرار على العودة والتمسك بالوطن والتضحية فى

سبله • فقد بدأت هذه المحاولات فى الستينات أى منذ بداية الثورة ، وكان الأدب يكتب بمختلف اللغات الإريتريّة من لغة عربيّة وتجرينيّة والكثير من اللهجات المحليّة فى الداخل والخارج • وحاولت أن أطعم البحث بعدد من الأمثال والمأثورات الشعبيّة عن الأدب الإريتريّ والذى ليس ببعيد عن الأدب العربيّ •

لقد اعتمدت على عدّة مراجع بما فيها الأبحاث والدراسات التى قدمت فى الندوة الدوليّة للقرن الإفريقى بجامعة القاهرة ، بمعهد البحوث والدراسات الإفريقيّة ، بالإضافة إلى الندوة التى أقامها مركز اللغة العربيّة بالمعهد عن أهميّة اللغة العربيّة فى شرق إفريقيا والتى شاركت فيها مع الكثير من الأساتذة والدكاترة المختصين فى مجال التاريخ واللغات الإفريقيّة • وكان للبحث الذى تقدم به أستاذنا الدكتور رجب محمد عبدالحليم أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم التاريخ بالمعهد عن الخلفيّة التاريخيّة للغة العربيّة فى منطقة شرق إفريقيا والقرن الإفريقى كان بحثاً قيماً من الضرورىّ الاطلاع عليه وخاصة من أبناء منطقة القرن الإفريقى ، كما أن البحث الذى قدمه فى هذا المجال الأستاذ الدكتور عبد الله نجيب محمد رئيس قسم اللغات بالمعهد فى الندوة الدوليّة للقرن الإفريقى حول الصراع الثقافى فى القرن الإفريقى لقد استفدت من هذه الأبحاث جميعها وغيرها من المصادر والمراجع التى انتهت بها والمذكورة فى نهاية الكتاب •

و خلاصة القول :

من هنا جاء اهتمامى بهذا الجانب من البحث ؛ لأنه حديث الساعة وتوقف فيه الوحدة الوطنيّة والتى نحن اليوم قبل الغد فى أمس الحاجة إليها لبناء الغد وأمل المستقبل ، بل والحاضر المشرق وخاصة بعد أن أزاح شعبنا كابوس الاستعمار الذى كان يكتم على أنفاسه ، ويتلاعب بقدراته وخيالاته وأصبح اليوم ينعم بالحرية والاستقلال فى ظل حكومته الوطنيّة ؛ حيث يحكمه أبنائؤه الوطنيون الأحرار •

وفى هذا الصدد قال جمال الدين الأفغانى : « لا حاجة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا أدب لهم ، ولا عز لقوم لا تاريخ لهم ، إذا لم يقم منهم من يحيى رجال تاريخهم فيعمل عملهم وينسج على منوالهم » •

وقال أناتول فرانس : « إن كل أمة نيت أهلها ونبذت قديمها وأنكرت قيمها فالأحرى بها أن تكون أمة ساقطة » (١) .

وحياة الشعوب سلسلة طويلة من الممارسات، وخلال هذه الممارسات تبرز على سطح الحياة اليومية أحداث وتكون هناك مواقف، هذه الأحداث مؤشرات للمستقبل ولها أيضاً دلالات تفسر الحاضر، وتجلو أمام أعين الباحث والمدقق طبيعة المرحلة التي يمر بها المجتمع، والنظرية في حياة الشعوب تقول : تاريخ الأمم وحضارات الشعوب لا يمكن أن نجد فيهما فجوات، إنما نجد دائماً بناءً شامخاً ويرتفع حجراً فوق حجر، ويضيف فيه لبنة جديدة من أجل أن يعلو الصرح ويصبح شامخاً عزيزاً قوياً، فيه بناء حقيقة الإنسان الإريتري قديماً وحديثاً متلهماً من الماضي العبر لبناء المستقبل والمسئولية . وأمام الحكومة الإريترية اليوم مسؤولية كبيرة وتاريخية في الوقت نفسه، ولذلك عليها أن تراعى آمال الشعب وأمانه في الأمور التي تعوق وحدته وخاصة عند صياغة الدستور حتى يكون دستوراً يلائم الإريتريين بمختلف فئاتهم وطوائفهم وثقافتهم وأرائهم السياسية حتى تصل السفينة إلى بر الأمان من أجل البناء والاستقرار والتقدم والازدهار .

وفي الختام تقدمت بهذا البحث لأسهم به في المكتبة الإريترية والعربية واستندت في دراستي في هذا البحث إلى قواعد التاريخ والجغرافيا، وربما علم الاجتماع في بعض جوانبه وبخاصة تلك المعنية بالثقافة واللغة وغيرها من آليات المجتمع ذات الصلة بهذا البحث .

وأختم كلمتي بقوله تعالى :

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق، ص ١٨٢

(٢) القرآن الكريم : سورة الأعراف ، من آية ٨٩

obeikandi.com

الفصل التمهيدي

- ١ - الموقع الجغرافى
- ٢ - العلاقات التاريخية والحضارية بين الجزيرة العربية ومنطقة القرن الإفريقى بوجه عام وإريتريا والحشة بوجه خاص
- ٣ - التأثير الثقافى بين الحشة والجزيرة العربية

الموقع الجغرافى

قبل أن أبدأ حديثى عن تأثير اللغة العربية فى إريتريا إبان الحركة الوطنية فى إريتريا لابد من إعطاء فكرة عن إريتريا وموقعها الجغرافى •

تقع إريتريا على الساحل الغربى للبحر الأحمر المقابل لشبه جزيرة العرب ، ويحدها من الغرب والشمال السودان ومن الجنوب إثيوبيا ومن الجنوب الشرقى جمهورية جيبوتى ويطل لسانها الجنوبى على باب المندب وتشمل ١٢٦ جزيرة أهمها أرخيل دهلك (١) ، أهم موانئها مصوع وعصب • وتمتد الحياة الإقليمية الإريترية طبيعياً حتى تصل إلى منتصف البحر الأحمر نتيجة لانتشار الجزر الإريترية فى هذا الجانب من البحر الأحمر (٢) •

وأكبر هذه الجزر مجموعة دهلك التي يبلغ الأهل بالسكان منها خمسة وعشرين جزيرة • وأهمها من الناحية الاستراتيجية جزيرة فاطمة وحالب اللتان تشرفان على باب المندب أو المدخل الجنوبى للبحر الأحمر الذى يعد أقصر طريق رئيسى للمواصلات البحرية بين الشرق والغرب •

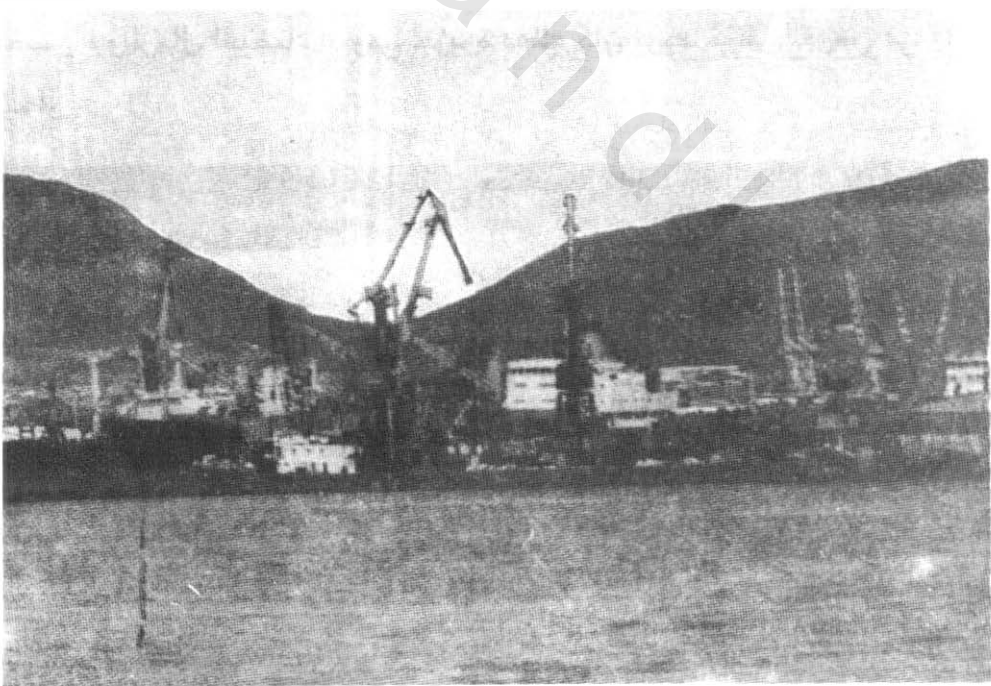
وتبلغ مساحة إريتريا حوالى ١٢٠ ألف كيلومتر مربع وعدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة • وعلى الرغم من أن إريتريا تقع فى المنطقة الاستوائية بين خطى عرض ١٢ و ١٨ شمالاً إلا أن أغلب مناطقها تتمتع بجو ربيعى دائم نتيجة للارتفاع الذى يبلغ مداه عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر ، فى الهضبة الجنوبية .

(١) رينيه باسيه : النقوش الكتابية فى جزيرة دهلك ، ترجمة ونشر البعثة الخارجية لجهة التحرير الإريترية ، سنة ١٩٧٧

(٢) انظر خريطة جزر دهلك



سفناء عصب



منظر عام لسفناء عصب

العلاقات التاريخية والحضارية بين الجزيرة العربية ومنطقة القرن الإفريقي بوجه عام وإريتريا والحشة بوجه خاص

العلاقات بين شعوب شبه جزيرة العرب والساحل الغربى للبحر الأحمر قديمة قدم التاريخ نفسه . بل إن علماء الجيولوجيا يؤكدون أن إفريقيا والشرق العربى كانا رقعة واحدة حتى انفلقت قشرة الأرض ففصل البحر الأحمر بينهما (وقد عرف البحر الأحمر بأسماء متعددة كالبحر الفرعونى ، والبحر الحشنى وبحر القلزم) . وما يفصل بين اليمن والقرن الإفريقى لا يعدو أميالاً معدودات ولم يكن البحر الأحمر رغم وعورة مسالكه يشكل مانعاً للهجرات البشرية أو الصلات التجارية .

ومن ثم فقد كانت التحركات البشرية عبر البحر الأحمر أو مضيق باب المندب أو عن طريق سيناء ميسورة للعرب والأفارقة على حد سواء .

فمن الساحل الغربى غزا الأحباش اليمن ، ومن الجزيرة العربية كانت هجرات الشعوب الناطقة باللغات السامية كالأحباش والعرب تنساب عبر الحدود من وقت لآخر (١) .

قد ثبت أن جزيرة العرب ذات الإمكانيات الغذائية والرعية المحدودة كثيراً ما عانت من ازدياد فى عدد سكانها مما دفعهم للهجرة فى دورات متباعدة طلباً لمناخ معيشى أفضل . وقد عبر بعض المهاجرين البحر الأحمر إلى الساحل الإفريقى وكان نصيب بلاد الحشة من هذه الهجرات كبيراً (٢) .

وقد اقترنت اللغة الحشية القديمة ، وتعرف بالجزر وهى لغة سامية ، اقترنت بتلك المنطقة أيضاً ، وقد يفسر ذلك كله سهولة الملاحة فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ، ووجود الموانئ الطبيعية على ساحله الغربى ، وكان ارتياد البحر واحداً من النشاطات التى ألفتها

(١) يوسف فضل حسن (دكتور) : تبادل التأثيرات الثقافية بين الحجاز واليمن ومصر من جهة وبين وسط وشمال وشرق إفريقيا «إثيوبيا - إريتريا - وادي النيل أوغندا» من جهة أخرى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٥

(٢) الحشة : وقد أخذت بلاد الحشة اسمها من قبيلة «حشت» الوافدة من جنوب الجزيرة العربية ، واسم الحشة كان يشمل معظم بلاد القرن الإفريقى بما فيها إريتريا ، فى تلك الفترة

سكان جنوب الجزيرة • وكان جذب الجزيرة العربية وغلبة الصحارى عليها سبباً فى جعلها منطقة طاردة، ومن ثم كثر النازحون منها إلى السواحل الإفريقية •

وربما فسر هذا العامل الجغرافى لماذا كانت المؤشرات الوافدة من الجزيرة العربية على السواحل الإفريقية أكثر وضوحاً من المؤثرات الإفريقية الوافدة على الجزيرة العربية ^(١) .

وكان يدعم هذه الصلات نشاط تجارى واسع يعتمد على تقدير المنتجات الإفريقية التقليدية كالعاج والذهب والعمود •

وما أن استقر التجار العرب على السواحل الإفريقية حتى توغلوا فى الداخل؛ بغية توسيع دائرة مناشطهم التجارية ثم تبعهم فيما يبدو هجرات عربية أخرى • وبما يؤكد ذلك وجود آثار - تنمى إلى سبأ - فى إريتريا ترجع إلى القرن الرابع الميلادى •

وبلغ بعض الوافدين الجزء الجنوبى من بلاد البجة، الناطقين باللغة الحامية واختلطوا بالسكان الوطنيين حتى ذابوا فيهم مثل قبيلة « بلو » إلا أن لسانهم السامى ما زال غالباً على بعض لغات إريتريا وبخاصة بين التجارى Tegry •

وتزعم الروايات المحلية فى شرق السودان أن الحدرابة، وهم خليط من البجة والعرب، وقد وفدوا من حضرموت إلى بلاد البجة الواقعة شمال سواكن قبل ظهور الإسلام، وقد حرف اسم الحضارمة إلى الحدرابة •

وقد لعب الحدرابة دوراً مهماً فى تاريخ بلاد البجة مستفيدين من مقدراتهم الحضارية المتطورة فى مجال التجارة والزراعة، واعتماداً على إبلهم وخيلهم واستطاعوا بسط نفوذهم على بعض قبائل البجة • كما أسهموا بدور رائد فى المناشط التجارية فى ميناء عيذاب، ثم سواكن • وفى القرون الأخيرة صارت كلمة حدربرى (حضرمى) تطلق على التجار الذين يعملون بين النيل والبحر الأحمر ^(٢) • ويبدو أنه لتوغل قبيلة «بلى أو بلو» العربية فى بلاد البجة الشمالية قبل ظهور الإسلام أن البجة صاروا ينادون كل عربى

(١) يوسف فضل حسن (دكتور) : مرجع سابق، ص ٣٣ - ٣٤

(٢) يوسف فضل حسن (دكتور) : مرجع سابق، ص ١٢ - ١٣

«بلويه» وعرفت اللغة العربية فى لغتهم بـ «بلويت» والكلمتان مشتقتان من كلمة «بلى»^(١).

ويتضح من هذه الإشارات أن بعض سكان الجزيرة العربية، خاصة فى منطقتى اليمن وحضرموت، وقد شقوا طريقهم إلى ساحل البحر الأحمر الغربى قبل ظهور الإسلام، ونتيجة لرحلاتهم التجارية واستقرار بعضهم فى الساحل الإفريقى من منطقة القرن الإفريقى فقد خلقوا نواة للصلات بين جزيرة العرب وإفريقيا. وقد ازدادت هذه الصلة نمواً، واتسعت دائرتها، وقويت فعاليتها بعد ظهور الإسلام الذى أعطاهما دعماً روحياً وسنداً سياسياً. والصلة بين سكان الجزيرة العربية وساحل البحر الأحمر ربما كانت أقدم وأعرق مما نوهنا به.

ولعل شدة التشابه العرقى واللغوى بين الشعوب الإفريقية من منطقة القرن الإفريقى الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية، والشعوب الناطقة باللغات السامية كالعرب والأحباش جعلت بعض الباحثين يرجحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا فى موضع واحد رداً من الزمن كما أسلفنا الذكر وربما تنميان فى أصولهما القديمة إلى شعب واحد.

ويزعم بعض الباحثين أن موطن «الساميين» الأصيل هو شرق إفريقيا وبالتحديد منطقة القرن الإفريقى وليس جزيرة العرب كما هو معروف^(٢).

هذا وإن المجموعة الناطقة باللغة الحامية تنتشر على السواحل الشرقية والشمالية لإفريقيا، وتمثل فى الصومال والقالا، والعفر والإريتريين والبجة والنوبيين وقدماء المصريين والبربر. وتضم لغات هذه الشعوب قدراً طيباً من الكلمات العربية. وتؤكد هذه الصلات العرقية واللغوية، أنى كانت درجتها، بين سكان جزيرة العرب وسكان سواحل إفريقيا الشرقية أن تبادل التأثير الثقافى بينهم ذو جذور عميقة.

ولم تقتصر الصلة بين العرب وبلاد الحبشة كما أوضحنا على اليمن فحسب بل امتدت حتى شملت الحجاز؛ فقد كانت أرض الحبشة كما ذكر الطبرى، «متجراً لقريش يتجرون

(١) يوسف فضل حسن (دكتور): المرجع السابق، ص ١٤ - ١٥

(٢) يوسف فضل حسن (دكتور): المرجع السابق نفسه، ص ٣٥

فيها ويجدون فيها رفاغة من الرزق وأمنأ ومتجرأ حسناً» (١) . ولعل هذا ما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يشجع أصحابه على الهجرة إلى الحبشة هرباً بدينهم لما كثر إيذاء قريش لهم • وقال لهم « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه » (٢) . فكانت علاقة العرب بالأحباش تتسم بالود فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) •

وكان لهذه الرعاية الكريمة التى أولاها النجاشى للمهاجرين أثر فى ألا ينزل المسلمون بلاد الحبشة منزلة أرض الجهاد ، بل اتصمت علاقاتهم بها بالسلم فى معظم الأوقات • وقد زاد تردد العرب المسلمين على الحبشة فى العصر الإسلامى من أجل التجارة •

وبالإضافة إلى المدن الحبشية التى كانت تحفل بالتجار العرب ، فقد أنشأ العرب مراكز تجارية جديدة على الساحل الإفرقى • ومع نمو النشاط الاقتصادى العربى فى تلك المنطقة ، كثر استقرار العرب المسلمين ، واختلطوا بالسكان الوطنيين مما مهد لنشر الإسلام بين الوطنيين تدريجياً ، كذلك دخل الحبشة بعض المهاجرين العرب ، الذين توافدوا فى أعداد يسيرة تمثل مختلف الطبقات من زراع اليمن وتجار حضرموت وعمان والحجاز •

وتختلف أسباب هجرتهم هذه من مكان لآخر غير أن العامل الاقتصادى كان المحرك الأول ، وكما أوضحنا سابقاً كان أرخبيل دهلك وميناء مصوع من أوائل المدن التى تأثرت بالإسلام والثقافة العربية ، ومنها تسربت تلك المؤثرات الثقافية عبر الطرق التجارية خصوصاً فى السهول الساحلية بين بدو العفر «الدناكل» الساهو • ومن أقصى الشمال ، ومن ميناء سواكن وميناء ياضع « مصوع » تدفق تيار إسلامى آخر عبر بلاد البجة حتى إريتريا •

وقصد المسلمون الأحباش فى ذلك الوقت بلاد اليمن للتزود من مدارسها ، وكان أغلب أهلها على مذهب الإمام الشافعى ، وفى عهد المقرئى ، كثر فيها أبناء المذهب الحنفى وعرف سكانها فى العالم الإسلامى ، بالجبرت (٤) ويتنسب إليها تجمع

(١) الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك . ح ٣٢٨٢ ، ص ١٨٩

(٢) ابن هشام : سيرة الرسول ، القاهرة ، ح ١ ، ص ٣

(٣) محمد عبدالغنى سعودى (دكتور) : العلاقات العربية الإفريقية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٣٨

(٤) الجبرت : كلمة حبشية (اجبرت) ، ومعناها عباد الله .

الجبرت^(١)، ولقد توسع مفهوم هذه الكلمة حتى صارت تطلق على المسلمين من الأحباش وربما على التجار منهم خاصة • ومن ملى الحبشة العلماء الذين عاشوا فى مصر الإمام فخر الدين عثمان بن على الزيلعى ، والمحدث الزيلعى جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد ، والشيخ على الجبرتى الصوفى والشيخ إسماعيل بن سودكين الجبرتى تلميذ ابن عربى ، ومنهم عبد الرحمن الجبرتى الجد السابع لمؤرخ مصر عبد الرحمن الجبرتى ، وكان قد وفد إلى مصر بعد أن طاف فى كثير من البلدان الإسلامية فى أول القرن السادس عشر كما رحلت جماعة أخرى إلى الحجاز^(٢) •

وكان من العلاقات المهمة ، التى ربطت بين بلاد الحبشة ومصر ، انتشار المسيحية فى الحبشة وإريتريا على يد تجار مصريين • ومنذ القرن الرابع الميلادى ظل بطريرك الإسكندرية يعين مطراناً مصرياً لرأس الكنييسة الحبشية حتى عام ١٩٤٦ • وقد عمل المطارنة المصريون على دعم المذهب الأورثوذكسى وترجموا كثيراً من الكتب الدينية إلى اللغة الحبشية من العربية ، كما أن بعض الكنائس الحبشية قد شيدها فنيون مصريون •

ومن هذه العلاقات يتضح نوع التفاعل بين الأحباش والعرب • فى محاولة للمحافظة على تراث ومعتقدات كل جماعة منهما ؛ بحيث يسود بين أبناء هذا البلد التآخى والتسامح بين المسلمين والمسيحيين واحترام الثقافات والتراث لكل منهما •

التأثير الثقافى بين الحبشة والجزيرة العربية

كان الأحباش الذين وفدوا إلى الجزيرة العربية أحراراً وأرقاءً ، وكذلك العرب الذين ذهبوا إلى الحبشة للمتاجرة أو المهاجرة قد أسهموا فى حمل كثير من سمات الثقافة الحبشية إلى بلاد العرب • وقد انتشرت هذه الآثار فى بلاد اليمن أولاً وفى الحجاز بصورة أقل ثانياً ، ومنها عمت باقى بلاد العرب • ونتيجة للغزو الحبشى لبلاد اليمن وجدت الديانة المسيحية دعماً من الأحباش خاصة فى منطقة نجران •

(١) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، ص ١٥٦

(٢) عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢

وفى صنعاء شيد أبرهة كنيسة عظيمة اتمت بالفخامة وروعة البناء ، وعن طريقها سعى الأحباش إلى تنصير حمير . وقد وجدت بعض الألفاظ والاصطلاحات الحبشية طريقها للغة العربية نتيجة هذه الاتصالات أيضاً . ومع أن معظم هذه الألفاظ ذات جذور سامية إلا أن علماء اللغات يؤكدون أنها قد دخلت العربية عن طريق اللغة الحبشية . ومن هذه الألفاظ ما يعود إلى مسائل دينية كالحواريين ومنافق ومنبر ومحراب ومصحف وبرهان . ومنها ما يدل على الأبنية والطرق ، مثل الخوخة ، والصرح (أى القصر) والمكة . ومنها ما يدل على الزينة والملابس كالجلبات والوقف ، والزريبة والخنبل والدملج ، ومنها ما يدل على التوقيت كالتاريخ والساعة والزمن ومنها ما يدل على الأواني كالطواحين والصوامع . ويدل على الحيوان مثل الحريش والزرافة والبغل والهرماس ، ومنها المائدة والمشكاة (١) .

ولذلك كان أثر الحبشة فى اللغة العربية واضحاً حيث دخلت كلمات حبشية فى اللغة العربية كما ذكرنا فى سياق هذا الحديث (٢) .

وقد نطق النبى عليه الصلاة والسلام بكلمات حبشية ، فقال يصف أشراف الساعة : «إن بين يديها فتنة وهرجا» ، فسأله الصحابة : «ما الهرج؟» . فقال صلى الله عليه وسلم : «هو القتل بلسان الحبشة» .

كما قال عليه السلام لأم خالد بن سعيد حين قدمت من الحبشة وعليها كساء له أعلام : «سناه سنه» (٣) .

وقد استعار العرب منهم كلمة المعابل (٤) ولدوع والوضف بالوضاف ، وفى اللغة القنين من أسماء الطنبور فى الحبشة (٥) .

ويرجع الدكتور عبدالمجيد عابدين أن صيغة (أفعول) الدالة على الجمع فى اللغة العربية دخلت من الحبشة (إما مباشرة أو عن طريق اليمن) ، ومن أمثلة هذا الجمع أخذود

(١) الخوخة : معناها الفتحة فى الحائط أو النافذة الصغيرة

(٢) يوسف فضل حسن (دكتور) : مرجع سابق ، ص ٣٩

(٣) فى الحبشة اهرج بمعنى قتل وسناه بمعنى جميل

(٤) آلات حربية تشبه السهام وهى فى الحبشة معبلة

(٥) عبده بدوى : دراسات فى الآثار الإفريقية فى الحياة العربية القديمة ، ص ٤٤

(جمع خدة أى الشق فى الأرض) وأمعور (بمعنى القطيع من الظباء) أو حبوش (أى جيل من الحبش) وأركوب (وهم الجماعة من الركاب) (١) • وكان أثر الحبشة وغيرها من الشعوب السوداء كبيراً فى صناعة الغناء فى جزيرة العرب (٢) •

الأحباش فى الحجاز

كما أوضحنا تسرب الأحباش إلى الشمال من الجزء الجنوبي الغربى لبلاد العرب ، ذلك لأن الأحباش كانوا يحتكرون تجارة التوابل التى تصل إلى الحجاز ، ومكة نفسها كانت مقر جالية كبيرة من الحبشة وقد عرفت مكة (أبرهة) الحبشى غازياً وعرفت كثيراً من الأحباش الذين كان لهم دور كبير فى الحياة العربية كحجيم ، وخفاف ، والجليك ، وبلال ، وأم أيمن ، وكلها عناصر مشهود لها فى الحرب والشجاعة والوفاء •

ومهما يكن من أمر فقد كان الحجاز فى الفترة السابقة للإسلام مرتبطاً بعلاقات مادية وروحية بعدة مراكز إشعاعية ، كان أهمها الحبشة •

تأثير الحبشة الدينى

مما لاشك فيه أنه كان فى بلاد العرب أكثر من مركز تبشيري حبشى • وكانت «تجران» تعتبر المركز الرئيسى لنشر المسيحية الحبشية ، فقد كانت بها كنيسة ضخمة سميت بالكعبة لتصرف العرب عن كعبتهم المقدسة ، وقد ذكرها الأعشى فى قوله :

وكعبة نجران حتم عليك

حتى تناخى بأبوابها

نزود «يريد» وعبد «المسيح»

وقيسأهم خير أربابها

وقد شاعت الأفكار الميحية وصورها التقليدية فى الشعر العربى ، فأينا أمية بن أبى الصلت يعلم العرب كلمة « باسمك اللهم » ويقول :

(١) عبدالمجيد عابدين (دكتور) : بين الحبشة والعرب ، ص ٩٨ - ١٠٥
(٢) ويذكر الدكتور عبدالمجيد عابدين « أن الزار » هو رقص تصاحبه طقوس شبه دينية بقصد العلاج النفسى قد وفد من الحبشة إلى الجزيرة العربية فى وقت متأخر والزار فى اللغة الأمهرية الروح الشريرة

مجدوا الله وهو أهل

ربنا فى السماء أمسى كبيراً

وقد سمعه النبى عليه السلام يقول :

الحمد لله ممانا ومصبحنا

بالخير صبحنا ربى ومسانا !

فقال عليه السلام : « إن كاد أمية ليلم »

ورأينا الأعشى يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالعهد

ل وولى الملامة الرجلا ٠٠ !

ولاشك أن هذه أفكار وافدة على الفكر العربى ، كما تأثر العرب أيضاً بمظاهر الدين

المسيحى ، فقال المرقش الأكبر ٠

وقال جواش :

ونسلم نزقاء من اليوم حولنا

كما ضربت بعد الهدوء النوقس !

معلق قنديل علقه الكنائس

وقال بشر بن أبى خازم يهجو عرجاض بن حداء :

لله در حداء من نصر

وكل عدوا عصى الطلح ارجلهم

كما تنصب وسط البيعة الصلب !

ويشبه ابن زيد العبادى الجميلات بدمى المحارب ٠

وزيادة على هذا فقد أدخل « قيس بن ساعدة » شيئاً جديداً في الأدب العربي لم يكن معروفاً من قبل وهو التعقيب بالشعر على الشر ، متأثراً بما كان يفعله رجال الدين من الأحباش في مقطوعاتهم ، المسماة «سلام !!» ومن هذا الشكل الديني الجديد نستطيع أن نقول إن الأحباش قد أثروا كما أثر غيرهم في الفكر العربي .

أثر الحبشة في الفنون

أفاد الشعر من الحبشة واقعية صريحة ، فمن خصائص الشاعر الحبشي والإفريقي أنه واضح كبلاده ، صريح فيما يعرض له من علاقات • وإذا ضربنا مثلاً على هذا بالغزل ، نراهم في غاية الجرأة فيما يتعلق بالعلاقات الجنسية •

فعندهم نوع من الشعر يسمى « ملكيء » يوصف فيه القضيبي أو يترك عضواً من أعضائه في صراحة غريبة ، تتجاوز بكثير ما جاء في نشيد الإنشاد بالتوراة • ويمكن أن نرى هذا في شعر واحد منهم يسمى «سحيم» الذي أحب ابنة سيده حيث يقول :

وتنا وسادانا إلى علجانه

حقف تهاده الرياح تاديا

وهبت شمالا آخر الليل خترة

ولا ثوب إلا درعها وردائيا !

توسدني كفا وتثنى بمعصم

على وتحوى رجلها من ورائيا

فما زال بردى طيبا من ردائها • •

إلى الحول حتى أنهج البرد باليا !

وهو القائل :

ولقد تحدر من كريمة بعضهم

عرق على متن الفراش وطيب

وقد بلغ من جرأته أنه وهو فى طريقه ليقتل ، فنظرت إليه امرأة وفى فمها ضحكة
ساخرة ، فقال لها على الفور :

فإن تضحكى من قيارب ليلة

تركتك فيها كالقواء المفرج !

وهذه الصراحة وهذه الجرأة هى التى أثرت فىمن أتى بعده من الشعراء كامرئ القيس
الذى كان من «كندة» ، وكندة كما هو معروف كانت دائماً مقصد الغزاة الأحباش ، وكعمر
بن أبى ربيعة الذى قيل إن فيه عرقاً ينزع إلى الحبشة .

وقد ترتب على غزوات الأحباش لليمن والتزواج من الأحباش ، أن اشتهرت بالغزل
فقد روى الأصفهاني أنه يقال :

« غزل يمانى ودل حجازى » .

• • • ولا شك أن البحور العربية السريعة قد تأثرت بعض الشيء بالأحباش الذين
يحبون هذا النوع الذى يتفق وانفعالهم وعدم رغبتهم فى التأمل • ونشهد بهذه الأبيات
القصيرة التى عقب بها لأول مرة على النثر قيس ابن ساعده ، والتى قلنا إنها متأثرة بنوع
من الشعر الحبشى يسمى «ملكى» .

وقد كثر فى بلاد العرب عدد كبير من الحبشيات والمغنيات ، فمعظم المغنين والراقصين
كان منهم ، وقد روى أنهم لعبوا بحرابهم أمام الرسول عليه السلام وأنهم «زفنوا» أى
رقصوا رقصاً فيه عنف وسرعة ، وأن المسلمين تأثروا بنوع حبشى من الرقص وهو
«الحجل» الذى قام به جعفر بن أبى طالب حين قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم من
الجبشة .

فالحبشة إلى جوار أنها كانت مهجراً دينياً ، وسبيلاً تجارياً ، كانت كذلك مقصد
الشعراء ، ومن هؤلاء الأعشى الذى يقول :

وطوفت للشعر آفاقه

عمان ، وحمص ، وأورشليم

أتيت النجاشى فى أرضه

وأرض النبط ، وأرض العجم

ومن هذا نرى أن بلاد القرن الإفريقى والحشة من قديم الزمان كانت مصدراً خصباً للثقافة وخاصة هذا النوع البهيج الذى يجعل الحياة، ويخفف ضراوة الطبيعة، فالرقص، والغناء، والفروسية، وتحمية الأشياء بأسمائها الحقيقية والغيرة على المعتقدات سمة من سمات هذه الشعوب حتى يومنا هذا •

ويرى الدكتور عونى الشريف قاسم أنه تحت تأثير حركة الغناء وما تبعها من رقص ومجون، «نشأت مدرسة الحجاز الشعرية التى تفردت بموسيقى خفيفة لتلائم الغناء وزخرت بألوان من الغزل الحسى والمجون»^(١) .

ولما جاء الإسلام عظم شأن السود واتسعت دائرة مشاركتهم فى الأدب واللغة والحديث والفقه والعمل العام • وكان منهم بلال الحبشى الصحابى الجليل، وأول مؤذن فى الإسلام ، ومنهم عطاء بن أبى رباح فقيه مكة ومحدثها • وقد بلغ بعضهم شأواً بعيداً فى تمثيل ثقافة العرب ولغتهم ، كأبى نعاسة مولى بن سعد والحيفطان، وكان شاعراً فحلاً وخطيباً لا يبارى وكان منهم أيضاً وعكيم الحبشى ، وأفصح من العجاج . وقد أخذ منه علماء الشام • ومن أبناء الحبشيات عرار بن شاس القائد الشهير • ومنهم سعيد بن جبير أعظم أصحاب عبد الله بن عباس فى الحديث • وكذلك مسلم بن خالد الزنجى ، من علماء الطبقة الخامسة الذى أخذ عنه الإمام الشافعى ، ومنهم يزيد بن أبى حبيب مولى الأزد^(٢) .

ومن هنا يجدر بنا أن نتناول فى الفصل الأول الخلفية التاريخية لهذه اللغة وتأثيرها على هذه الشعوب •

(١) عونى الشريف قاسم : مجلة الدراسات المودانية ، ص ٨٨

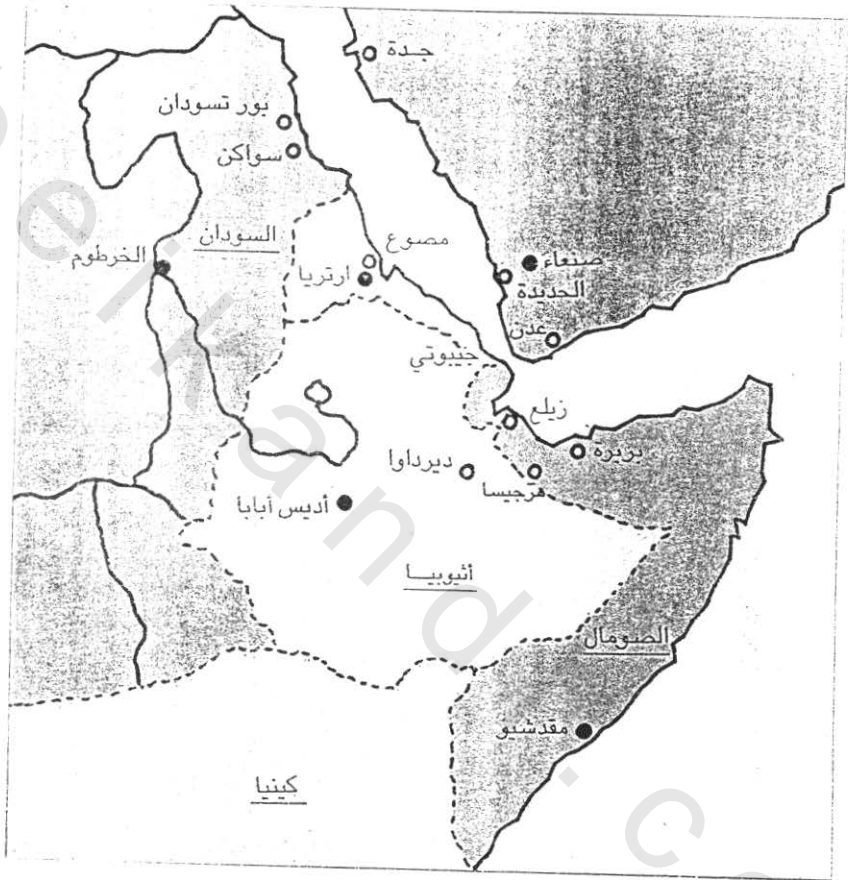
(٢) المصدر السابق ، ص ٨٩ - ٩٢

obeikandi.com

الفصل الأول

الخلفية التاريخية وحقيقة الصراع الثقافى
فى القرن الإفريقى عبر العصور المختلفة

- ١ - لمحة تاريخية
- ٢ - الخلفية التاريخية قبل الصراع
- ٣ - الصراع الثقافى فى القرن الإفريقى عبر
العصور القديمة والحديثة



قبل أن نبدأ حديثنا عن الخلفية التاريخية والصراع الثقافى فى منطقة القرن الإفريقى لآبد من الإشارة إلى جملة من الحقائق لآبد من إيضاحها وهى عندما يتناول أى مؤرخ لتاريخ إريتريا فلابد من الإشارة للدول المحيطة بها ؛ لأن إريتريا ليس لها تاريخ منفصل عن منطقة القرن الإفريقى ، بل تاريخها مرتبط به مع وضع لكل بلد من بلدان القرن الإفريقى خصوصيته التى تميزه عن الأخرى ، ويأتى تاريخ إريتريا ضمن هذا الإطار سواء كان فى تاريخه الثقافى أو الحضارى .

وكما هو واضح فإن هذه الشعوب جميعاً كانت فى الأصل تتكون من عناصر حامية أو كوشية ثم وفدت إلى المنطقة هجرات سامية عبر مضيق باب المندب ، واختلطت بالسكان وامتزجت بهم حتى أصبحت منطقة القرن الإفريقى عامة مزيجاً بشرياً من عناصر متعددة . وكان للعامل الجغرافى أثره فى تشكيل السكان فى المنطقة منذ أقدم العصور .

ومن هذا المنطلق سوف يكون حديثنا عن الثقافة العربية فى إريتريا ضمن هذا الفهم والواقع المرتبط بشعوب هذه المنطقة . وإريتريا جزء من هذا الواقع ، تاريخياً و ثقافياً وحضارياً .

لمحة تاريخية

إن الموقع الاستراتيجي الذي تمتع به إريتريا والمشرق على الممر المائي بين الشرق والغرب وموقع الجزر المنتشرة أمامها في البحر الأحمر جعل منها معبراً لتجارة الشرق والغرب كما جعلها هدفاً للغارات ومحط أنظار الغزاة، منذ أقدم العصور .

لقد عرفها الفراعنة بأنها بلاد «بونت» وأطلق الإغريق اسم إريتريا على البحر الأحمر فأسموه بحر إريتريا منذ آلاف السنين . وكانت مدينة «أدوليس» الواقعة على بعد ثلاثين كيلومترا من ميناء مصوع مركزاً تجارياً للعالم القديم . وتحفظ آثارها إلى اليوم ببصمات بطليموس الثاني في القرن الرابع قبل الميلاد . ولم تنج إريتريا - وهي محطة تجارة الترانزيت ، من غزوات الإمارات والممالك الحبشية من الجنوب . فقد كان تاريخها سلسلة من الحروب مع أمراء الإقطاع الأحماس (١) .

وقبل أن تعرف الدولة الحديثة بمفهومها العصري وحدودها الثابتة في هذا الجزء من العالم ، كان الشعب الإريتري يعيش في ظل إمارات مستقلة ارتبطت شكلياً بالدولة الأموية ، ثم العباسية . ومنذ عام ١٥٥٧م ورثت الإمبراطورية العثمانية تلك السلطة الشكلية ضمن ما ورثت من أملاك الخلافة العباسية . وعلى إثر صدور فرمان السلطان في ١٧ مايو ١٨٦٦ ضمت إريتريا إلى أملاك خديوى مصر في مقابل زيادة الجزية التي تدفعها مصر للسلطان العثماني في اسطنبول .

وبذلك رفع العلم المصري على إريتريا بدلا من العلم التركى الذى كان يعبر عن أهم مظهر من مظاهر الوجود الأجنبى فى إريتريا يومئذ، وكانت الإمارات الإريترية تتمتع باستقلالها الذاتى .

وفى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر بدأت قوافل الاستعمار الإيطالى تتجه نحو إريتريا ونجح البروفيسور الأب جوزبى سايتو فى أن يحصل على توقيع سلطان إبراهيم شحيم وأخيه حسن لاستئجار جانب من ميناء عصب متكرراً فى شخصية ممثلى شركته التجارية . وكان ذلك فى ١٥ نوفمبر ١٨٦٩ . ثم باعت الشركة ذلك الجزء الذى استأجرته من سلطان عصب إلى الحكومة الإيطالية التى ما لبثت أن أرسلت بوارجها

(١) انظر خريطة إريتريا



أثر إريترى منقوش عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» منذ البداية الأولى للإسلام

الحربية وأنزلت جنودها على شواطئ إريتريا ، لاحتلال المدينة كلها ، ثم لتبدأ الزحف على باقى المنطقة (١) .

وبعد أن أخضعت القوات الإيطالية منطقة عصب بدأت تتطلع إلى باقى إريتريا ، فاتجهت إلى الغرب عبر مدينة مصوع التى تم احتلالها في الخامس من نوفمبر عام ١٨٨٥ ، بعد أن اشتركت مع البحرية البريطانية فى منع إنزال القوات الفرنسية بها ، وبعد أن أمنت عدم اعتراض بريطانيا على توسعها عن طريق اتفاقية نوفمبر ١٨٨٤ .

ثم اتجهت نحو الجنوب حيث مدينة أسمرا عاصمة إريتريا الحالية . .
ومع انتهاء عام ١٨٨٥ كانت القوات الإيطالية قد أكملت احتلال الشواطئ الإريترية وتوغلت فى عمق المناطق الداخلية منها .

وهكذا كانت بداية الاستعمار الإيطالى فى إريتريا ، وبقيت إريتريا مستعمرة إيطالية منذ ذلك التاريخ وحتى اندلاع شرارة الحرب العالمية الثانية حيث احتلت جيوش الحلفاء الزاحفة من السودان فى بداية عام ١٩٤١ ، بعد أن اشتبكت مع القوات الإيطالية فى عدة مواقع كان أهمها موقعة كرن ٢/٢٦ - ٤١/٣/٢٦ ، وأصبحت تحت الإدارة البريطانية حتى عام ١٩٥٢ م . ثم ضمها فى اتحاد فيدرالى مع إثيوبيا عام ١٩٥٢ .

وكما أوضحنا أن الموقع الجغرافى لإريتريا على أبواب الجزيرة العربية وضاف باب المندب جعل منها معبراً لحركة الشعوب المتباينة فى هجراتها التاريخية عبر العصور المختلفة وتركت تلك الشعوب بصماتها الواضحة فى المجموعة البشرية التى تسكن القسم الغربى من سواحل البحر الأحمر بما فيها شعب إريتريا الذى تمثل فيه التزاوجات التاريخية بين العناصر السامية والحامية والزنجية حتى يبدو وكأنه موزاييك للأجناس بمختلف قبائله ومعتقداته ولهجاته وألوانه (٢) .

(١) ومسألة البعثات وقوافل الاستطلاع التجارية أو التبشيرية ، ثم المعاهدات بين الأطراف غير المتكافئة ثم الخلاف فى تفسير النصوص ، كل هذه أمور ليست غريبة كما هو معروف فى تاريخ شعوب آسيا وإفريقيا

(٢) عثمان صالح سبى : الأمين العام لجهة التحرير الإثيوبية ، مقدمة قصة الاستعمار الإيطالى لإريتريا ، للمناضل محمد سعيد تاود ، دمشق ، ١٩٧١ ، ص ١٢-١٣

وفي عهد دولة سبأ باليمن وما تلاها من دول وعهود - توالى هجرات البئيين والحميريين إلى الشاطئ الغربي من البحر الأحمر منذ ٧٠٠ عام قبل الميلاد تقريباً ولمدة ألف عام هاجر سبئيون - ساميون - حميريون - يمنيون إلى إريتريا وامتزجوا بالسكان المحليين وتوسعوا داخل المرتفعات وكانت أكسوم حاضرة مملكتهم ولا تزال المسلات المشهورة شاهداً على عظمة حضارتها في مضمار البناء والتعمير .

وقد جلب هؤلاء المهاجرون القدماء حضارة متقدمة في أساليب زراعية وتجارية وتنظيم سياسى ولغة مكتوبة . وقد نشأت اللغات السامية الحالية التجريدية والتجريدية من اللغة الجذرية والتي بدورها مشتقة من اللغة البئية ، وسوف نشير إليها بالتفصيل فيما بعد لمزيد من التوضيح .

ويقول الدكتور رجب حراز فى هذا الصدد حول الهجرة : إن الهجرات من الساميين البئيين ثم الحميريين ، الذين عبروا البحر الأحمر لاستيطان الهضبة الإريترية والحبشية ، لتشابه مناخهما مع مرتفعات جنوب شبه الجزيرة العربية التى جاءوا منها . وجلب الوافدون الجدد معهم معارفهم عن التنظيم السياسى وأساليب الزراعة المتقدمة ، كما كانت لهم خبرة بالتجارة وصلات بالعالم المتحضر ، مما ساعدهم على إقامة حضارة ذات مستوى عال نسبياً من الناحيتين المادية والثقافية ونشر ثقافتهم (١) .

وفي القرن السادس الميلادى وبعد ظهور الإسلام فى مكة المكرمة ، أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن تعرضوا لأذى قريش ، فخرج من مكة المكرمة فى أول الأمر أحد عشر رجلاً وقبل إثنا عشر رجلاً ، أربعة منهم متزوجون ، معهم نساؤهم ، وعلى رأس هؤلاء عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءوا على سفيتين للتجارة حملتهم وورست بهم الفيتان على بلدة « معدر » (٢) فى الشاطئ الإريترى ومن ثم ساروا إلى الحبشة حيث أحسن النجاشى استقبالهم .

(١) السيد رجب حراز (دكتور) : إريتريا الحديثة

(٢) معدر : تقع بإقليم دنكالا على شاطئ البحر الأحمر جنوب مصوع

ولم يكن الخمسة عشر إلا طليعة الموكب ؛ إذ تتابع المهاجرون المسلمون بعد ذلك حتى اكتمل منهم عدد ليس باليسير فى كنف النجاشى الصالح .

وفى القرن الثامن الميلادى احتل الخلفاء الأمويون العرب جزر دهلك وتبعاً لذلك مدوا نفوذهم إلى المنطقة وتوسعوا داخل منطقة شمال شرق إفريقيا بأسرها .

ويقول « جمان جسلو » فى كتابه « غرائب إثيوبيا » إن مصوع والموانىء القليلة على البحر الأحمر أصبحت إسلامية فى وقت مبكر ، وبعد تدمير « عدوليس » ازدهرت حضارة إسلامية فى جزيرة « دهلك » بالقرب من مصوع فى مستهل القرن الثامن (١) .

وكانت المسيحية قد انتشرت فى القرن الرابع الميلادى وعن طريق الكنيسة « الأكسومية » فى المرتفعات الإريتريّة على أيدى قسيس سورى من صيدا اسمه « خرمانتيوس » وبمساعدة شقيقه « أديسو » اللذين نجيا من سفينة يونانية غرقت على شاطئ « عدوليس » وأخذهما التجار إلى حاضرة أكسوم ، ونصبه بطريك الإسكندرية مطراناً على تلك البلاد ، ومنذ ذلك الحين ظل معظم مسيحي إريتريا يتبعون المذهب الأرثوذكسى القبطى .

ولمزيد من المعرفة والإيضاح حول هذا الموضوع انظر كتاب تاريخ إريتريا المعاصر أرضاً وشعباً ، الفصل الرابع ، المسيحية فى إريتريا وأكسوم (٢) .

وفى القرون الوسطى كانت معظم أراضى إريتريا - كما ذكرنا سابقاً - تحكم بواسطة الزعماء المحليين للعشائر والأقاليم .

ويقول اسبنر ترمنجهان فى كتابه « الإسلام فى إثيوبيا » : « أست قبائل البجة خمسة ممالك متقلة فى غرب وشمال وشرق البلاد . وكانت « باخع » أو « مصوع » ميناءً بحرياً له اتصالات تجارية مع سلاطين مصر (٣) .

(١) جمان جسلو : كتاب غرائب إثيوبيا

(٢) محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر أرضاً وشعباً ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٨٠

(٣) اسبنر ترمنجهان : الإسلام فى إثيوبيا

وعرفت المنطقة لدى المؤرخين العرب بأسماء مختلفة منها « بلاد الطراز الإسلامى »^(١)
كما يقول المسعودى فى كتابه معجم البلدان ، وعرفت أيضاً ببلاد الزيلع وبلاد « الجبرته »
وإليها ينسب المؤرخ المصرى المشهور عبدالرحمن الجبرتى .

(٣) بلاد الطراز الإسلامى ، منها تطرز الساحل الإفريقى بالدين الإسلامى بينما الدواخل على غيره

الخلفية التاريخية قبل الصراع

وهكذا نستطيع أن نقول إن انتشار اللغة العربية فى منطقة القرن الإفريقى بصفة عامة وإريتريا بصفة خاصة فى تلك العصور على هذا النحو إنما يعود فى الأصل إلى اتصال العرب بهذه المنطقة سواء قبل وصول الإسلام إليها أم بعد وصوله .

كما بينا أن العرب عرفوا هذه البلاد منذ قرون عديدة قبل الميلاد وبعده وأسسوا فيها مراكز تجارية مهمة بطول سواحلها وهناك الكثير من الأدلة الأثرية والتاريخية التى تؤكد هذا القول^(١) .

وقد نتج عن هذا الوجود العربى فى القرن الإفريقى وشرق إفريقيا قبل الإسلام أن ازداد اختلاط العرب بالسكان المحليين من الأفارقة الذين ألفوهم ونقلوا من ثقافتهم عبر قرون عديدة .

وتأكدت هذه العلاقة بظهور الإسلام فى بداية القرن السابع للميلاد ولقد ازداد اتصال العرب ووجودهم فى المنطقة منذ التاريخ المبكر عن طريق الهجرة والتجارة فى تلك البلاد ، وأقاموا سلطات إسلامية كانت تعرف باسم ممالك الطراز الإسلامى فى منطقة القرن الإفريقى . وفى إريتريا كانت قد نشأت سلطات إسلامية فى مصوع وجزيرة دهلك .

ولاشك أن هذه الهجرات وتلك السلطات كان لها فضل كبير فى نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى هذه المنطقة منذ تلك العصور ، لدرجة أن معظم أهلها لا زالوا يتحدثون العربية بجانب لغاتهم المحلية حتى الآن .

ومن أهم النتائج التى ترتبت على هذه الهجرات العربية وعلى قيام هذه السلطات العربية على طول ساحل شرق إفريقيا والقرن الإفريقى فى العصور الإسلامية الوسطى - انتشار الإسلام على طول هذا الساحل ، وأصبحت هذه اللغة - وكما أشرنا من قبل هى اللغة الرسمية لهذه السلطات وكانت بالفعل لغة الإدارة والعلم والثقافة والتجارة ، وأيضاً

(١) رجب محمد عبدالحليم (دكتور) : بحث نشر فى ندوة اللغة العربية عن شرق إفريقيا، بعنوان الخلفية التاريخية للغة العربية فى شرق إفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، مركز اللغة العربية بالمعهد

لغة الحديث بجانب اللغات المحلية السواحلية والصومالية والأمهرية والتجريدية والتجريدية وغيرها من اللغات المحلية .

ويقول الأستاذ الدكتور رجب محمد عبدالحليم في هذا الصدد : «وقد ساعد انتشار الإسلام بين معظم أهالي منطقة القرن الإفريقي ومنطقة ساحل إفريقيا الشرقى أيضاً على انتشار اللغة العربية ، وذلك حتى تمكن المسلم هناك من أداء الشعائر الدينية ، وحتى يمكنه التفقه في الدين ، ولا سبيل لذلك إلا بتعلم اللغة العربية ، ولذلك وجدنا علماء بارزين كثيرين من أهالي هذه البلاد نبغوا في علوم اللغة والحديث والفقه وألفوا في ذلك كتباً شتى ، ورحل بعضهم إلى الأزهر وغيره من معاهد العلم للاستزادة من علوم اللغة والدين» (١) .

ومن هذا المنطلق لا يمكن أن نقول إن اللغة العربية لغة جاءت مع الاستعمار أو دخيلة هذه المقولة مغلوطة وليس لها أساس أو سند تاريخي ، بل تتعارض مع المنطق والتاريخ في المنطقة .

وهناك سؤال : ما هي درجة انتشار اللغة العربية بين هؤلاء الأفارقة في العصور الوسطى ؟

وللرد على ذلك نستطيع القول إن جميع بلدان إفريقيا الشرقية والقرن الإفريقي ، كانت ثنائية أو متعددة الحلقات في العصور الوسطى ، ولم تأخذ هذه البلاد الصبغة العربية الخالصة كما حدث في مصر وشمال إفريقيا ، ويعود هذا الأمر إلى عدة عوامل منها أن منطقة القرن الإفريقي لم يفتحها الإسلام فتحاً عسكرياً ولم يقيم فيها حكماً عربياً ترتب على هذا الفتح كما حدث في مصر على سبيل المثال حيث قام الحكام العرب بتعريب البلاد وتشجيع أهلها على ذلك منذ عهد الملك «عبد الملك بن مروان» الذي أمر بتعريب الدواوين في عام ٧٥ هـ (٢) .

كما أن إفريقيا الشرقية والقرن الإفريقي لم تقم فيهم دولة إسلامية موحدة ، بل قامت فيهم إمارات وسلطنات عديدة ، كل منهم كانت في نزاع مع الأخرى في كثير من الأحيان

(١) رجب محمد عبدالحليم (دكتور) : مرجع سابق

(٢) المرجع السابق نفسه

مما قلل من محصولها الفكرى والثقافى ، كما أنها كانت بعيدة عن سلطان الخلافة الإسلامية ، باستثناء إريتريا كانت سواحلها تخضع للخلافة الأموية وخاصة فى جزر دهلك . خلاف بلاد القرن الإفريقى الذى كان التواصل المكانى والثقافى بينها ودولة الخلافة شبه مقطوع لأنها إمارات قامت خارج عباءة هذه الخلافة .

يضاف إلى ذلك قلة أعداد العرب الذين هاجروا إلى إفريقيا الشرقية بالنسبة لأعداد الأفارقة ، وتزوج هؤلاء العرب مع هؤلاء الأفارقة مما أدى إلى ذوبان الكثير منهم فى هذا المحيط الإفريقى الواسع لدرجة أن كثيراً منهم نسى لغته الأصلية وتكلم اللهجات المحلية ، مع الاحتفاظ بأنسابهم التى تؤكد انتماءهم العربى حتى الآن .

فإذا عرفنا ذلك ورأينا الصراع الذى فرضه الأحباش وأباطرتهم على أهل منطقة القرن الإفريقى ، وما فرضه البرتغاليون على أهل منطقة الساحل الشرقى للقارة لأدركنا على الفور الأسباب الكامنة وراء عدم انتشار اللغة العربية انتشاراً واسعاً كان يمكن أن يؤدى - لو حدث - إلى صبغ هذه البلاد بالصبغة العربية الكاملة . ومع ذلك - وكما أشرنا ورغم ضراوة الاستعمار الأوروبى الحديث فى القضاء على اللغة العربية - فإن هذه اللغة لا زالت موجودة خاصة فى البلدان التى انضمت لجامعة الدول العربية ، مثل الصومال وجيبوتى وجزر القمر وفى إريتريا بالجانب الإسلامى منه ، فهى بلدان بها ثنائية اللغة^(١) . ومهما يكن من أمر فإن الإسلام كان له دور كبير فى نشر اللغة العربية فى البلدان الإفريقية .

ومهما يكن الأمر تدل اللغة العربية فى بقية الدول الإفريقية الأخرى فيتفاوت فيها الحديث بالعربية بنسبة كبيرة وقلة قليلة حسب التطور الثقافى والسياسى لهذه البلدان .

وخلاصة القول إن اللغة العربية ليست غائبة عن أى دولة من دول شرق إفريقيا والقرن الإفريقى حتى الآن نتيجة للعوامل المذكورة أعلاه .

وهكذا فإن انتشار الإسلام فى معظم بقاع الأرض ، وهجرات المسلمين إلى الأماكن التى انتشر فيها الإسلام ، جعل للغة العربية أثرها الواضح فى ثقافة ولغات الشعوب التى انتشر فيها الإسلام ومن أبرز الآثار التى تركتها اللغة العربية على لغات هذه الشعوب الألفاظ والمفردات ، بل إن بعض الكلمات عربية خالصة .

(١) رجب محمد عبدالحليم (دكتور) : مرجع سابق

ولقد أوضحت فى الخلفية التاريخية لدخول اللغة العربية إريتريا على وجه الخصوص وبلاد القرن الإفريقى والحبشة إلى فترة ما قبل الإسلام - أنه كان للتجار العرب والهجرة ولأسباب جغرافية - دور كبير . وبانتشار الإسلام تصبح اللغة العربية لا غنى عنها للمسلم الذى يريد أن يقرأ القرآن ويؤدى الصلاة ويفهم تعاليم الدين الإسلامى وقيمه ومبادئه ، ويتعرف على الثقافة الإسلامية . وفد العرب إلى إريتريا وغيرها وتوغلوا إلى بلاد الطراز الإسلامى فى الحبشة ، وبعد انتشار الإسلام كانت مظاهر الحضارة الإسلامية فى كافة مجالات الحياة فى القرن الإفريقى وكانت اللغة العربية فى ذلك الوقت رمزاً للتحضر ومعرفة الدين الإسلامى (١) .

وخلاصة القول : إن اللغة العربية من أهم لغات الفكر التى يمكن أن تكون وسيلة للتفاهم بين أبناء الشعب الإريتري بجانب اللهجات المحلية ، فى محاولة لإيجاد لغة تفاهم مشترك بين القبائل الإريتيرية كما أنها لا غنى عنها للمسلم فى إريتريا ؛ لأنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهى الوسيلة لنقل الفكر العربى والقيم الإسلامية بالإضافة إلى كونها أقرب لغة إقليمية للبلاد وسوف تناولها بالتفصيل فى الفصول القادمة أهميتها بالنسبة للإنسان الإريتري باختلاف عقائده .

(١) راجيه محمد عفت (دكتورة) : اللغة العربية فى تنزانيا، بحث ألقته فى ندوة مركز اللغة العربية للأفارقة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٩٦ .

الصراع الثقافى فى القرن الإفريقى عبر العصور القديمة والحديثة

وسوف نحاول فى هذه العجالة أن نتلمس التكوين الثقافى للمنطقة ، وعوامل الصراع المؤدى إلى التغيير ، والتفاعل المؤدى إلى الائتلاف أو الاختلاف والتنافر .

والثقافة التى نعيها هنا هى - على سبيل المثال - طريقة الحياة والتفكير المؤدى إلى سلوك وتصرف وعمل .

ويمكن القول ، إن طريقة الحياة والتفكير وصياغة السلوك على أساسها يشتمل اللغة التى هى وسيلة الفكر وأداته ، ويشمل العقائد والعرف والتقاليد والموروثات التى ينبثق منها التفكير والتعبير والعمل ، ويشمل أيضاً الفنون التى تعبر عن التكوين النفسى والفكرى^(١) .

وليس من شك أن الثقافة تختلف من جماعة لأخرى ، ومن عهد لآخر ، نتيجة لتفاعل عوامل مختلفة . على رأسها التعلم واكتساب الخبرة فى مجالات مختلفة ، ومنطقة القرن الإفريقى هى بالفعل منطقة ذات أوضاع خاصة ومقومات قد تميزها عن غيرها من المناطق ، وكما أسلفنا فإن للجغرافية مميزات خاصة وهى أيضاً منطقة اختلاط وامتزاج ولها طابع ثقافى متميز عن الأخرى .

ولإبراز هذه الحقيقة لابد أن نتناول الخلفية التاريخية المتعلقة بهذا الجانب والتى تتمثل فى عدة جوانب لابد من الإشارة إليها منذ العصور القديمة والحديثة لما لها من أهمية ، والتى أصبحت رواسيها تحكم فى عقلية هذه الشعوب ، وخاصة فى الحبشة وإريتريا - ومن هذا المنطلق كان لابد من الإشارة إلى هذا الموضوع باختصار شديد دون التوسع فيه حتى لا يخرجنا عن موضوع بحثنا . ولكن كان لابد من الإشارة إليه حتى نكون على بينة من أمره منجماً مع الواقع والتاريخ دون العاطفة .

(١) عبدالله نجيب محمد (دكتور) : بحث ألقى فى الندوة الدولية للقرن الإفريقى ، ٥-١٠ يناير ١٩٨٥ ، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية بجامعة القاهرة ، بعنوان : الصراع الثقافى فى القرن الإفريقى

العامل الأول : عصر الوحدة الثقافية التى عاشت فيه المنطقة

هذا العصر يمتد إلى القرن السادس الميلادى ، وفيه تمتعت المنطقة بوحدة ثقافية ، وخاصة الهضبة الحبشية ، من شمالها إلى جنوبها ، تاركة وراءها مناطق ساحل البحر الأحمر وسهوله تغلب عليها الطبيعة الصحراوية وفى هذه السهول توجد طائفة من الشعوب البدوية المترحلة التى تشتغل بالرعى ، « مثل البجة » والعفر الساهو « أوروبسو » ، والصومال ، والقالة .

وكما أوضحنا فى مقدمة هذا الفصل أن هذه الشعوب ، كانت فى الأصل تتكون من عناصر حامية أو « كوشية » ، ثم وفد إلى المنطقة هجرات سامية عبر مضيق باب المندب ، واختلطت بالسكان وامتزجت بهم ، حتى أصبحت منطقة القرن الإفريقى بصفة عامة ، مزيجاً بشرياً من عناصر متعددة (١) .

وقد عملت الظروف الطبيعية على توجيه الإقليم نحو عالم المحيط الهندى ، وخاصة نحو جنوب شبه الجزيرة العربية فازدهرت التجارة ، وكثرت الأموال ، فارتقت الحضارة ونهضت البلاد ، وأصبحت المسالك البرية والبحرية فى المنطقة هى الطريق العالمى للتجارة ، بل لقد عملت الظروف نفسها على تكوين مجتمعات ذات ثقافة واحدة ، وحضارة واحدة منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

هذه الوحدة الثقافية لم تأت من فراغ ، بل دلتنا عليها الدراسات الأثرية التى حظيت بعناية فائقة قبل الحرب العالمية الأولى ، حيث تعددت رحلات الاستكشاف والبعثات العلمية إلى القرن الإفريقى واليمن ، وزودتنا بالآف النقوش المكتوبة بحروف عربية جنوبية فالأبجدية العربية الجنوبية هى أصل الأبجدية الحبشية فى كل من إريتريا وإثيوبيا ، والساميون هم الذين خلفوا لنا فى المنطقة آثاراً عظيمة وكانت لغتهم عربية جنوبية ، وما زالت لغاتهم إلى اليوم فرع من فروع أسرة لغوية واحدة ، والمتمثلة « فى لغة الجُز » والتى تستخدم فى إريتريا وإثيوبيا وسوف نتناولها بالتفصيل فى موضوع دراستنا فى الفصول القادمة ومدى تأثيرها على اللغات الإريتيرية والإثيوبية . ومن هذه النقوش يتضح لنا ، أننا نقف أمام ثقافة سامية موحدة ، يمتد أثرها من أقصى جنوب بلاد العرب وعبر البحر

(١) عبدالله نجيب « دكتور » : مرجع سابق

الأحمر حتى أعماق الهضبة الإريتيرية والحشية وإقليم تجراى . قامت هذه الثقافة على أسس وعناصر متشابهة إلى حد كبير ونلمس فيها تلك الوحدة العامة القائمة فى كل المنطقة منذ أقدم العصور ، ممثلة فى العناصر الآتية :

أولاً : وحدة الأديان والعقائد قبل المسيحية والإسلام

وهى فى الجملة أديان تنتمى إلى الساميين القدماء ، حيث السكان يؤمنون بالهة الساميين « مثل عشتار ، حرمين »^(١) . ومنذ العصور القديمة فقد آمن الناس جميعاً فى المنطقة بالهة واحدة ، وتعتبر النقوش جميعاً عن صيغ وبنية واحدة تختم عادة برجاء الآلة أن يحقق المراد ، وأن يقبل ما يقدم من القرابين ، وكذلك اعتقدوا فى البعث ، وآمنوا أيضاً بالقيم الخلقية النبيلة وهى أفكار عامة مشتركة بين الساميين وأقربائهم الحاميين أو الكوشيين فى القرن الإفريقى^(٢) .

والواقع أن النقوش المختلفة التى وصلتنا من اليمن وإثيوبيا - بالرغم من وجود بعض الفوارق الزمنية والمكانية تتبع جميعها دائرة ثقافية واحدة ، وتجمع بينها لغة واحدة وخط واحد وعناصر ثقافية واحدة سواء من ناحية الفن أو المعمار أو الدين . وهذه الدلائل تؤكد وحدة اللغة والأصول وخاصة فى الهضبة الإريتيرية والهضبة الحبشية بما فيهم الناطقين بلغة تجراى فى جميع المنخفضات الإريتيرية .

ثانياً : الوحدة اللغوية

بخلاف ما ذكرناه فإن لغات المنطقة على اختلافها ، هى فروع من درجة واحدة ، فهى تنتمى إلى عائلة اللغات السامية والحامية ، وكثير من لغات القرن الإفريقى لغات مهاجرة من شبه الجزيرة العربية ، وقد وصلتنا^(٣) نقوش تدل على أن أصل الأبجديات الإثيوبية هى من العربية الجنوبية وكانت تكتب جميعاً بالحروف دون الحركات إلا فيما ندر ، وكانت

(١) حرمين : هو محرم Mahram عند الإثيوبيين

(٢) عبدالله نجيب « دكتور » : مرجع سابق

(٣) وجدت عدة نقوش فى قمة جبل الأنبا « بنتليون » بالقرب من « أكسوم » وعلى بعض الأعمدة فى « بج » شمال شرقى « عدوة » بإقليم تجراى ، وهى تدل دلالة واضحة على الأصل العربى للأبجدية الإثيوبية والتجريدية وتجراى ، التى تطورت قليلاً بعد ذلك

الحروف فى العصور الأقدم أكثر أناقة واستقامة ، ولكنها مع الزمن التوت وإعوجت واختلفت صورها . كما يقول الأستاذ الدكتور عبدالله نجيب رئيس قسم اللغات فى معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ^(١) ، ومن هنا يلاحظ أن هناك تقارباً بين العربية الجنوبية و « الجعز » وهى اللغة القديمة فى إثيوبيا وإريتريا ، وشديدة القرب من العربية الشمالية مما يدل على الوحدة الثقافية الكامنة فى المنطقة .

ثالثاً : الوحدة الفنية

وكذلك تدل حفائر البعثات التى اكتشفت بقايا الأبنية الأثرية فى الحبشة على وجود نوع من الوحدة الفنية ، ممثلة فى التشابه المعماري فى تخطيط المعابد وطرق البناء والزخرفة ، ومن أهم المباني الأبراج المبنية من طوابق متعددة ، وخاصة تلك التى وجدت فى « اكسوم » ، وقد وجد العديد منها فى بلاد اليمن ، ويمتد أيضاً من بعض النقوش وما ذكره الهمداني فى الإكليل ^(٢) أن بلاد العرب الجنوبية عرفت نظام البناء بالحشب وهذا النظام وجد أيضاً فى الحبشة القديمة وكذلك الصخور الرخامية المنحوتة نحتاً منتظماً ، وزخرفة الأسقف والحوائط والأبواب بأسلوب واحد وعناصر متشابهة ، وكانوا يستخدمون فى الزخرفة السن والذهب والفضة والأحجار الكريمة ، أما الأعمدة فكانت تزخرف بصفائح الذهب والفضة مثلما وجد فى عمائد حرم بلقيس ، وكنائس فى إثيوبيا وكذلك فى أدوليب ^(٣) وإكسوم ^(٤) . وكل ذلك يشير إلى تلك الوحدة الفنية العامة فى المنطقة .

رابعاً : الوحدة السياسية ووحدة المصالح

اتصلت المنطقة منذ القدم بالتجارة العالمية ، وشاركت فيها ، وأثرت فيها أزمات متعاقبة ، وازدهرت الموانئ وكثرت الرحلات ، أنشأت المدن التجارية ، وكان لدى سكان المنطقة إحساس بالوحدة ، وخاصة فى عهد الأكسوميين الذين حرصوا على هذه الوحدة ،

(١) عبدالله نجيب (دكتور) : المرجع السابق نفسه

N.Rhodok anakis studiem

(٢)

راجع أيضاً (التاريخ العربى القديم) ترجمة د* فؤاد حسين على ، ص ١٥١ ط ١٩٥٨

(٣) أدوليس أو عزولى : يقع فى منطقة زولا فى خليج زولا بالبحر الأحمر

(٤) عبدالله نجيب (دكتور) : المرجع السابق نفسه

وعملوا على تدعيمها وتقويتها . وتبين هذا من العديد من النقوش التى وجدت فى عاصمة دولتهم القديمة حيث كانت بلاد العرب وإثيوبيا هى القنطرة الموصلة بينهما ومن المعروف أن بلاد العرب كانت ترد إليها بضائع من الأبنوس والسن والبخور من الأقطار المقابلة لها على الشاطئ الإفريقى ، لذلك رأينا دولة السبئين الحميريين أخذت تتوسع تجاه البحر الأحمر والجنوب فى الهضبة الإريترية وتجراى ، واستوطنت قبائل وعشائر يمنية فى كثير من تلك الجهات ، ثم أصبحت صاحبة السيادة فى المنطقة وتمكنت من بسط سلطانها على وطنها الأصيل أى بلاد اليمن ، وفى عصر لاحق ظهر همدانى على رأس أسرة جديدة وجلس على عرش سبأ ، وعقد حلفاً مع دولة الأحباش التى كانت نواة لدولة أكسوم^(١) .

وهكذا نشأت هذه الدولة الإفريقية وكونت مملكة أكسوم فى الحبشة والتى نشأت أصلاً من الجاليات اليمنية ، ونجحت بمرور الزمن فى تأسيس هذه الدولة الإفريقية التى اضطرت إلى إقامة حاميات عسكرية على الشاطئ العربى المطل على البحر الأحمر للدفاع عن أملاكها الخارجية ، ولذلك كانت بحكم مركزها تستطيع التدخل فى شئون بلاد العرب الجنوبية ، وأن تؤثر وتحكم فى طريق العرب التجارى الثانى . وهكذا يفهم مما تقدم ذكره جميعاً أن العوامل السابقة قد عملت فى الربط بين شعوب هذه المنطقة من الناحية الدينية والاقتصادية ، وأنها جمعتهم على أخلاق ومبادئ واحدة ، وأشاعت بينهم ثقافة عامة مشتركة الأهداف والمصير .

العامل الثانى : عوامل الفرقة والصراع

استمرت الوحدة الثقافية زاهرة قروناً طويلة ، ولكن يبدو أن أحداثاً جديدة قد عملت على فصم عرى الوحدة ، بل عملت على اضمحلال الثقافة السامية والتقليل من أهمية الساميين السياسية فى أواخر العصر القديم ، ومرّ عصر طويل شاعت فيه الفوضى فى منطقة القرن الإفريقى وعمت الحروب ، وقلت الثروات وانتابها الضعف والتفرقة .

ويمكن أن نحمل أهم العوامل التى أدت إلى هذه الفوضى فى الأمور الآتية :

(١) عبدالله نجيب (دكتور) : المرجع السابق نفسه

١ - ظهور الهنود والأوروبيين كمنافسين للساميين العرب فى محاولة السيطرة على العالم القديم .

٢ - ظهور أفكار دينية جديدة أدت إلى زعزعة الاستقرار الثقافى القديم .

٣ - تطور التجارة ، وظهور طرق أخرى جديدة .

ضعف الساميون فى أخريات العصر القديم ، وتخلوا عن مكان الصدارة فى العالم القديم للهند والأوروبيين والفرس ثم الإغريق ثم الرومان ، وفى أواخر هذا العصر بدأت المطامع الاستعمارية فى المنطقة بسبب التجارة ، وسار الرومان إلى اليمن وحاصروا العاصمة البئية عام ٢٥ ، مما اضطر السبائين والحميريين إلى مصادقة الرومان ، ثم تحولت المواصلات البرية التى كانت فى يد « النبطا » إلى أيدي الرومان باستيلائهم على « بطرة » . وضعف اليمنيون بسبب الاضطرابات والحروب الداخلية ، وأخذت العلاقات تستقر تدريجياً بين بلاد العرب الجنوبية وبين الحبشة وحاول الأحباش السيطرة على الطريق البرى ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ثم سقطت اثيوبيا نفسها فريسة للفرس وضاعت أهم مصادر الثروة نتيجة لهذا الصراع .

وكذلك انتهى العصر القديم بانتصار الأفكار الدينية الجديدة ممثلة فى اليهودية ثم المسيحية ، واستمرت الديانة المسيحية تصارع الوثنية السامية القديمة فى حين عجزت اليهودية عن ذلك ، بل كانت سبباً فى مزيد من الصراع فى منطقة القرن الإفريقى . ويظهر لنا ذلك فى النقش الذى جاء فيه ذكر « ذو نواس » وآلهة إسرائيل الأخرى بمعنى أن اليهودية قد أخذت طريقها نحو بلاد العرب ، بل إنهم تقلدوا مقاليد الحكم بعد الإثيوبيين الذين لم يدم ملكهم طويلاً ، فى اليمن والجزيرة وفى عام ٥٢٥ قتل الملك اليهودى السبئى « ذو نواس » وحل محله آخر مسيحي أقامه الأكسوميون واسمه « سوميع » ، وكان ملك اكسوم فى ذلك الوقت يدعى « أبيلا أصحاحا » .

وتشير النقوش التى وجدت فى عصره إلى روابط وثيقة بين الحبشة وبيزنطة .

وانتشرت المسيحية فى الحبشة منذ ذلك الوقت ، وكانت قد انتشرت فى مصر والشام ثم تبتتها الدولة الرومية فى أوائل القرن الثالث الميلادى ، ثم تدفقت على الحبشة منذ القرن الرابع الميلادى بسبب الصلات التجارية وغيرها . ولكن الشعوب البدوية المتاخمة للساحل

ظلت على الوثنية، ثم اتخذت المسيحية - في عصور لاحقة بعض المتغيرات الصغيرة في إريتريا وأطراف الجزيرة العربية .

كان هذا عاملاً مهماً في التفريق بين ثقافتين في المنطقة الواحدة، علاوة على تطور وسائل النقل البحري ، وكان ذلك سبباً في التقليل من شأن اليمنيين في حمل تجارة العالم القديم، وهذا بدوره أثر على أهل الساحل المقابل المرتبطين بالثقافة اليمنية والنشاط التجاري مما زاد الهوة بينهم وبين جيرانهم المستقرين في هضبة الحبشة علماً بأنه نفذت المسيحية إلى هضبة الحبشة أضيف أهم العوامل للتمييز بين سكان الساحل وسكان الهضبة ؛ حيث بقيت أغلب الشعوب على الوثنية مما أدى في النهاية إلى زعزعة الاستقرار القديم .

كان جدير بمكان الساحل أن يعتنقوا المسيحية ويلقنوها لجيرانهم من زراع الحبشة ولكن ذلك لم يحدث ؛ لأن البدو أقل تقبلاً للتأثيرات الجديدة من المستقرين ولأنهم كانوا أكثر ارتباطاً وتأثراً بالثقافة اليمنية القديمة ، كذلك لم يستطع مسيحيو الحبشة نشر ثقافتهم الجديدة بين جيرانهم البدو، وقد حاولوا مراراً ، بل حاولوا أيضاً نشر المسيحية بين العرب والوثنيين في الساحل المقابل عندما استولوا على بلادهم بعض الوقت ، وباءت محاولات أبرهة ، ومن سبقه في تحويل العرب إلى المسيحية بالفشل ، وترجع عوامل الفشل إلى عدة عوامل منها :

✱ تمكن الثقافة الوثنية العربية من البدو .

✱ إعتراز البدو بترائهم الثقافي وعدم قدرتهم على تقبل الجديد .

✱ ضعف الثقافة الإثيوبية المسيحية .

✱ قلة وسائل التبشير والمبشرين ، ووسائل التعليم والتعلم آنذاك .

✱ استمرار الصراع الداخلي بين الإثيوبيين .

وقد قامت الأدلة العديدة على ذلك ^(١) .

(١) عبدالله نجيب (دكتور) : مرجع سابق

ما كادت إثيوبيا تستقر على المسيحية حتى كان الإسلام قد ظهر في جزيرة العرب ، وبسرعة مذهلة دخلت مصر والشام وشمال إفريقيا في الإسلام ، وأهم من ذلك قبول البدو للإسلام ، بل وحملهم له كدعاة ومجاهدين ، وعن الطريق البرى الذى ينحدر من مصر على طول ساحل البحر الأحمر مخترباً ديار « البجة » متجهاً إلى ساحل إريتريا ، ثم الطريق البحرى المتصل بجزيرة العرب ، وبدأت المؤثرات الإسلامية تتدفق على بدو ساحل شرق إفريقيا والقرن الإفريقى ، فدخل البجة في الإسلام ، كما ازدادت الهجرات العربية إلى بلادهم إلى إريتريا والعفر والصومال .

وتقبل البدو الإسلام وزاد انتشاره ، وذلك للعوامل التالية :

أولاً : أن الإسلام دين فطري يتلاءم مع طبيعة البدوي البسيط ، كما أنه لا يحدث تغييراً جذرياً في الفرد نفسه أو الجماعة ؛ لأنه يأخذهم بالرفق واللين والسماحة والحلم والتدرج ، وهذه ظاهرة عامة في كل إفريقيا ظاهرة التوفيق التدريجى بين الثقافة الإسلامية والثقافة الإفريقية المحلية .

ثانياً : كان لوحدة الثقافة بين العرب وأهل الساحل المقابل ، والارتباط الشديد بين المصالح أكبر الأثر في مشاركة الإفريقيين البدو للعرب ثقافتهم الجديدة .

ثالثاً : أدت الهجرات المستمرة للعرب إلى بلاد الساحل الإفريقى ، وحرية التزاوج وكثرة الأنساب إلى دعم الروابط العرقية والثقافية وانتشار الإسلام .

انتشار الإسلام تميز البدو عن جيرانهم وإخوانهم المستقرين في أهم عنصر من عناصر الثقافة وهو الدين ، وبدأت أهم عناصر ظهور قومية مختلفة عن تلك التى استقرت في الهضبة الحبشية . وهنا تبدأ جذور المشكلة أو المشاكل القائمة حتى الآن في القرن الإفريقى بصفة عامة والحبشة وإريتريا على وجه الخصوص ؛ لأنه لم يعد في الإمكان قيام قومية واحدة ، بل تكونت بالفعل قوميتان مختلفتا الثقافة ، وما يتبع ذلك من تمايز واختلاف ، وأصبح الصراع ليس صراعاً تحكمه المصلحة فحسب ، بل صراعاً توجهه وتدعمه عوامل ثقافية شديدة التأثير . ولذلك عندما نريد أن نعالج هذه المسألة وخاصة في إريتريا لابد من أن نضع هذا الاعتبار في الحسبان دون أن نتجاهل هذه الحقائق التاريخية الموروثة من جملة

عوامل خارجية أو داخلية حتى لا نقع فى الخطأ الذى قد يقودنا إلى انهيار وحدتنا الوطنية بدون قصد أو نية مبيتة .

فى الحبشة مثلاً ، القومية الإثيوبية الشاملة هى الأصل فى منطقة القرن الإفريقى ، ولكنها لم تلبث حتى انقسمت إلى قوميتين مختلفتين ، فالمسلمون أصبح جلهم من البدو المترحلين ، فى حين أصبح المسيحيون جلهم زراعاً متقربين ، وهذا الاختلاف فى النمط المعيشى الاقتصادى يؤدى إلى اختلاف فى طريقة التفكير وبالتالى فى السلوك . مما ذهب بالبعض إلى القول بأنهم مجتمعين مختلفين تماماً فى التفكير أو أسلوب الحياة اليومية للاعتبارات المذكورة .

وقد أدى الانتشار السريع للإسلام إلى عزلة الأحباش ، وقطع صلاتهم التجارية القديمة بمصر وبيزنطة ، ولم تعد سيطرتهم كاملة على سواحل إريتريا ، ومن سوء حظهم أيضاً أن أخطاراً داخلية قد هددت كياناتهم فى فترة ما ، من هجرات اليهود إليها عام ٦٤٠ م . وثورات بعض طوائف من الوثنيين سكان الهضبة ، ثم محاولات المسلمين المتمرة لكسب أرض جديدة حول الهضبة . وقد تعرضت الحبشة أيضاً لغارات البجة الذين عاشوا فى السهول الشمالية وقطعوا الطرق وأغاروا على المدن وعطلوا الحياة الاقتصادية .

وفى فترة أخرى استطاع الإسلام أن ينتشر بين البدو المحيطين بالهضبة ، وقامت إمارات إسلامية مستقلة فى إريتريا والصومال وبلاد الطراز الإسلامى ، وشملت المنطقة ابتداءً من الشواطئ الإريترية وحتى نهاية الشواطئ الصومالية على المحيط الهندى ، وعند ذلك فقط تنبه الإثيوبيون ووقفوا يزودون عن ثقافتهم المسيحية وقوميتهم^(١) .

وفشلت جميع الجهود لحمل الإثيوبيين على اعتناق الثقافة الإسلامية والدخول فى القومية الجديدة ، وزادت هوة الخلاف والصراع الذى أدى إلى الاختلاف والتنافر والتمايز القومى والثقافى فى المنطقة .

ثم دخل هذا الصراع ضمن صراع أكبر ؛ لأنه فيما تلى ذلك من عهود ، كما نعرف ، انقسم العالم المتحضر أو كاد إلى ثقافتين رئيسيتين : محية تتركز فى الغرب وإسلام يتركز فى الشرق .

(١) عبدالله نجيب (دكتور) : مرجع سابق

وفى منطقة القرن الإفريقى تعرضت المنطقة لنوع من التداخل الأجنبى والصراعات الداخلية ونشاط كل من الجانبين لنشر المسيحية والإسلام فى المنطقة ، وكانت لهذه الصراعات نتائجها بدون شك مما لم تترك الصراعات العسكرية والحروب الأهلية لسكان القرن الإفريقى الوقت لبناء ثقافة واضحة ، بل كان جل اهتمامهم هو نشر إحدى الثقافتين الأساسيتين : المسيحية أو الإسلامية .

وقد تأثرت الثقافة المسيحية والإسلامية فى هذه الفترة بعوامل ثلاثة :

١ - الصلات بالعالم الخارجى .

٢ - الصراع العسكرى والحرب الأهلية .

٣ - الهجرات الخارجية والداخلية .

بالإضافة إلى ما تقدم فإن مظاهر الثقافة الإثيوبية بوجه عام أحالت طباع الأحباش ودمائة خلقهم واعتزازهم بأنفسهم وثقتهم بماضيهم ، مما انعكس أيضاً فى مآثوراتهم وأدبهم بصفة عامة .

وكذلك ترك الاتصال المستمر بالعالم الإسلامى أثراً واضحاً فى الحياة الإسلامية الثقافية فى البلاد حيث نزحت إليها جميع الفرق والمذاهب الصوفية التى عرفت الحياة الإسلامية مما كان لها أثر فى حياة الشعوب فى تلك المنطقة .

كما وفد كثير من أهل البلاد إلى مصر والحجاز بقصد الاستزادة من العلم ، وكان الأزهر الشريف ورواق خاص بأهل زيلع والجبرته ، ونبغ منهم كثير من المحدثين والفقهاء وعلى رأسهم الإمام الزيلعى «فخر الدين عثمان بن على» والمحدث الزيلعى «جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد» المتوفى سنة ٧٦٢ والعارف بالله الشيخ على الجبرتى ورحل بعض فقهاء الحجاز ومصر واليمن إلى بلاد القرن الإفريقى وأقاموا بها .

وكان الطابع الغالب على الثقافة الإسلامية فى مراحلها الأولى ، التمسك والتزمت إلى حد المغالاة ، حيث سيطر الفقهاء ورجال الدين على حياة المسلمين حكاماً ومحكومين . وقد أشار المقرئى ، إلى هذا الطابع التزمت فى قوله : « وهم يتشددون فى ديانتهم تشدداً زائداً ، ويعادون من خالفهم من سائر الملك أشد عداوة » .

العامل الثالث: مظاهر الصراع فى القرن الإفريقى واتجاهاته

كما هو واضح أن منطقة القرن الإفريقى اليوم تمثل إحدى المناطق الثقافية المتغيرة الملتهبة فى العالم ، ففى أرضها بدأ من حدود كينيا وانتهاءً بحدود السودان يجرى صراع عنيف يعكس التمايز الحضارى والثقافى لشعوب المنطقة ، والتى فشلت حتى الآن جميع الجهود لعلاج المشكلات بروح الأخاء والحوار بدلاً من روح العداء والحرب والصراع .

وإذا ما نظرنا إلى الأسباب الكامنة وراء صراعات القرن الإفريقى نجد أنها تكمن فى الرفض الحبشى العنيف للثقافة الإسلامية ، وهو رفض تأخر موعده فى الحقيقة أحقاباً مديدة . فالثقافة العربية الإسلامية قد عم انتشارها فى كافة السهول المحيطة بالهضبة الإثيوبية الرئيسية ، ولم يعد فى الإمكان التخلص منها .

ولقد اعتبر ملوك إثيوبيا وأباطرتها القدماء « المسيحية » أساس ثقافتهم ، وكذلك سار على المنهج نفسه المحدثون منهم وهم فى سبيل ذلك يرفضون ثقافة الإسلام واللغة العربية ويدعوهم إلى ذلك رفض المسلمين الدخول فى القومية الإثيوبية الشاملة ، وهذا الصراع المستمر لن يؤدى فى النهاية إلى القضاء على الثقافة الإسلامية ، بل ربما أدى إلى العكس وإلى مزيد من التمسك بالإسلام والمغالاة فيه ، واللجوء إلى القوى الإسلامية الخارجية التماساً لمعونتها ، مما يؤدى إلى مزيد من التدخل الخارجى ، العالم الإسلامى أو الغربى ، وهذه الأملال ليست فى صالح الإثيوبيين مسيحيين ومسلمين على المدى البعيد ، لأن كلا المذهبين الإسلام والمسيحية عريق فى إريتريا وإثيوبيا وبالتالى معالجة المشكلة لن يأتى بالقوة ولكن بالحكمة وبالاقرار بثقافة الجانبين المسيحي والمسلم على السواء (١) .

ومن هنا جاء اهتمامنا بجذور الثقافة العربية واللغة فى إريتريا .

واللغة أهم ألوان الثقافة ذات الصبغة القومية الغالبة ، عامل الاستمرار من الماضى إلى الحاضر والمستقبل ، هى الوعاء الفكرى للماضى والحاضر والمستقبل وحياتها وحركتها إنما هى انعكاس لأصحابها المتكلمين بها فى تفكيرهم وسلوكهم ومهاراتهم ، ولذلك فتمسك

(١) عبدالله نجيب (دكتور) : مرجع سابق

الشعوب بلغاتها استمسكاً شديداً ، وهذا هو عين ما يحدث فى إريتريا وبلاد القرن الإفريقى .

والجميع يتطرقون إلى اللغة فى مضمونها القومى بما أنها هى الذاكرة والذكرى الجماعية للأمة التى حفظت تجارتها وحضارتها وخبراتها وأساليبها فى الفكر والنظر والسلوك ، وهى فى مضمونها الحالى ، المعبرة عن الشخصية القومية برغباتها وأهدافها وتطلعاتها فى البناء والتربية والسلوكيات الفردية والجماعية ، فهى بذلك بحق تمثل السيادة الوطنية القومية للأمة فى الماضى والحاضر ، والتنازل عنها أو إهمالها تنازل عن مقومات الشخصية الوطنية ذاتها .

وبهذا المنطق يجب أن ننظر إلى ما تحاوله الشعوب فى القرن الإفريقى ، من تدعيم للغاتها ، أو محاولة بعضها فرض لغاتها على الآخرين وهذا ما يسبب المشاكل بعينها وهذا يدخلنا فى المحذور ، والشعوب الإسلامية ترتبط لغاتها بأوثق الروابط باللغة العربية ، التى تمثل شخصية الأمة الإسلامية العالمية .

وقد واجهت اللغة العربية ضروباً من الصراع مع لغات أخرى ، وحاول الاستعمار التخلص منها فى القرن الإفريقى فعمل على إحلال لغاته محلها ، بل على إحياء اللغات الوطنية لتصارع العربية أو لتفصل عنها ، وقد أدى هذا الموقف من الاستعمار إلى تدعيم الروح القومية الوطنية .

وفى النهاية بعد ما قدمنا من هذه الخلفية التاريخية للثقافة العربية فى منطقة القرن الإفريقى بصفة عامة والحشة وإريتريا على وجه الخصوص . لا نريد هنا فى النهاية أن نفصل بين النموذج العربى الإسلامى فى التفكير ، وبين النموذج الحبشى الميخى الذى نعتقد أنه لا يختلف عن النموذج الإسلامى ، كلاهما يتمك بالمبادئ السامية ، ومبادئ العدالة الاجتماعية والحرية والسلام فى إطار الكرامة . كلاهما بأمس الحاجة اليوم وغداً إلى رسالة سلام ومحبة تفرض مراعاة حقوق الإنسان والعمل من أجلها . . فالرب واحد للمسيحيين والمسلمين ودعواه سلام ورحمة للعالمين .

وقوله تعالى :

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِي نَبْئِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿٤٨﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

وخلاصة القول . . هذه الخلاصة عن الخلفية التاريخية عن منطقة القرن الإفريقي ،
كان لابد ومن الضروري - تجليها قبل الدخول في الفصل الثاني عن الثقافة العربية
وتأثيرها علي الشعب الإريتري ، لقد أشرنا إليها باعتبارها جزء من هذا التراث المورث أباً
عن جد منذ أن خُلِقْنَا في هذه الأرض والوطن العزيز إريتريا ولذلك المعالجة لابد أن تأتي
وفق هذا الفهم والحقائق .

والله الموفق . .

(١) سورة المائدة : آية ٤٨

(٢) سورة آل عمران : آية ٦٤

الفصل الثانى

اللغة العربية وتأثيرها فى السكان الإريتريين

- ١ - الهضبة الإريترية وتأثرها بالثقافة العربية
- ٢ - تأثير الثقافة العربية الإسلامية
- ٣ - اللغة العربية وتأثيرها على اللهجات المحلية

الهضبة الإريترية وتأثرها بالثقافة العربية

لا توجد بقعة فى الأرض خارج أقطار الجامعة العربية تحمل ثقافتها المحلية الطابع السامى أو العربى كالهضبة الإريترية ، تأثرت بمختلف أوجه الحضارة والثقافة واللغة وأسس الحياة الاجتماعية بجنوب الجزيرة العربية ، قبل دخول المسيحية إليها فى منتصف القرن الرابع الميلادى ، ثم بالثقافة العربية بعد أن ارتبطت كنيستها بالكنيسة القبطية المصرية طوال عهود التاريخ ، واقتضت الحاجة ترجمة الكتب الدينية والقانونية والثقافية من العربية .

وتعتبر لغة الجنز أقدم لغة سامية فى شمال شرق إفريقيا ، كما أن خطها وكتابتها مشتقة من الحروف السبئية^(١) .

بعد دخول المسيحية إلى البلاد فى القرن الرابع الميلادى طمت معالم الثقافة الجزرية الوثنية ، أو حرفت بحيث تتناسب مع تعاليم الديانة الجديدة .

لاشك أن الهجرات العربية إلى ساحل إريتريا كانت مستمرة ، فقد وجدوا فى هذا الساحل ملجأ يفرون إليه ، ومنفذاً يعبرون به فى ظروف مختلفة مرت بها بلادهم منذ القدم ويذكر المؤرخون أن الهجرة العربية إلى إريتريا حدثت قبل المسيح ، ويعتقد أن هجرة الساميين بدأت بين سنة ٦٠٠٠ وسنة ١٠٠٠ ق . م . وكانت هجرات العرب الأولى فى هذه الأزمنة قد تركت أثرها وبصماتها ، حيث إن السكان كانوا لا ينظرون إليهم كغرباء بل كجزء لا يتجزأ منهم ناقلين ثقافتهم وحضارتهم إليهم ، بعد أن اندمجوا مع السكان

(١) جعز (جنز) لغة سامية حيث كانت لغة القبائل السبئية التى نزحت إلى هضبة إريتريا وهضبة تجراى ، والجنز تعنى الرحل ، وبما أن (جعزيان) رحلوا من بلادهم الأصلية فى جنوب الجزيرة العربية ليستقروا فى الهضبة الإريترية

الأصليين حيث عبر البيون والحميريون - وهم ساميون - من اليمن وأقاموا ثقافة سامية بين سكان المرتفعات فى الهضبة الإريتريّة وإقليم تجراى المجاور لإريتريا، والتي انشقت من كتاباتهم (الجعزية) اللغة التجرينية والتجراى اللتان يتحدث بهما سكان الهضبة والساحل وسمهر والمديرية الغربية، ونستطيع أن نقول إن حوالى ٨٠٪ من السكان يتكلمون بهاتين اللغتين .

وقد وجد الباحثون كثيراً من التشابه بين البيّة والقبائل الأخرى فى العقيدة والدين واللغة، وكان لسكان الهضبة الإريتريّة النصيب الأكبر من هذه التأثيرات البيّة الحميرية، حضارياً وثقافياً ولغوياً، قبل دخول المسيحية فى إريتريا. ومن أشهر القبائل العربية المعروفة التى نزحت إلى إريتريا (قبيلة ابلى أو بلو) اليمنية. ومن القبائل التى هاجرت إلى إريتريا كذلك قبائل (سهرت) أو (سحرت و) حبشات التى أخذ اسم الحبشة منها بعد أن أطلقه عليها العرب، ومن العرب أخذ الأوروبيون كلمة الحبشة. ومن تأثيراتهم أيضاً، الزراعة فى الوديان والسفوح الجبلية على شكل مدرجات التى أتوا بها من موطنهم الأصلي اليمن، كما تمكنوا من بسط سلطانهم الثقافى والحضارى، وأدخلوا الجمال والبخور والنباتات الغذائية مما لم يكن معروفاً من قبل فى إريتريا .

أجعازيان وجنر - شعباً ولغة

تعتبر جعر (والأصح جنر) أقدم لغة سامية فى شمال شرقى إفريقيا، وقد كانت لغة القبائل البيّة التى نزحت إلى هضبة إريتريا وهضبة التجراى من جنوب الجزيرة العربية منذ عهود قديمة. وكان القوم الذين تحدّثوا بالجنر يطلق عليهم (أجعازيان) ومعناها الحرفى عند بعض الباحثين (الرحالون)^(١) وعند البعض الآخر (الأحرار). وإذا كانت بالمعنى الثانى، فمن المحتمل أن تكون القبائل السامية النازحة التى أطلقتها على نفسها بعد استقرارها فى الهضبة الإريتريّة قد قصدت فى بدء الأمر أن تميز نفسها عن العناصر الزنجية

(١) جعزا وجعازى بلهجة التجراى (وهي إحدى اللهجات المشتقة من جنر) تعنى الرحل، وبما أن ال (أجعازيان) رحلوا من بلادهم الأصلية فى جنوب الجزيرة العربية ليستقروا فى الهضبة الإريتريّة فالمعنى الأول للكلمة (الرحالون) قد يرجع صحته

والكوشية الموجودة أصلاً في تلك البلاد والتي كانت موسومة عندها بالرق . ويؤيد ذلك أن الساميين فرضوا ثقافتهم ولغتهم على الشعوب الكوشية التي سبقتهم استناداً إلى تقدمهم الحضاري . وقد كانوا هم الذين استقدموا وسائل الزرع على التلال بالتروس ونعنى بها الزراعة السفحية على المدرجات ، وكذلك البناء بالحجر الخالص الذي لا تربطه قطعة الملاط وبناء المعابد والقصور البيضاوية والكتابة وغيرها من أسباب الحضارة والتقدم . ويكفى أنهم أعطوا البلاد لغتها .

وحلت ديانتهم محل الديانات القديمة للأقوام الكوشية التي كانت تقدر أنواعاً من الأشجار والمياه والشعابين . وكان سكان جنوب الجزيرة العربية يعبدون الشمس والقمر وكوكب الزهرة . والآثار القديمة في مطره وقوحيته في محافظة أكلبي قوزاي تشير إلى عبادة (الإله عثر) أى إله الزهرة . وقد اشتقت كلمة (عثر) بلغة التجري من هذه الكلمة وتعنى السماء . كما عبدوا (إله بحر) و (إله مدر) أى إله البحر وإله الأرض و (إله محرم) أى إله الحرب . وكلها آلهة وثنية كانت تصنع لها التماثيل في جنوب الجزيرة العربية وانتقلت إلى الهضبة الإريترية مع النازحين الساميين .

ولقد كشفت في الهضبة الإريترية نقوش جئزية عديدة أمكن تقسيم خطوطها إلى ثلاثة أقسام أو عهود : أولها يمثل أقدم النماذج للكتابة الجئزية ، وقلمها هو المسمى القديم الذى كان فى عهد ملوك سبأ الذين عرفوا باسم (مكرب) ، وكان عهدهم يمتد تقريباً من الألف قبل الميلاد إلى الستمائة سنة . وكانت هذه الكتابة تمثل النازحين قبل اختلاطهم بالعناصر المحلية ، وثانيها يشبه القلم المسمى المتأخر ، وهذا القسم متأخر عن الأول بنحو ستة قرون . وثالثها كتابات جئزية متميزة خطأ ولغة .

ومهما يكن من أمر ، فإن الإمعان فى القلم الجئزى يظهر أنه مشتق من المسمى ومتأثر بالصورة البئية . والظاهر أن الخط المسمى لم يتسق اتساقاً تاماً مع النطق الجئزى ، فاضطر الأكسوميون فى أول عهدهم بالمسيحية إلى اختراع هذا الخط الذى أضاف إلى حروفه شيئاً يشبه الحركات ، وبأسلوب متقل يجعله وسطاً بين الخطوط السامية واليونانية .

ولقد كانت لغة جئز فى بادئ أمرها لغة لقبائل سامية كانت تعيش وسط قبائل إفريقية فى الهضبة الإريترية وفى أكسوم . ولما أخذ العنصران يندمجان ويكونان أمة واحدة ليست

بسامية خالصة ولا حامية خالصة، ظلت هذه اللغة لغة الأمة المزيجة في جميع أنحاء البلاد دون أن تفقد صيغتها وأصالتها السامية، لأن أصول اشتقاقها موجودة في اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية. وكل ما كان من أمر أن نطقها حور بعض الشيء بالنسبة إلى ما هو معروف عند الساميين، ودخلت عليها بعض المفردات الإفريقية الحامية.

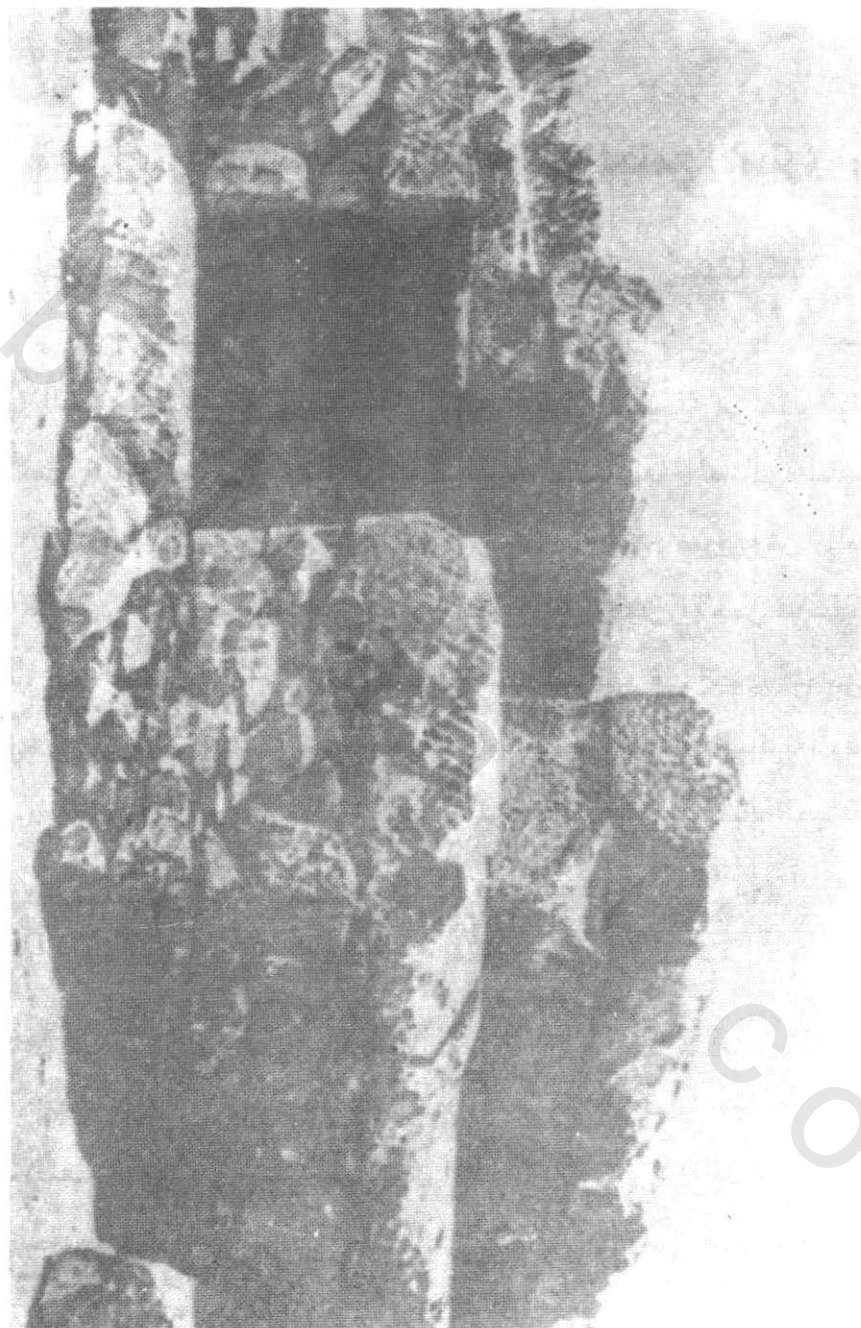
وقد لاحظ المستشرقون أن لغة جئز حافظت على عناصر سامية قديمة لم يبق لها أثر في جميع اللغات السامية الأخرى، وخصوصاً في الأساليب، فإنها في إريتريا قديمة في تراكيبها ونظامها. كذلك هناك أشياء أخرى تدل على أن جئز حافظت على أقدم الصور السامية مثل عدم وجود تمييز بين المذكر والمؤنث في الأسماء.

ولا نعلم الزمن الذي أصبحت فيه جئز لغة منفصلة نهائياً عن اللغة البية الأم؛ إذ إن عملية التطور لا بد أن تكون قد أخذت قروناً عديدة كما أشرنا أعلاه. ومن المحتمل أن تكون جئز أصبحت لغة غير مفهومة لدى سكان جنوب الجزيرة العربية في حوالى القرن الأول الميلادي^(١).

وتوضح مسلة (مطرا) في أكلي قوزاي التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي بروز لغة جئز كلغة مميزة عن لغة جنوب الجزيرة العربية.

على أن اللغة تتأثر بالحالة السياسية كثيراً، فقد اضمحل مجد أكسوم الذي ازدهر منذ القرن الرابع الميلادي إلى القرن السابع الميلادي. وتلا ذلك اضمحلال جئز كلغة تخاطب لتنتوى في صفحات الكتب داخل جدران الكنيسة، ولأغراض التعاليم الدينية. ومن الملاحظ أن انتعاش جئز الثقافي كان في الفترة الواقعة بين القرن الثالث عشر والقرن السابع عشر، وهي الفترة التي نشطت فيها الكنيسة، أي بعد عدة قرون من الانزواء. وظهرت التجريدية والتجريدية كلفتين للتخاطب عوضاً عنها في المناطق التي سادت فيها جئز تاريخياً. وهما حتى الآن أقرب اللهجات السامية إلى جئز. أما الأمهرية فعلى رغم جذورها السامية، فإنها تأثرت بشكل أقوى باللغات الكوشية.

(١) عثمان صالح سبي: تاريخ إريتريا، بيروت، ص ٢٨ - ٢٩ - ٣٠



فوخيتو مقبرة من القرن الثالث قبل الميلاد

عربي	أشوري	عبري	آرامي	سبئي	جئزي
أب	أبو	أب	أبا	آب	أب
ابن	بنو	بني	برا	بن	بن
أخ	أخو	أخ	أخا	أخو	أخو
أذن	أذنو	أزن	أودنا	أذناآم	أذن
أم	أمو	أم	أما	مبرق	أم
برق	برقو	بارق	باراق	بعل	مبرق
بعل	بعلو	بعل	بعلا	بيت	بعل
بيت	بتو	بيت	بيتا	تشع	بيت
تسع	تشو	تشع	تشع	شلاسي	تشع
ثلاث	شلاشو	شلوش	ثلاث	دما	شلاسي
دم	دمو	دم	دم	سماي	دما
سماء	شمر	شمايم	شمايا	نمر	سماي
نمر	نمرو	نمر	نمرا		نمر

وهناك كلمات كثيرة في اللغة العربية أصلها جئزية أو جاءت من لغات أخرى كال يونانية والآرامية والعبرية عن طريق جئز أمثال : حواريين ، منافق ، فطر ، محراب ، برهان ، مشكاة ، بعل ، مائدة ، إنجيل ، جهنم ، تابوت ، صرح ، جلباب ، زريبة ، إلخ . . . بل إن كلمة مصحف هي جئزية الأصل وتقرأ بالضاد المعجمة .

ويروى صاحب كتاب (الجواري الحسنان في تاريخ الحبشان) أن سالماً مولى بن أبي حذيفة جمع القرآن بين دفتين ، ثم ائتمروا على أن يسموه باسم فقال البعض منهم سموه (السفر) فقال لهم إن ذلك تسمية اليهود لكتبهم فكرهوا ذلك ، فقال إنى رأيت مثله فى أكسوم يسمى (المصحف) فأجمع رأيهم على أن يسموه (المصحف) فسمى به .

ويلاحظ التأثير الحميرى على أسماء الملوك الأوائل لمملكة أكسوم، فأسماء الملوك الذين حكموا فى الفترة الواقعة بين القرن الأول والقرن الثالث الميلادى مصدرها بالمقطع (زا) كما ترى فى زابازين، زازانتو، زاهكالي، وهذا المقطع (ذا) بالعربية معناه سيد أو صاحب ويقال لأمثالهم فى حمير (الأذواء) مثل ذو يزن، وذو قفان، وذو جدن. والمعروف أن ما يلى هذا المقطع يدل على اسم القبيلة أو الشعب أو المكان الذى يتمى إليه هذا الملك. فبازين وزناتو وهكاليه كلها أسماء قبائل أو أماكن لهؤلاء الملوك. ولا يزال البعض منها مثل بازين باقى فى منطقة القاش كاسم لقبيلة. كما أن يزن وقفان وجدن كذلك على الأرجح. وفى اليمن اليوم تصدر كلمة (ذو) عدداً من الأسماء البارزة مثل قبيلة (ذو حسين) و (ذو محمد).

ثم طائفة أخرى من الملوك تبدأ أسماءهم بمقطع (ال) مع نطق اللام مفتوحة مشددة أو مفتوحة من غير تشديد كما يقال فى (ال) أسفح و ال سمره و (ال) اسكندرى و (ال) ابرهه و (ال) أصبحه. ونجد هذا التركيب مطرداً فى أسماء الملوك من عام ٢٧٥ قبل الميلاد حتى ٤٧٨ ميلادية. ثم لا نجد هذا الاطراد منذ هذا التاريخ حتى نهاية الدولة الأكسومية فى القرن السابع الميلادى دلالة على انفصام صلاتها الثقافية والروحية بجنوب الجزيرة العربية.

وربما كان معنى (ال) الإله فيكون معنى التركيب ال أسفح (إله أسفح). فقد جرت عادة اللغة الجئزية القديمة أن تجعل المضاف مبنياً على الفتح، فيقال ال أسفح أى إله أسفح، وربما كانت تقاليد الملوك لذلك العهد تنعهم بصفات القداسة والتأليه، إذ كانت أكسوم وثنية فى البداية.

وبعد دخول المسيحية إلى البلاد طمست معالم الثقافة الجئزية الوثنية أو حرفت بحيث تتناسب مع تعاليم الديانة الجديدة، مما أضفى ظلالاً من الغموض حول الأعمال الثقافية للفترة التى سبقت دخول المسيحية.

وظلت لغة جئز لغة سامية - بل أقرب اللغات السامية من حيث المفردات إلى اللغة العربية. والنص الدينى وهو ترجمة الآية الإنجيلية المشهورة (أبانا الذى فى السماوات، ليتقدس اسمك كما هو بالسماء كذلك على الأرض. اغفر لنا سيئاتنا كما نحن نغفر من

أساء إليها) خير دليل على ذلك . وهذا هو النص (أبونا ذا بسميات يتقدس سمك بكما سماي كما بيدر . هيدج لنا إيساننا كما نحن نهديج لذا ابس لنا) .

المبشرون السورويون يدخلون إصلاحات في لغة جئز وكتابتها . ولقد أدخلت المسيحية في هضبة إريتريا بضعة تحينات على لغة الجئز القديمة التي أصبحت صالحة لنقل الكتب المقدسة إليها . وكان الفضل في ذلك راجعاً إلى أولئك المبشرين الذين رحلوا إلى هذه البلاد من سوريا ^(١) . وقد تجلّى تأثير هؤلاء المبشرين في الألفاظ الدينية التي استعملوها ، وهي ألفاظ سامية أقرب إلى اللغة العربية مثل (قربان) و (صلاة) ، و (صوم) و قيس أوقش (أى قيس) كما هي . إلخ .

أثر اللغة العربية في أدب الكنيسة :

وفي العصور الوسطى تأثر أدب الكنيسة المجاورة في العصور الوسطى باللغة العربية بحكم العلاقات مع الكنيسة القبطية في الإسكندرية التي اتخذت العربية لغتها .

وفي هذا يقول : مبعوث إمام اليمن - حسن بن أحمد الحيمي : (إن الأبون (البابا) كان رجلاً من قبط من أهل مصر ولسانه عربى ويخرج من مصر وكتاب الإنجيل معه مكتوب بالعربى وجميع ما يصحبه من كتب شريعتهم وأحكام دينهم كذلك مكتوب بالعربى أيضاً) ^(٢) .

وعلى ذلك فمعظم ما كتب بلغة جئز لأغراض الوعظ الدينى أو الأحكام القضائية إنما ترجم من العربية ، وأشهر هذه الكتب (فتحانجت) أى (قانون الملك) ^(٣) . وكتاب (فوسى منفسائى) أى (دواء الروح) ^(٤) وكثير من الكتب المقدسة مثل (سوانا نفس) ملجأ الروح - و (فكارى ملكوت) التفكير فى الملكوت - و (هيمانوت أبو) أى (عقيدة الآباء) فإنها اقتبست من كتب ألفت بالعربية .

(١) المبشرون السورويون : لمزيد من المعرفة بالتفصيل حول هذا الموضوع ، راجع كتاب تاريخ إريتريا أرضاً وشعباً للمؤلف محمد عثمان أبو بكر ، ص ٧٧

(٢) حسن بن أحمد الحيمي : من كتاب (سيرة الحبشة) ، عام ١٦٦٥م

(٣) قانون الملك : كتبه مهاجر قبطى مصرى اسمه ابن عسال ومعظمه مقتبس من الفقه الإسلامى ومن القوانين المصرية

(٤) ألفه قسيس مصرى اسمه ميخائيل

وفى هذا الصدد يقول الزعيم الوطنى عثمان صالح سبى : (وبالنظر إلى استعمال لغة جئز فى الميادين الدينية والثقافية فإن التجريدية - لم تخلق أدباً وثقافة متطورة ولم تؤلف بها إلا الكتب القليلة ، ولو أن تطوراً ملموساً حدث خلال الثلاثين سنة الأخيرة بجهود بعض المثقفين الإريتريين أمثال ولد آب ولد ماريام وجزنيئى حفوص واسرى نسما ، والأخيران كاتبان مسرحيان ، كما أن الأب اسحاق جبريوسوس (من سجنيتى) قد ألف عدداً من الروايات التى تأثرت بالطابع الدينى بحكم ثقافته أبرزها كتاب (مرقوساى وينس حمباشاى) أى (مرقص والخمرة والخبز) (١) .

لاشك أن الهجرات العربية القديمة والحديثة فى العصور المتلاحقة ، بالإضافة إلى الهجرات المعاكسة فى العصور الجاهلية أو الوسطى من أقوام الحبشة ، تركت أثرها فى المجتمع العربى فى الجنوب والشمال من الجزيرة العربية كما اعتنى المؤرخون القدماء تصنيف الكتب والرسائل الجامعة لفضل الأحباش .

وفى القرن السادس الهجرى ألف ابن (الجوزى) سنة ٥٦٧ هـ كتاباً أسماه (تنوير القبح فى فضل السودان والحبش) . ثم جاء عن أبى حيان التوحيدى سنة ٧٤٥ هـ ، أنه شرع فى تأليف رسالة فى اللغة الحبشية ، ولم يتمها . كما وضع عبد الباقي البخارى الذى كان خطيباً بالمدينة المنورة سنة ٦٩٠ هـ رسالة سماها (الطراز المنقوش فى محاسن الحبش) ومهما يكن من الأمر فإن أثر الميحية الحبشية كانت تظهر بوضوح وقوة فى التجريدية . ومن أشهر الأدباء أساقفة نجران (قس بن ساعدة الأيادى) ومن عظمائها يزيد بن عبدالمدين ، وكلاهما أديبان لهما فى الأدب العربى أثر يذكر وكذلك فى ظفار بنى الأحباش كنيسة كان يديرها أسقف يدعى (جرجنتوس) اتخذ ملك الحبشة مَثَراً ومساعداً لنصارى حمير .

ولعل الأجدد بالذكر تلك الاصطلاحات والألفاظ التى استعارتها من الحبشة اللغة العربية والقرآن بنوع خاص . ويقول عبدالمجيد عابدين فى كتابه (الحبش والعرب) : (ومن المعروف حتى للعلماء المسلمين أن القرآن قد استعار كثيراً من الألفاظ الحبشية ، فقد

(١) عثمان صالح سبى : مرجع سابق ، ص ١٩٦

أورد السيوطى فى الإتقان باباً ذكر فيه ما ورد فى القرآن من الألفاظ بغير لغة عربية، ذكر منها قرابة ٢٦ لفظاً حبشياً، ولكن أكثرها لم يثبت اشتقاقه منها). وقد ذكر الباحثون بعد جمع هذه الألفاظ أن كثيراً منها يعود إلى أمور دينية. وقد أشرت إلى ذلك فى أثناء تناولى الجزء الخاص بالثقافة العربية (١).

وهذا ما يدل على أن ثقافة الشعب الإريتري، وخاصة التجريدية والتجريدية، والتي تنتمى فى مجملها تاريخياً إلى الثقافة السامية العربية، وهكذا ظلت لغة الجُز لغة سامية، بل أقرب للغات السامية من حيث المفردات إلى اللغة العربية، كما هو واضح فى الكلمات المذكورة سابقاً.



قساوسة فى طقوس دينية

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٨٨

وساعدت الصحف التي كانت تصدر بالتجريدية في عهد الاحتلال البريطاني على تطور اللغة وابتداء المفردات المناسبة ولعب ولد آب وولد ماريام دوراً إيجابياً في هذا الصدد؛ إذ كان أول محرر للجريدة الأسبوعية الرسمية بالتجريدية كما لقت اللغة التجريدية عناية خاصة من قبل الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا، واهتمت بتطويرها، ووضعت قاموساً جديداً له، واعتمدتها لغة أساسية وحيدة، ووضعت بها نظرية لأعضائها، وظهر الكثير من الكتاب والأدباء بهذه اللغة مؤخراً .

أثر الدين في تطور الفنون في الهضبة الإريترية

منذ دخول المسيحية إلى الهضبة الإريترية ارتبطت حياة السكان بمختلف صورها بالحياة الدينية، ولم تكن الفنون لتثد عن هذه القاعدة، فقد ارتبطت بصفة أساسية بالكنيسة ومتطلباتها من المباني والرسوم والصلبان والأجراس، وتأثرت بالأشكال البيزنطية .

وأعظم ما تجلى فيه الفن الكسبي نسخ المخطوطات وزخرفتها، وهذه ظاهرة شاعت في العالم الإسلامي بالنظر إلى عدم تشجيع الدين الإسلامي رسم الصور للأشياء الحية . وكانت مسابك الحديد والنحاس تقام على مقربة من دير أو كنيسة في قمم الجبال، وأهم ما كانت تصنعه إلى جانب الصلبان والأجراس، مطالب الناس اليومية من محارث وأوان منزلية وأدوات الحرب من رماح وسيوف قصيرة معقوفة .

وفيما عدا بناء الكنائس والأديرة وزخرفتها لم يحدث في الهضبة الإريترية بين السكان المزارعين المستقرين تطور في العمران بعد زوال عهد أكسوم وحضارة سبا وحمير التي شيدت المباني والمسلات، العظيمة . ومع ذلك فإن حركة العمران والبناء لم تنقرض، وربما استعان الأهليون ببعض البنائين من أقباط مصر الذين نرح عدد منهم فراراً من اضطهاد الخلفاء الفاطميين . وتعد كنيسة دبرا البانوس في محافظة سراي تحفة هندسية في انسجام أجزائها ودقة صنعتها وخاصة مدخلها المحفور على الصخر ^(١) .

(١) عثمان صالح سبي : مرجع سابق ، ص ٣٨

أما بناء القلاع فلم يكن مألوفاً ولعل ذرى الجبال ومسالكتها الوعرة كانت تشكل عند الملمات ملجأً للأهالي لم تحوجهم إلى بناء القلاع والأسوار . وقد بنى الأتراك قلعة في دباروا في هضبة الحماسين عندما احتلت المنطقة .

ومن الميزات البارزة للمبنى في الهضبة الإريترية استعمال الأحجار والأخشاب على شكل طبقات متتالية ، وهو نمط من البناء يعود إلى العهد الأكسومي ، واستعمل في بناء الكنائس في بداية العصر الوسيط ، كما هو الحال في إحدى كنائس أسمر القديمة . ولا يزال هذا الطراز من المباني شائعاً في الهضبة . والدعامات البارزة أفقياً والتي تشذب وتلوى في انحناءة واسعة تمثل نموذجاً للمباني الأكسومية . أما المباني الشعبية الواسعة الانتشار - هدمو ، أقدو وتكول ، فقد تحدثنا عنها في موضع آخر .

ويعود استعمال الآلات الموسيقية إلى عهود قديمة وكلها تصنع محلياً ويميل سكان الهضبة إلى الطرب والرقص والمرح ويختلفون المناسبات لذلك وخاصة الدينية منها وما أكثرها ، كما أن مواسم الحصاد وانتعاش الزراعة تشكل فرصاً للتجمع والغناء . ويتم الحصاد في القرى الإريترية بعمل جماعي وبصفة دورية ، إذ القرية تملك المزارع جماعياً كما ستحدث عن ذلك في موضع آخر .

وقد تأثر الرقص والغناء بالحياة الدينية وخاصة بعهد التوراة القديم . ومن الأدوات الموسيقية البارزة (كرار) ، وتشكل قيثارته من ستة إلى عشرة أوتار ، وتقابله في العهد التوراتي قيثارة داود التي كانت تسمى (كنور) . وأما (مسانقو) ، وهي آلة ذات قيثارة واحدة ، فتعد محلية صرفة وذات أنغام حزينة جميلة . ولا يخلو حفل من (كبرو) - الطبل - سواء أكانت المناسبة أفراحاً أو أتراحاً^(١) .

تعمل هذه الأدوات الموسيقية في الأعياد والمناسبات الدينية ، وما أكثر ما يرقص الكهنة بعصيتهم الطويلة^(٢) رقصات ذات إيقاع ثابت ومنظم على دقات الطبول . كما تعمل كلها في المناسبات العادية لحياة الناس كالزواج ، ويحترف في الهضبة عدد من الناس الغناء ، ويسمى (واطاي) ، لكنها مهنة لا تعد عندهم محترمة .

(١) عثمان صالح سبي : مرجع سابق ، ص ٣٩

(٢) وهناك في دمشق جماعة من أهل حوران يشبهون في زيهم ورقصاتهم وأدوات طربهم أهل الهضبة الإريترية . ولعل ذلك يعود إلى تأثير المبشرين السوريين الذين أشرنا إليهم في هذا الفصل



واطى

تأثير الفن الإريتري على العرب

عُرف أهل أكسوم عند العرب وتردد تجار العرب كثيراً على شواطئ إريتريا وهضبتها ، سعيًا وراء تجارة أو فراراً من اضطهاد أو بحثاً عن مرعي . وكان العرب يطلقون على جميع من يأتون من البر الإفريقي المواجه للجزيرة العربية ، أهل الحبشة ؛ إذ كانت الحبشة أبرز الأمم التي سكنت تلك المنطقة مع تعددها واختلافها ، وقد عرفت عندهم أيضاً بحب الرقص والغناء . ويروى أنه لما قدم جعفر بن أبي طالب من الهجرة في الحبشة ، اختلى به النبي فصار يحجل (بمعنى يرقص) حوالى النبي متأثراً بطابع أهل أكسوم ، وقد أقره النبي ولم ينكره عليه ، كما أوضحنا في الفصل التمهيدي .

وكان من أهل أكسوم في مكة من يقوم بصناعة الرقص واللعب بالحراب في الحفلات والأعياد . وروى أن بعضهم لعبوا بحرابهم في المسجد في يوم عيد ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعرضهم مع عائشة زوجته وهي متكئة على نكبه ، وقد (زفنو) - أى

رقصوا - بين يديه وكانوا يقولون : محمد عبد صالح بلغتهم الجثزية . فقال الرسول ما يقولون ؟ قالوا : يقولون محمد عبد صالح ، فأقرهم عليه ، وقال بلغتهم (سناه . . . سناه) أى حسن . . . حسن . والكلمة لا تزال تستعمل فى الجثز والتجري . وأخذ العرب من أكسوم ومن هضبة إريتريا بعض أنواع الرقص ، كما أفاد الشعر العربى من توقيعات الرقص والغناء الأكسومى القديم . والفنين وهى أداة من أدوات الطرب فى العرب مأخوذة من طنبور أكسوم .

ويقول كرسول (Creswell-Encyclopaedia of Islam) إن الذى تولى إعادة بناء الكعبة عام ٦٨٠م هو من أكسوم واسمه باكوم و حباكوك ، وأنه استعمل أخشاباً انتزعها من سفينة غارقة . وأقام البناء على طبقة من حجر تليها طبقة من خشب حتى السقف ، وكانت ست عشرة طبقة حجرية وخمس عشرة طبقة خشبية . وكانت نموذجاً للبناء الأكسومى (١) .

تاريخ الإسلام وتطوره فى إريتريا والحبشة من البدايات الأولى

كثير من المراجع الموثوق، بها فى تاريخ شرق إفريقيا والقرن الإفريقى تبدأ من حضارة قدماء المصريين، وتروى تاريخ هذه المنطقة خاصة بعد دخول الإسلام فيها، حيث استوطنتها القبائل العربية النازحة من الجزيرة العربية حيث تدل المعلومات المتوافرة لدينا على أن المجموعات العربية التى انتقلت إلى هذه المنطقة، قد أقامت مدناً وشيدت حضارات، وتوالت الأعاصير فطمست أكثر معالمها، حتى لم يبق منها شيء إلا ما توافرت عليه نصوص الحفريات، حيث أنشأ المسلمون أول إمارة إسلامية فى الساحل الإريتري بجزر دهلك، كما أنشأ العرب والمسلمون إمبراطورية زيلع وتوابعها من الإمارات الإسلامية السبع فى الحبشة والمذكورة فى كتب التاريخ (٢) .

ويعتبر دخول الإسلام إفريقيا عمومًا والقرن الإفريقى بصفة خاصة، أحد المنعطفات التاريخية الحاسمة فى حياة القارة .

(١) عثمان صالح سبى : المصدر السابق نفسه ، ص ٤٠

(٢) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٩٠



كنيسة القديسة مريم بأسيوط



الكنيسة الكاثوليكية

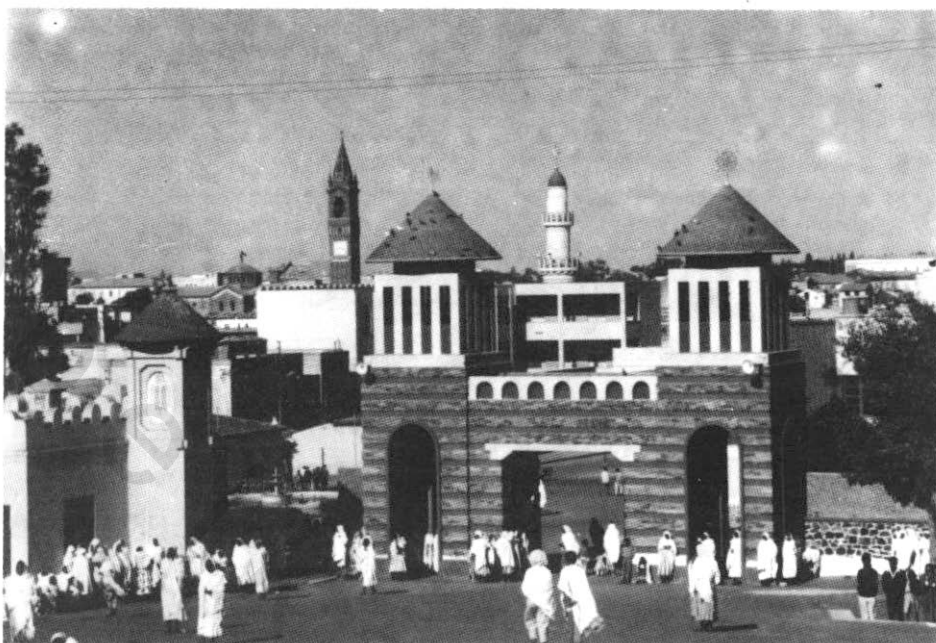
لقد تزاجروا واختلطوا بجميع الشعوب والقبائل المحلية السامية والكوشية والبيجاوية . وهنا تجدر الإشارة إلى أن الاختلاط والتزاوج والتداخل ، ظاهرة فى السمات والقسمات واضحة فى أكثر القبائل الإريترية .

لقد كان القرن الإفريقى منذ أبعد العصور - أبعد أمناً وأسرع نجدة حيث لم تخلُ موانئ شواطئه من السفن الشراعية العربية ، التى كانت فيما مضى تجوب المحيط الهندى إلى الجزيرة العربية والخليج ، وعلى طول فصول السنة مهما كانت الرياح البحرية شمالاً أو جنوباً هو وسيلة علمية دقيقة للسفر ؛ وبذلك ندرك أن انتشار الإسلام فى هذه المناطق من القارة الإفريقية كان مصدره بعثة من العرب الأوائل المهاجرين من الجزيرة العربية الذين وفدوا بسفنهم الشراعية ، وأولئك الأوائل هم الذين اختلطوا بالسكان المحليين ونشروا إنجازاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، قبل الإسلام وبعده ، ونتيجة لذلك كما بينا فى الفصل السابق أن العنصر الإريتري مسيحياً كان أو مسلماً قد تأثر بهذه التداخلات ، حيث دخلت المسيحية والإسلام إريتريا عن طريق العرب المهاجرين .

ولاشك أن هناك بعض التداخلات بحكم تاريخ المنطقة ، وخاصة الحبشة مع إريتريا ، ولذلك لا بد أن نعطى للقاريء لمحة موجزة عن تاريخ الإسلام وتطوره من البدايات الأولى فى إطار إريتريا والحبشة ، حيث إن علاقة العرب بإريتريا والحبشة كان قبل الميلاد وبعده ، وقد وطدت هذه العلاقة أكثر بعد ظهور الإسلام فى الجزيرة العربية والاتصال الذى جرى بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى بداية الإسلام مع نجاشى الحبشة .

ومن المعروف أن الهجرات القديمة والحديثة كان لها أثرها فى تكوين المجتمع الإريتري ، وكان الساحل الإريتري من أقدم الأماكن التى شهدت هذه الهجرات المتعاقبة عبر العصور فقد سكنته أم كثيرة ، حيث كان المنفذ الذى عبرت منه الأمم النازحة من البر الآسيوى إلى البر الإفريقى .

وبينما الجاليات التجارية تقيم بالساحل ، كانت مملكة أكسوم ينحصر ظلها ويضعف أمرها ، وكانت بلاد الحجاز قد أفاق من الجاهلية حيث نور الإسلام قد شع فى مكة وقبل انتشاره فى المدينة وسائر البلاد العربية ، فكانت إريتريا المركز الثانى الذى انطلق منه الإسلام بعد مكة ، حيث هاجر الصحابة الأولون إليها ، وهبطت على ساحله سفنهم فى



شهر رجب من العام الثامن قبل الهجرة سنة ٦١٤م وكانت هذه الهجرة البعثة الإسلامية الأولى، وتتكون من عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه زوجه سهيلة بنت سهيل بن عمرو، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون وغيرهم ويبلغ عددهم العشرة، ثم تبعهم جعفر بن أبى طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس وولد لهما عبدالله بن جعفر فى دار الهجرة هذه حيث هاجر هؤلاء هرباً بدينهم، بعد أن اشتد أذى قريش لهم فى مكة. ورسوا فى بلدة معدر الساحلية فى إريتريا. ويقال فى مدينة رحيتا فى الساحل الجنوبى من عصب فى إقليم دنكاليا حالياً.

وقد أحسن النجاشى استقبالهم كما وجدوا من ملايكها كل ترحاب وعطف، حيث أشار عليهم الرسول بالهجرة من مكة إلى الحبشة وقال لهم : (إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد.، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم عليه).

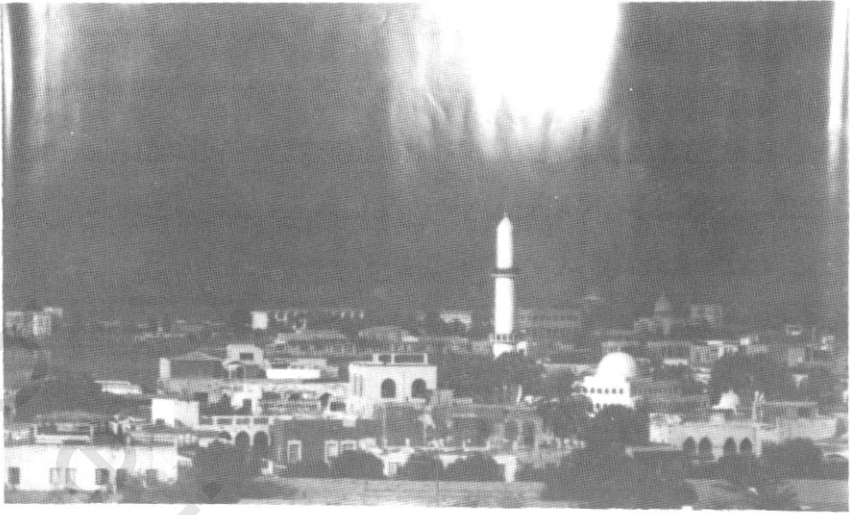
وقد أجمع مؤرخو العرب على أن النجاشى أكرم هؤلاء المهاجرين، ووجدوا الأمان والاطمئنان، وقد استقر بعضهم، وعاد البعض الآخر إلى مكة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب سنة ٦٢٢م.

الهجرة الثانية

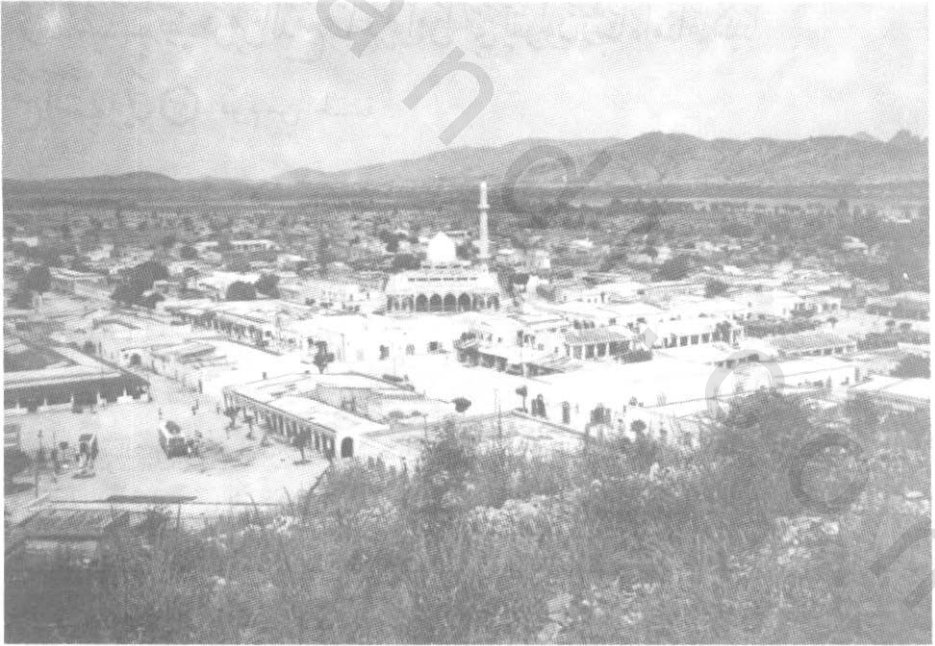
ولما كانت قريش لا تكف عن أذى المسلمين، اجتمع عدد كبير من الصحابة حتى بلغ عددهم الثمانين رجلاً عدا النساء والأطفال وقصدوا الحبشة فرحب بهم النجاشى للمرة الثانية، وأسكنهم مجتمعين لقيموا شعائر دينهم، ومنهم من استقر وتكونت منهم عائلات، لا تزال أحفادها تدعى بانتمائها إلى هذا الأصل بكل فخر واعتزاز.

وفى السنة السادسة للهجرة أرسل الرسول إلى الملوك والأمراء ومن بينهم النجاشى كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام.

وقد أكدت الروايات أن النجاشى قد أسلم قبل وفاته، وأخفى إسلامه فى ذلك الوقت، وأن صلة قد نشأت بينه وبين الرسول طوال حياته. وتقول بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى إلى المسلمين، مما جعل بعض المؤرخين يذهب



مسجد مصوع



مسجد آخوندات

إلى أنه كان مسلماً. وروى عن السيدة عائشة زوج الرسول ، أنها قالت : لما مات كان يتحدث الرسول قائلاً : (أنه لا يزال على قبره نور) .

وكانت هذه المعاملة التي لقيها الصحابة من النجاشي خاصة والحبشة عامة ، باعثاً قوياً على توثيق العلاقات بين مـيـحـى الحبشة وبين الإسلام ، وكان طبعاً أن ينوه القرآن الكريم والنبي بالحبشة ويشني عليهم . وقد روى عطاء بن أبى رباح أن ما ذكر الله به النصارى من خير فى القرآن ، فإنما يراد بهم النجاشي وأصحابه فى الحبشة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيْنَ
وَرُحْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

وقد قيل إن المقصود بقوله تعالى وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ قوم من الحبشة .

وقد أفسح الإسلام بهذه العلاقات الطيبة مجالاً ، يصح للمؤثرات الحبشية لكي تعمل فى جو أكثر طلاقة وحرية فى عرب الشمال وأهل الحجاز بوجه خاص ، كما عملت من قبل فى أهل الجنوب ، وكانت هذه المؤثرات قوية وفعالة ، لأنها كانت تتغذى من جهات كثيرة ، فكانت تنمو وتزداد من تلك الصلات المباشرة بين العرب ، ووفود الحبشة التى قدمت على النبي وبين العرب والأحباش الذين كانوا يعيشون فى الحجاز ، وبين المسلمين وبلاد الحبشة وإريتريا التى اتصلوا بها وهاجروا إليها وعاشوا فترة من الزمان فيها ، ثم من تلك الصلات غير المباشرة التى جاءت عن طريق اليمن والتى كانت مسرحاً للمؤثرات خلال قرون على الأقل قبل عصر الرسول .

(١) سورة المائدة : آية ٨٢

(٢) سورة المائدة : آية ٨٣



جامع أغردات

ومنذ تلك الفترة انتشرت الدعوة الإسلامية فى إريتريا والحبشة ، منذ عصر النبوة حيث مكث الصحابة المهاجرون ستة عشر عاماً وهم يقيمون شعائر الإسلام ، ويوطدون تعاليمه وظل الإسلام منذ البدايات الأولى ، ينتشر فى أرجاء البلاد ، ويتمتع من تلقاء نفسه دون أن يكون له مبشرون من المسلمين ، سوى أفراد قلائل من الدعاة ومن التجار العرب ، الذين كانوا يعبرون البحر للتجارة .

وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل كتيبة مؤلفة من ٣٠٠ رجل بقيادة علقمة بن مجزة الكينائى إلى سواحل إريتريا فى شهر صفر عام ٢٠ هـ بقصد الدعوة الإسلامية .



أرض النجاشى

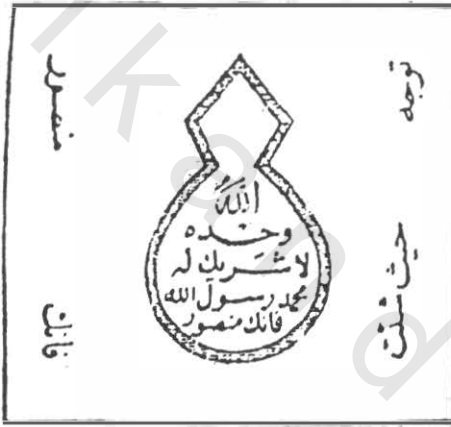
مسلة أكسوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 من قبله ما كان ولا شيء من قبله
 سي عظمه الجليله على من
 اسع القدي اما في اي يا كنهه
 ك الله الذي في الاصل
 المدوس السلا على من المخلص
 و اسعد ان سي من الله
 الله و كلمه الهاها اليه
 ل الطيه الحصين و كلمه
 و كلمه و كلمه كما خلق
 ابي ادع و الى الله و كلمه
 ك له و السوا لاه على طاعته
 ليعني و يوفى بالذي خاني قاي
 سوا ل الله و ابي ادع و كلمه
 ك الى الله و كلمه
 و كلمه قاي و كلمه
 اسع القدي

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي

خاتم النبوة

هذا مثال خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم
ومكتوب من الثمر بقم القسرة



تأثير الثقافة العربية الإسلامية

دخل الاسلام إلى إريتريا في وقت مبكر اذ استولى الأمويون في عام ٨٤ هـ الموافق (٧٠٢ م) على جزر دهلك وأقاموا بها القلاع لحماية طرق التجارة البحرية وتشجيع العرب على استيطان الشاطئ الإريتري بعد أن نظفته القوات الأموية من القراصنة ومن ثم اتخذت الاسلام والثقافة واللغة العربية وأخذت طريقهما إلى السهول الإريتريّة ثم إلى بعض مناطق الهضبة . وأصبحت هذه المنطقة بحكم موقعها على الساحل المقابل للجزيرة العربية المجال الحيوي للجماعات التي خرجت من الجزيرة العربية للتجارة وطلب الرزق أو لاتخاذ مواطن جديدة هربا من حالات الذعر التي سادت الجزيرة العربية والعالم الإسلامي في تلك الفترة بسبب حروب الأمويين والعباسيين وحروب العباسيين والعلويين . وكانت القرون الثلاثة التي تلت القرن السابع الميلادي فترة تصاهر فيها العرب النازحون من قبائل البيجة التي اكتحت المنطقة والقبائل السامية الكوشية القديمة وعن طريق المصاهرة والتجارة انتشر الاسلام في إريتريا (١) .

ويشير إلى ذلك المؤرخ الإيطالي (كونتي روسيني) إلى ولايات اسلامية عربية مزدهرة في دهلك والشواطئ الإريتريّة في القرن الثامن الميلادي ، وبالفعل في جزيرة دهلك التي كانت أول جسر للاسلام وللثقافة العربية في إريتريا . صحب الانتعاش الاقتصادي من تجارة اللآلئ نوع من الانتعاش الثقافي . فاستقر بها العلماء وتأسست فيها رواية التعليم الديني واللغة . وتدل الخطوط الكوفية الجميلة التي وجدت منحوتة بكثرة في الأضرحة والقبور والمساجد والقصور ، والتي أجرى المشرق الفرنسي رينيه باسيه دراسة

(١) انظر كتاب تاريخ إريتريا المعاصر للمؤلف عن دخول الإسلام في إريتريا ، ص ٩٠

حول بعض نقوشها التي نقلها معه إلى متحف باريس عام ١٨٩٣^(١) . أدى ذلك إلى انتعاش حركة الثقافة العربية . وقد أشار كل من المعودي وابن حوقل إلى ازدهار التجارة في دهلك .

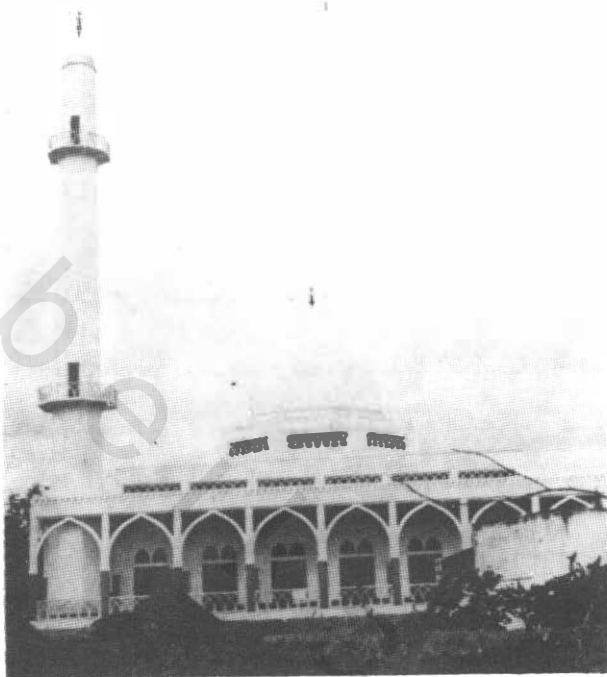
وقد تعرض المؤلف لتاريخ الجزيرة منذ أقدم العصور لكنه لم يحجل عن ماضيها إلا القليل .

نبذة تاريخية مختصرة عن جزر دهلك

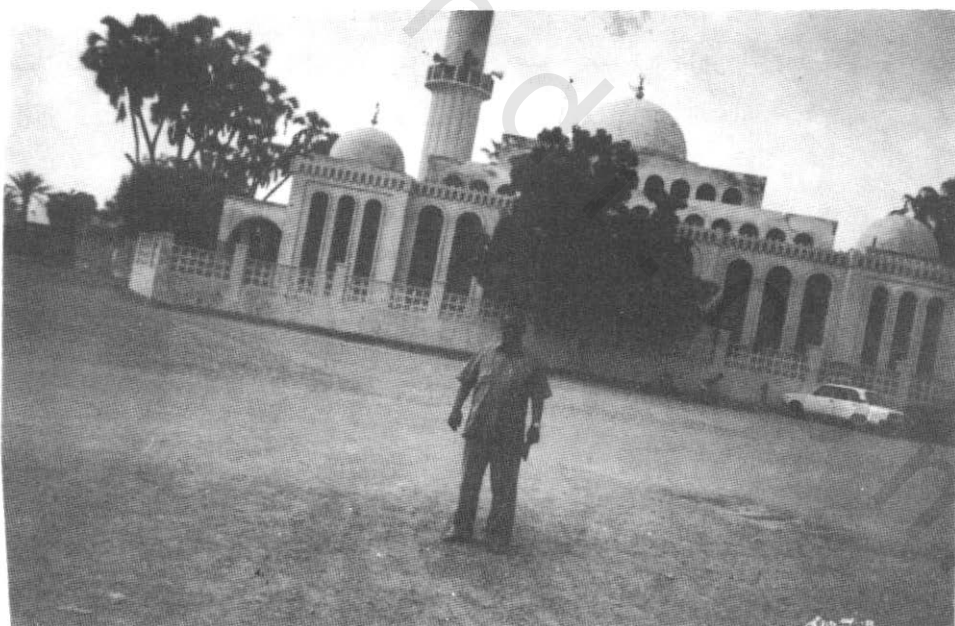
ودهلك أرخبيل إريتري يضم أكثر من ١٥٠ جزيرة أهمها (دهلك كبير) وعاصمتها جمهلي و (نخرة) و (دحل) و (حارات كبير) و (دفنين) و (هرمل) وتقع مقابل مصوع على بعد ٦٠ ميلاً شرقاً ، وتضاريسها سهلية مع تلال منخفضة ، طقسها حار جاف صيفاً معتدل قليل الأمطار صالح للمياحة شتاءً ، وعدد سكانها مع توابعها من الجزر يقدر بنحو عشرة آلاف خمسة يشتغلون بصيد الأسماك واللاّليّ ، ويقول المؤلف الفرنسي في دراسته إن دهلك بسط رخاءً في البلاد تشهد عليه أنصاب تذكارية متنوعة ، لا سيما النقوش المحفورة حفراً عميقاً ، والقسم الأكبر موجود في فرنسا ، حسب أقوال (سالت) المؤرخ البريطاني ، ويمكن القول إن دهلك تعد مهد الحضارة لمنطقة شمال شرقي إفريقيا فقد كانت بحكم موقعها الجغرافي القريب من البرين الإفريقي والعربي على مقربة من طريق الملاحة الدولي في البحر الأحمر ، ملتقى للحضارات ومراكز للتجارة . قصدها المصريون في عهد حتشبسوت في طريقهم إلى بلاد (البونت) بحثاً عن البخور واللبن والعاج . وذكرها مؤرخ كشاف في البحر الأحمر في القرن الأول الميلادي باسم (البوس) وأشار إليها المؤرخ اليوناني (أرخميدس) باسم (دليا) ، وقد تشكل سكانها في الغالب بجانب السكان المحليين من الهجرات العربية من الجزيرة العربية واليمن . وبحكم موقعها الجغرافي إذ لا تبعد عن ميناء الحديدة بالساحل اليمنى سوى خمسين كيلومتراً^(٢) . واستقرت بها موجات المهاجرين الحميريين في عهد سبأ منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام بعد انهيار سد مأرب ومنها انتقل المهاجرون إلى البر الإريتري .

(١) رينيه باسيه : النقوش الكابية في جزر دهلك ، مرجع سابق

(٢) محمد علي : معلومات تاريخية عن جزيرة دهلك الإيترية ، جريدة الوثبة ، ص ٤



المؤلف أمام جامع حنقى بمصوع



وعندما بسط الفرس نفوذهم فى عهد (خسرو) على اليمن فى القرن السادس الميلادى
إثر طردهم الأحباش منها فى سياق صراعهم مع الإمبراطورية الرومانية ، مدوا سيطرتهم
على دهلك والبر الإريتري و ثغره المعروف (عدوليس) وبنوا بها الصهاريج التى لا تزال
تعمل لخزن مياه الأمطار شبيهة بالصهاريج الموجودة فى عدن .

دهلك فى عصر الإسلام

بعد ظهور الإسلام ارتبطت دهلك وتوابعها بالخلفاء المسلمين وقد اتخذها العرب فى
بداية الأمر منفى للمغضوب عليهم من الشعراء والسياسيين فنفى إليها الخليفة الأموى
سليمان بن عبد الملك الشاعر الأحمص ، كما نفى إليها يزيد بن عبد الملك فى عام ٢٧١م
أحد فقهاء المدينة اسمه عسراق بن مالك ، وهاجر إليها من كانوا يطلبون الأمان لأرواحهم
من بنى أمية والعلويين بعد انتقال الحكم إلى العباسيين ، نقلوا إليها الحضارة والعلم
وأصبحت دهلك مركز إشعاع لتعليم فقه اللغة والدين ، وفد إليها طلاب العلم من
مختلف أنحاء منطقة شمال شرقى إفريقيا واليمن . واشتهرت الجزيرة بعد أن سيطر
سلاطينها على أجزاء من البر الإريتري وبخاصة مصوع وجزيرة الريح كمركز لتجارة
اللالىء والتروس المصنوعة من جلود السلاحف المجففة وريش النعام .



ويفسها اليعقوبى فى القرن التاسع الميلادى بأنها أحد المراكز الرئيسية لنشر الدين الإسلامى والثقافة العربية بحكم توافد العلماء والشعراء العرب إليها ، وكان الاهتمام بالنقوش الكتابية ، والخط الكوفى يزينان الأضرحة ومنابر المساجد ومدخل القصور ، ومن هذه النقوش الكتابية نقش للسلطان حنين بن محمد بن منصور يعود تاريخه إلى عام ١٨٠٩ م .

وقد تعرضت دهلك لتدمير وحشى من قبل الأسطول البرتغالى الذى وصل إليها فى عام ١٥١٣ م عندما كان يحكمها السلطان أحمد بن إسماعيل الذى وجد على قبره نقش كتابى محفوظ الآن فى متحف (بار له دون) فى باريس .

وقد قاوم أهالى دهلك الغزو البرتغالى ، ولم يستسلموا ، وعندما أدرك السلطان أحمد بن إسماعيل مقاصدهم الاستعمارية أوصد أبواب بلاده فى وجوههم قائلاً : (ليس فى هذه الأرض تجار ، بل إنهم جميعاً محاربون) (١) .

وعندما حاولت المجموعة الاستطلاعية بقيادة (لورنسو دى كوسمه) النزول إلى الجزيرة أبادها فى كمين ، وأثارت هذه الواقعة حنق البرتغاليين ورغبتهم فى الانتقام ، فانطلق الأسطول البرتغالى من جاوا بالهند عام ١٥٢٠ م بقيادة (ديفو دى اسكويرا) ففر سكان الجزيرة إلى بر مصوع ، وحول الأب (الفارز) جامع مصوع إلى كنية أطلق عليها (شاقعة مريم العذراء) .

وقد ازدهرت الحياة فى جزر دهلك كما أوضحنا وأصبحت مركزاً للحضارة وبناء القلاع والحصون ، وقد اتخذها الخلفاء الأمويين منفى للشعراء والمعارضين . وقد هجا أحد الشعراء المتفين جزيرة دهلك معرفاً بحرارة طقسها ، وهجا معها وإليها من قبل الأمويين ويدعى مالك بن شداد ، وكان مشهوراً بالقسوة وعدم إكرام الشعراء . فقال الشاعر أبو الفتح نصر الله بن قلاقس الإسكندراني (٢) :

(١) محمد على : مرجع سابق ، ص ٤

(٢) الشاعر أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن اللخمى الأزهرى الإسكندراني - ولد فى ديسمبر ١٩٣٧ وتوفى فى ١٩٧٢ فى عبادان

وأقبح بدهلك من بلدة فكل امرئ حلها هالك

كفك دليلاً على أنها جحيم وخازنها مالك

وقد لعب هؤلاء الشعراء والمنفيون إلى دهلك دوراً كبيراً في إنشاء المراكز العلمية لتعليم الناس الفقه واللغة العربية (١).

ومع انتشار اللغة العربية كلغة ثقافة وتعليم وتخطب وإحياء دين إلا أن السكان ظلوا في أغليبيتهم يتحدثون لهجاتهم المحلية وبالأخص التجري التي تنتشر في شرق وغرب وشمال إريتريا وهي فرع من فروع الجئز ولكنها غير مكتوبة وتذخر بكثير من المفردات والألفاظ العربية ، وتعتبر لغة الشعر الراقية •

ويعتقد المستشرق الإنجليزي أولندورف (أن التجري تتفهم كلما كثر عدد المتعلمين من المسلمين الذين يتخذون العربية لغة ثقافة لهم ، ويحتمل انقراضها إذا ما انتشرت اللغة العربية بشكل أوسع في إريتريا) (٢) .

ويصح ذلك أيضاً على اللغات الكوشية والحامية والنيلية : الساهو ، الدناكل ، الحدارب ، البلي ، الباريا والبازا وهي اللهجات التي تحدث بها معظم القبائل الإسلامية ، وبانتشار اللغة العربية في هذه المناطق تقل أهميتها بالنسبة للسكان ؛ لأن العربية هي لغة الدين والثقافة بالنسبة لهم ، وهذا الموضوع يجرننا إلى توضيح اللغات في إريتريا وأثرها في تشكيل السكان .

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن إريتريا ، وبالرغم من هذا التنوع الإثنى ، فإن ذلك لا يعنى صفاء أو بعد القوميات الأخرى المذكورة غير العربية عن علاقة القرابة في الجذور العرقية أو الانتماء الإسلامى مع العالم العربى . وكما هو واضح فى فترة من الفترات كانت إريتريا نقطة ارتكاز للهجرات التى أدت إلى التزاوج بين العناصر السامية والحامية والزنجية . وتكون البلاد من تسع مجموعات رئيسية من القوميات :

١ - (تجري) وغليبيتها مسلمة .

(١) انظر لوحة عربية عثر عليها فى جزيرة دهلك فى الصفحة التالية ، ص ٦٠

(٢) أولندورف : المستشرق الانجليزى

- ٢ - (الرشيدة) وهم عرب جميعهم مسلمون .
- ٣ - (الساهو) وأغلبهم مسلمون مع قلة مسيحية .
- ٤ - (البلين) غالبيتهم مسلمون والباقي مسيحيون .
- ٥ - (الحدارب) وكلهم مسلمون .
- ٦ - (العفر) وجميعهم مسلمون .
- ٧ - (الباريا) وأغلبهم من المسلمين .
- ٨ - (البازة) خليط بين المسلمين والمسيحيين وقلة وثنية .
- ٩ - (تجرينية) وهى أكبر القوميات الإريترية وغالبيتهم مسيحيون مع قلة مسلمة من الجبرة ، وكانت اللغة التجرينية هى اللغة الرسمية المعتمدة فى البلاد إلى جانب العربية ، وقد اعتمد هذا الواقع وقتنه رسمياً برلمان إريتريا قبل عام ١٩٥٢



لوحة عربية عثر عليها في جزيرة دهلوك الإريتيرية ويعود تاريخها
 لأكثر من ألف عام وهي خير شاهد على قدم
 علاقات هذا الشعب بالعرب

اللغة العربية وتأثيرها على اللهجات المحلية

لقد أوضحنا في المقدمة أن إريتريا كانت منذ عهود قديمة معبرا للهجرات الشعوب التي امتازت عناصرها واختلطت دماؤها بالتزاوجات التاريخية مما لا يترك مجالا لتصنيفها اليوم على أساس انتمائها العرقي

فقد تشكل سكان إريتريا كغيرهم من سكان مناطق شمال شرقي إفريقيا على مدى العشرة آلاف عام الماضية ، من هجرات متباعدة ، أظهرها هجرات الشعوب النيلية الزنجية من جنوب السودان وغربه ، وهجرات الشعوب الكوشية - القوقازية - الحامية - من الشمال ، وهجرات البشيين والحميريين من اليمن عبر البحر الأحمر وآخرها هجرة العرب من الجزيرة العربية على مضض منذ فجر الإسلام .

ومن الأوفق عند تصنيفنا للانتماءات القومية لسكان إريتريا أن نضع في المقام الأول اعتبارات اللغة والثقافة ، فالتحدثون بالتجري أو التجرينية أو الدنكلية والبهاوية أو البجاوية يمثلون تجمعات لغوية وثقافية وحضارية ، وليسوا بتجمعات عنصرية .

ويتحدث السكان في إريتريا بلسنتين مكتوبتين وسبع لهجات محلية والعربية والتجرينية هما اللغتان الرسميتان حسب المادة ٣٨ من الدستور الإريتري الذي صدقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من يوليو سنة ١٩٥٢ وأقرها البرلمان الإريتري في تلك الفترة .

وتنقسم هذه اللهجات إلى ثلاثة أقسام أساسية هي :

- ١ - اللغات السامية : وهي التجري والتجرينية
- ٢ - اللغات الحامية : الكوشية وهي الدناكل والساو الحدارب - لغة البلين .

٣ - اللغات النيلية : وهى لهجة نارا (الباريا) لهجة البازا (كوناما) .

وهنا تأتى اللغات، السامية فى مقدمة اللهجات الإريتريّة من حيث أهميتها ودورها الثقافى والحضارى ومن حيث عدد المتحدثين بها ، وتمثل فى لغتى (التجرينية) و (التجرى) . ولا يقل عدد المتكلمين بهما عن ٨٠٪ من مجموع السكان .

وكما ذكرنا فى السابق فقد اشتقت اللغتان من لغة جزر ذات الأصول البيئية والى بطل الحديث بها منذ اضمحلال مملكة أكسوم فى القرن الثامن الميلادى .

وقد انقرضت اللغات البئية فى جنوب الجزيرة العربية ولم تبقَ منها إلا لغة (المهرة) فى إقليم ظفارة ، وفى اليمن ، فى بعض المحافظات الجنوبية وهى لهجة غير مكتوبة وتشبه التجرى والتجرينية فى تركيبها وفى كثير من مفرداتها ، وتشابه التجرى والتجرينية فى الأصول وفى كثير من المفردات لكنهما أصبحتا لغتين منفصلتين لا يمكن التفاهم بين المتحدثين بهما تماماً .

والجدول التالى يبين التشابه فى المفردات بين العربية والتجرينية والتجىرى :

عربى	تجرينية	تجىرى
سمع	سمع	سمع
رأيت	رئينحا	رئيكا
ما اسمك	من شمك	من سمك
علا	لعل ابليو	لعل بيللا
تحت	تحتى	تحت
بكى	بكيو	بكى
واحد	حادى	حتنى

عربى	تجربىة	تجربى
اثنين	كلى	كلى
ثلاثة	للى	ثلث
أربع	أربعتى	أربع
خمسة	حموشتى	خمس
ستة	شدوشتى	سوسى
سبعة	ثبعى	سبع
ثمانية	شومتى	ثمان
تسع	تسعائى	تسع
عشرة	عسرتى	عشر
رجل	اجرى	اجر
أنف	انفى	أنف
رأس	رأسى	رأس
عين	عينى	عينى
يد	اد	ادى
فوك	افك	افوك
إذن	اذنى	اذن
بلع	بلع	بلع
أنا	انى	أنا
أنت	انتى	انت

وهناك كثير من المفردات والألفاظ من لهجات الساهو والدناكل تأثرت باللغة العربية
نورد منها نماذج فيما يلي :

عربى	عفرى	الساهو
نحر	نحر	نحر
بعل	بعلا	بعلا
ملح	ملحو	ملحو
دوم	دوم	دومه
فم	أفا	أف

وهكذا تأثرت جميع اللهجات الإريترية باللغة العربية من حيث المفردات والألفاظ .
كما تنتشر اللغة العربية فى إريتريا ، وخاصة فى المدن والمناطق الإسلامية . وكانت
اللغة العربية لغة الثقافة بالنسبة إلى المسلمين منذ عهود قديمة وهى أقرب لغة بالنسبة
للشعب الإريترى عموماً ، وهى من اللغات الحية العالمية .
وفى التجريدية والتجريد يقولون (عشرين ، ثلاثين ، أربعين ، خمسين ، ستين ،
سبعين ، ثمانين ، تسعين الى آخره) .
وتكتب التجريدية من اليسار إلى اليمين ، ويفصل بين الكلمة والأخرى بنقطتين
رأسيين .
واللغة التجريدية ليست عقيمة وإنما هى غنية بأدائها من قصص وحكايات شيقة وحكم
وأمثال ، كما أوردنا أمثلة عند حديثنا عن الأدب فى إريتريا .
كما تأثرت لغة العفر والساهو باللغة العربية فى كثير من الألفاظ والمفردات ، كما هو
واضح فى الجدول السابق .

obeikandi.com

الفصل الثالث

جذور الثقافة العربية في إريتريا

- ١ - الثقافة واللغة العربية قبل ظهور الاستعمار الأوروبي في إريتريا
- ٢ - الثقافة والتعليم في ظل الاستعمار الإيطالي
- ٣ - الثقافة والتعليم في فترة نمو الحركة الوطنية في إريتريا عام ١٩٤١

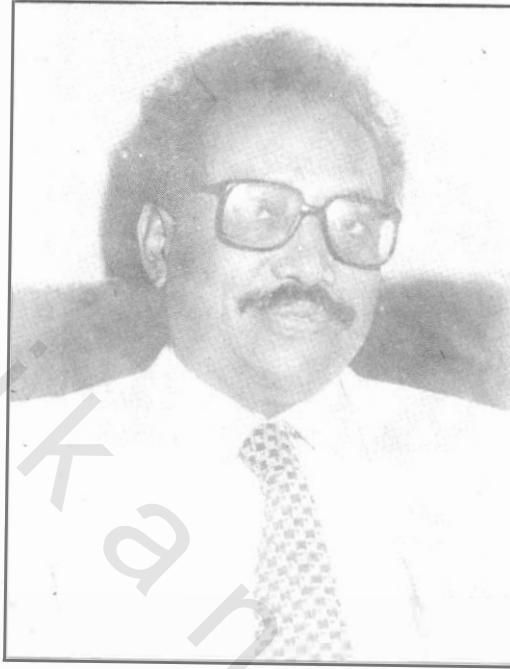


إن إريتريا تقع جغرافياً في إفريقيا . ولكن ثقافياً وحضارياً فإنها عربية الحضارة وعربية الثقافة . مما يؤسف له أننا نعرف عن أشقائنا العرب أكثر مما يعرفون عنا . . . وحينما يطلب الإريتريون دعماً ، فهذا الدعم لمساندة هذه الخلفية الحضارية العربية الهوية . إننا شعب عربى له أصوله العربية ، وتاريخه مرتبط بالعروبة (١) .

عمر محمد برج (٢)

-
- (١) حبشى رشدى : فى حوار مع السيد عمر محمد برج رئيس اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الإريترية التنظيم الموحد ، مجلة العهد ، الدوحة ، ٩ فبراير ١٩٨٨
- (٢) المناضل عمر السيد محمد برج - الرئيس الجديد للجنة التنفيذية لجبهة التحرير الإريترية (التنظيم الموحد والذى انتخب لقيادة الجبهة خلفاً للشهيد القائد عثمان صالح سبى

وعن الثقافة العربية فى إريتريا يقول عثمان صالح سبى :



إن الثقافة العربية والإسلامية فى إريتريا ومنطقة القرن الإفريقى هى ثقافة مؤسسة منذ أكثر من ألف عام فى هذه المنطقة، وليست جديدة، بل عميقة الجذور .

عثمان صالح سبى



ومن أقوال الرئيس آسياسي أفورقي : حول علاقة إريتريا بالعرب وخاصة باليمن
والمعمودية ومصر والسودان . *

يقول الرئيس : إن هناك صلة أكثر من الروابط المذهبية والروابط الدينية . * هناك
روابط أقوى من ذلك كالروابط الثقافية والتاريخية ، وقد تكون هذه الروابط عرقية
استراتيجية وثقافية تدل على الإسلام . * والروابط الموجودة عبر التاريخ تقع ضمن هذه
الثقافة .

فعلاقة إريتريا بالعالم العربي ليست وليدة القرن العشرين والقرن التاسع عشر . *
فصلتهم بالمنطقة أبعد من ذلك ؛ لأنه إذا رجعنا بالتاريخ قليلاً نجد الصلة التاريخية والصلة
العرقية ، فصلة الدم والتواصل بين إريتريا والمنطقة لا تحتاج إلى أى مبالغة . * هذه الصلات
موجودة في التاريخ قبل مجيء الإس م وقبل مجيء النصرانية .

هذه الصلة كانت موجودة منذ القرن الخامس أو السادس بالتعايش ضمن العلاقات التاريخية . • • هذه صلتنا بالمنطقة العربية والمنطقة الإسلامية ^(١) .

ومن أقوال الرئيس عن اللغة العربية :

(أنا تعلمت اللغة العربية . • • إبنى يتعلمها فى المدرسة وهو اليوم فى الفصل السادس ، يتعلم اللغة العربية وليست التجريبية ؛ لأن المرحلة التى كنا فيها تابعين انتهت . إبنى يدرس فى المدرسة يتعلم اللغة العربية أنا بإمكاناتى المحدودة أساعده أن يتعلم اللغة العربية) ^(٢) .

ومن أقوال الرئيس عن حرية الرأى :

يقول : (نعم حرية الرأى مكفولة لكل المجتمع ، كل مواطن له الحرية أو الاستقلالية فى طرح الآراء • • لكن المنهج واضح وسياسة التعليم الحكومية واضحة فى هذا المجال) ^(٣) .

هذه مقتطفات من أقوال الرئيس الإريتري حول الصلات التاريخية بالعرب واللغة العربية فى حوار مع جريدة (المسلمون) ، أردت أن استرشد بها ضمن حديثى عن جذور الثقافة العربية فى إريتريا ، ولا أرى فيها أى خلاف مما طرحت ، بل تتفق مع وجهة نظرى التى أبديتها فى هذا الكتاب بالأدلة والبراهين والحجج .

واتفق معه من حيث الشكل والمضمون فى طرحه لهذه المسألة الحساسة والتى نحن هنا بصدد معالجتها فى وطننا إريتريا باعتبارها حقائق تاريخية ثابتة لا جدال فيها ، ولكن أين نحن من الواقع والتطبيق العملى ؟

لذلك مطلوب منا جميعا حكام ومحكومين أن نعالج هذه المسألة بحكمة وباعتدال متفتح وبرؤية مستقبلية ثاقبة ، دون التعصب من الجميع لنصل إلى الحلول المرضية نخرق فيها الحواجز النفسية القديمة حفاظاً على الوحدة الوطنية والتى نحن فى أمس الحاجة إليها اليوم قبل الغد ؛ لنبنى إريتريا الحديثة .

وبالله التوفيق .

(١) عبدالله الرفاعى (دكتور) : حوار مع الرئيس أفورقى ، رئيس دولة إريتريا ، فى جريدة (المسلمون) الجمعة ١٨ رجب ١٤١٧ هـ - ٢٩ نوفمبر ١٩٩٦ ، جدة ، العدد (٦١٧)

(٢) عبدالله الرفاعى (دكتور) : المرجع السابق نغمه

(٣) عبدالله الرفاعى (دكتور) : المرجع السابق

عثمان صالح : وزير التربية والتعليم فى إريتريا



قال عن اللغة العربية والثقافة العربية : فإن اللغة العربية ليست غريبة عنا فهى ضمن اللغات التى جاءتنا من جنوب شبه الجزيرة العربية مثلها مثل اللغات التجريدية والتجريدية والأهمرية ؛ حيث يعود أصلها إلى اللغة الجيزية الحميرية القديمة . ولهذا ليست لدينا حواجز نفسية تجاه اللغة العربية فهى لغتنا وليست لغة إسلامية فقط ؛ بل لغة ثقافة سبقت الرسالة المحمدية . فنحن نؤمن بالتواصل الثقافى بين الثقافات المختلفة وندعو إليها فهى مقررة فى المدارس الإريترية منذ الإبتدائى وحتى الثانوى ، كما أن هناك مدارس تدرس كل المواد باللغة العربية (١) .

(١) محمد طه توكل : فى حوار مع وزير التعليم الإريترى فى أسمرا، جريدة الشرق، الدوحة، قطر

الثقافة واللغة العربية قبل ظهور الاستعمار الأوروبى فى إريتريا

لقد تحدثنا فى الفصل التمهيدى عن الموقع الذى تمتاز به إريتريا والذى كان له أثره البالغ من حيث تكالب الاستعمار والقوى الخارجية فى أرضه وأيضاً الهجرات العربية المتتالية والتي لعبت دوراً مهماً فى التكوين الاجتماعى للشعب الإريتري.

ولاشك أن إريتريا بحكم موقعها الجغرافى - كما لاحظنا - كانت مسرحاً دائماً لموجات متتالية من الهجرات سامية، حامية، زنجية. ومن هنا يمكننا أن نقول أن السكان هم مزيج من هذه التزاوجات التاريخية تضاف على ثقافتهم وملامحهم السمات السامية والعربية لأن الانصهار على مر التاريخ والترابط فى إطار المصالح الاقتصادية المتشابكة جعل منها كلاً لا يتجزأ^(١).

وهذه السمة - سمة التعدد - لا تنفرد بها إريتريا وحدها فنادراً ما يوجد فى العالم قطر يتكون سكانه من سلالة عنصرية واحدة، أو من تجمع ثقافى ولغوى واحد، فالتجانس فى إطار التعدد سمة مألوفة فى كل أقطار العالم، فتكوين البلاد الجغرافى وتضاريسها يعكس أكثر من أى شىء آخر على ظروفها السكانية.

ويقول الدكتور رجب حراز فى كتابه (إريتريا الحديثة) قائلاً: (إن هذه الهجرات والغزوات البشرية قد تركت بصماتها على الكيان الإريتري الأنثولوجى) فصار متبايناً، تكاد تحل كل مجموعة بشرية منه إقليماً جغرافياً مميزاً. ويشترك أفراد المجموعة البشرية الواحدة فى صفات معينة كاللغة والدين والطرق المعيشية^(٢).

(١) محمد عثمان أبو بكر: تاريخ إريتريا المعاصر، أرضاً وشعباً، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٧٥

(٢) رجب حراز: إريتريا الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤، ص ١.

إن وفود هجرات من الساميين البئيين ثم الحميريين ، الذين عبروا البحر الأحمر للإستيطان فى الهضبة الإريتريّة والحبشة ، لتشابه مناخها مع مرتفعات جنوب شبه الجزيرة العربيّة التى جاءوا منها .

وجلب الوافدون الجدد معهم معارفهم عن التنظيم السياسى وأساليب الزراعة المتقدمة ، كما كانت لهم خبرة بالتجارة وصلات بالعالم المتحضر ، مما ساعدهم على إقامة حضارة ذات مستوى عال نسبياً من الناحيتين المادية والثقافية ، ونشروا ثقافتهم وكتاباتهم ولغتهم (الجئزيّة) GEEZ . واستطاع النازحون الجدد أن يخضعوا الحاميين لسلطانهم ونفوذهم وأن يصهرّوا عن طريق التزاوج بفضل تفوقهم الحضارى ، وتكونت من الامتزاج بين المستوطنين الساميين والسكان الحاميين سلالة جديدة ذات دم مختلط عرفت باسم (الحبش) (١) .

ولاشك أن هجرات العرب إلى الساحل الإريتريّ قد استمرت طوال العصور الوسطى لقرب الشقّة بين هذا الساحل والساحل الشرفى للبحر الأحمر ، واندماج المهاجرون ، والتجار العرب بالسكان المحليين عن طريق التزاوج ، ولذا تظهر السحنة العربيّة واضحة فى ملامح الإريتريين وبخاصة سكان الجهات الساحلية والغربيّة (٢) .

والثقافة : هى حياة الإنسان لا وجود لها بدونه ، كما لا قيمة له بدونها . فالإنسان يعيش بها ، ولها ، ويقاقل من أجلها إذا اقتضى الأمر (٣) .

والإنسان يكتبها اكتساباً واعياً وأحياناً خاصة فى البدايات الأولى يضطر إلى خلقها خلقاً ، حتى يتمكن من تحقيق التقدم والرضى الحضارى فى أسلوب حياته .

وحين يرتقى الإنسان بهذه الثقافة المختلفة والمكتسبة من خلال النضال ، يصل إلى التمدن أو الحضارة ، التى تعد أرفى درجات العقل للثقافة . وإن ذلك لا يتم إذا لم تكن الحضارة ذات بعد إنسانى فالعبرة فى نهاية الأمر ليست فيما تنتجه هذه الحضارة أو تلك من

(١) المرجع السابق ، ص ٨

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠

(٣) وهذا حدث بالنسبة للشعب الإريتريّ ، عندما أعلن ثورته المسلحة ضد قوات الاحتلال الإثيوبى ، وهى ضمن العوامل التى أدت إلى إعلان المقاومة الوطنية المسلحة بسبب الغاء الثقافة الإريتريّة المتمثلة فى اللغة العربيّة والتجربيّة عام ١٩٦١

المنجزات المادية، وإن كان ذلك بحد ذاته مهماً، بل ما تحويه وتكونه من قيم ومبادئ إنسانية^(١).

والثقافة عموماً، كما هو معروف، ليست مقتصرة على جنس أو فئة دون أخرى أو مكان دون غيره^٥.

فالثقافة لا تعرف بل لا تعترف بالحدود البشرية ولا الجغرافية. وحيث إنها ترتبط بالإنسان وجوداً وزماناً ومكاناً، ولذلك فهي قابلة للتغير تقدماً وانحطاطاً^(٢)، وإذا نظرنا إلى مفهوم الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جميع السمات الروحية التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتحثة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها نهتدى إلى القيم ونغارس الاختيار وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته^(٣).

والثقافة بمفهومها العام هي ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات، والعادات والتقاليد والاتجاهات، والقيم، وأساليب التفكير، والعمل، وأنماط السلوك، وكل ما دخل عليها من تجديدات، أو ابتكارات أو وسائل من حياة الناس، وتعتمد الثقافة في جوهرها على العملية السلوكية المكتسبة كما تعتمد على التعليم وهذا ما يؤكد حاجتها إلى العملية التربوية.

واهتمام الشعب الإريتري بالتعليم والثقافة والفنون لم يكن وليد الحاجة بل هناك حضارة وثقافة عريقة وأصلية يعود تاريخها إلى أزمان بعيدة كما أوضحنا، فإريتريا غنية بالآثار العربية، فقبل أكثر من ٢٠٠ عام كان الفنان الإريتري يستخدم جدران منزله ليرسم عليها لوحات فنية تعبر عن روح الشعب التواق إلى الحرية. وقد عثر المنقبون على نماذج

(١) أحمد البغدادي (دكتور): مفهوم الثقافة، ص ٩، مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون، العدد الرابع، إبريل - يونيو ١٩٩٦

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١.

(٣) هذا التفسير الذي توصل إليه إعلان مكيكو عام ١٩٨٢ حول مفهوم الثقافة يتقارب كثيراً، بل ويجسد التعريف الذي قدمه الكاتب ب. س. ٠ دانييل عام ١٩٦٢ في كتابه Culture : and Intro-duction، حيث يورد التعريف التالي : Culture : Realization of values بمعنى أن الثقافة هي إدراك واستيعاب القيم. ويتفرع عن هذا الاستيعاب كل ما يتصل بالإنسان والمجتمع قديماً وحديثاً

غزيرة من اللوحات والمنحوتات والخطوط والكتب في عدوليس ومصوع وقوحيو وغيرها (١).

وفى دهلك كان هناك نقش كتابى ضريحى باللغة العربية يعود تاريخه لعام ١٥٤ ، حفره فى جزيرة دهلك أحد المبعوثين من التجار الفرنسيين ولا يزال محفوظاً فى متحف يارله دون بياريس (٢).

وقد عثر لتمان على عدد من القطع الأثرية يعود تاريخها إلى ما بين القرن الخامس والأول قبل الميلاد (٣). وإريتريا غنية بالآثار التاريخية رغم أن تاريخها يفتقد إلى الأبحاث والحفريات الأثرية.

أحداث ومواقف حول اللغة العربية

ومن ينادون اليوم باعتبار اللغة العربية أجنبية فى إريتريا تعمداً أو جهلاً بحقائق التاريخ والجغرافيا يهدفون بحق إلى إلغاء دور الإسلام والمسلمين فى إريتريا؛ وهذا مما يخلق فجوة عميقة فى الوحدة الوطنية.

وبمناقشة هادئة دون انفعال أو مهاترات لابد من العودة إلى الوراء لقراءة تاريخنا الحديث المعاصر للاستفادة من هذه التجارب التى سبقت، وكيف عولجت حفاظاً على الوحدة الوطنية من جيل الآباء الذين سبقونا فى هذا المجال وردود الفعل التى حدثت فى هذه المسألة بين الطائفتين : المسلمين والمسيحيين، وكيف حمت بلا رجعة.

ومن الثوابت الوطنية التى ناضل الشعب الإريتري من أجلها طوال ثلاثين عاماً التعددية السياسية والديمقراطية واعتماد اللغتين العربية والتجريدية باعتبارهما لغتين رسميتين للبلاد والاعتراف أيضاً بانتماء إريتريا العربى حضارياً وثقافياً. وهذه من القضايا الجوهرية التى تعتبر أساساً من منطلقات الثورة الإريتريّة (٤).

(١) عبدالبارى عبدالرازق النجم : إريتريا شعباً وكفاحاً، بغداد، ١٩٧١، ص ٦٣

(٢) رينيه باسيه : النقوش الكتابية فى جزيرة دهلك، دمشق ١٩٧٧، مطابع الإدارة السياسية، ص ٧

(٣) نبيلة عمر الحاج إدريس : موجز عن التعليم والإعلام والاقتصاد فى إريتريا، مطبعة الفؤاد، جدة ١٤١٤هـ، ١٤١٥هـ، ص ٢٤ - ٢٥

(٤) محمد عثمان على خير : إريتريا الصراع بين مشروع التجريدية ومشروع إنتمائها العربى، ١٩٩٤

ولن يتوقع أحد أن تكون هذه المبادئ مثار خلاف وجدل بعد التحرير والالتفاف حول هذه الحقوق المشروعة ضرباً من الخيال قد يؤدي في النهاية إلى الانشقاق وشرخ في الوحدة الوطنية الإريتيرية والتي تعتبر صمام الأمن وعامل الاستقرار في البلاد . وهذه أخطر ظاهرة سياسية تواجه مجتمع الدولة الإريتيرية المستقلة ، والمخرج منها سيكون حتماً بالدعوة إلى الخيار الديمقراطي وضمن التعددية السياسية ، وحرية الصحافة لكي يتم من خلال ذلك الحوار والمناقشات الحرة وإقامة الندوات الفكرية والسياسية أمام الرأي العام الإريتيري ، وليس من المستحسن فتح ملف انتماء إريتريا العربى بعمقها الحضارى والثقافى فقد حسمت هذه المسألة منذ الرعيل الأول السياسى من المسلمين والمسيحيين فى عام ١٩٥٠ كما ذكر سابقا . وعلى هذا الأساس تعمقت تجربة الثورة الإريتيرية باعتماد اللغتين العربية والتجريدية فى إريتريا .

ولاشك أن المرتكزات الدينية والثقافية والقومية ، تشكل الجذور الأساسية والمهمة فى تكوين الشخصية الإنسانية للشعوب ، وتلعب دوراً كبيراً فى تحديد مساراتها التاريخية والبيكولوجية ، وتوجه إرادتها المثقلة بتلك التراكمات التاريخية التى تعكس باستمرار خيارات الشعوب فى الانتماء الحضارى ، لذلك فإن مسألة اللغة تنصدر موقعا متقدما فى واقع الشعوب ، وتحكم فى كثير من حركتها وأنشطتها المختلفة ، وتبلور إلى حد كبير هوية الشعوب والقوميات ، وتندرج فى إطارها الجوانب الثقافية وأدوات التعبير عن التراث والعادات والتقاليد وتُشكل فى النهاية بالنسبة للشعوب مركز إشعاعها الفكرى والسياسى والاجتماعى ، وبالتالي يصعب إحداث أى تفكك فى هذه العملية المتناسكة والى تعطى أبعادها فى كل المراحل وتتطور عبر العصور المختلفة ضمن الظروف المتاحة والمحيط بها ، لذلك فإن اللغة لأى شعب لا تفرض عليه بقوة السلاح أو عن طريق القهر السياسى والثقافى فمعظم الحروب التى فجرها الطغاة بسبب تلك النزعات المريضة التى أرادت إذابة شعب فى لغة وقومية لا تعبر عنه ولا تنتمى لمشاعره بأى حال من الأحوال .

ولذلك عندما نقف اليوم وبجدية بالغة فى واقع إريتريا الثقافى ومعطياته الراهنة وعن الأسباب التى تدفع قومية التجريدية فى إريتريا عن العودة فى نفس الاتجاه الشوفينى فى فترة الأربعينيات ، حيث انبرت الأقطاب الطائفية أمثال قس ديمطروس (واسفها وبلد ميخائيل) فى تلك المرحلة مطالبة أن تكون اللغة الرسمية فى إريتريا بكل أبعادها الأكسومية (اللغة

التجريبية)، وعلى الغالبية الإسلامية أن تنصهر في إطار هذا المشروع القومي والذي كان يقف من ورائه سدنة الكنيسة الكبيرة في أسمرأ، وقد فجر هذا الاتجاه بالمقابل حماية المسلمين ووقفوا بصلافة ضد ذلك المشروع المتبد وأعلنوا بأن من حق الغالبية الإسلامية في إريتريا أن تطالب بسيادة اللغة العربية واعتبارها اللغة الرسمية أيضاً للبلاد .

وضمن هذا التطور في الجانب الإسلامي ، ولدت (الرابطه الإسلامية) بقيادة الزعيم الوطني إبراهيم سلطان الذي قاد حملة واعية وضعت مسلمى إريتريا أمام مهام فى مقدمتها الدفاع عن الدين واللغة والانتماء الحضارى ، والتف المسلمون فى كل أنحاء إريتريا حول الرابطه الإسلامية وأصبحت الرابطه معادلة المسلمين فى إريتريا ، وتمكنت من هزيمة ذلك المشروع المتناول وكشفت للرأى العام الإريتري عن الدور الذى يلعبه هذا المشروع^(١) فى تهديد التعايش الوطنى الذى تعارف عليه الطرفان الأساسيان فى إريتريا (المسلمون والمسيحيون) مما أدى إلى تصعيد تلك الرموز الطائفية صراعها مع المسلمين فى إريتريا ، فوqعت فى أحضان إثيوبيا ، وشكلت حزباً سياسياً بهذا الاتجاه عرف باسم (حزب الوحدة مع إثيوبيا) ومطالبتهم بإلغاء الشخصية الوطنية الإريتريه وإذابتها فى الكيان الإثيوبى ، وطحرت الرابطه الإسلامية أمام هذا الطرح الخبيث الدعوة إلى (استقلال إريتريا) وعبأت الشعب الإريتري بهذا الهدف المركزى الذى لو تحقق فى تلك الفترة لما كان شعبنا يدفع الثمن الغالى خلال الثلاثين عاماً ، ولكن هكذا أرادت القوى الطائفية الشريرة ، ودفعت باتجاه تدخل القوى الخارجية الاستعمارية التى دعمت أطماع إثيوبيا فى ضم إريتريا إلى مشروعها التوسعى فى تلك المنطقة وبتحالف تلك القوى الطائفية مع إثيوبيا وحلفائها الاستعماريين تم ضرب معادلة المسلمين فى إريتريا التى كانت تجسدها (الرابطه الإسلامية) فى فترة الأربعينيات (١٩٤١-١٩٥٠) .

وعندما نوقشت مسألة (اللغة) فى إريتريا فى أول اجتماع للبرلمان الإريتري عام ١٩٥٠م وافقت الكتلة الوطنية الإسلامية بكل سهولة على اعتبار اللغة التجريبية لغة رسمية وطنية فى إريتريا ، ولكن عندما طرحت اللغة العربية باعتبارها لغة وطنية ورسمية

(١) محمد عثمان على خير : مصدر سابق ، ص ٢ - ٣

تعبّر عن الغالبية الإسلامية فى كل مجالات حياتها الدينية والثقافية والاجتماعية، ووقف الطرف الطائفى وبلا حياء على رفض اللغة العربية والاكتفاء بإقرار اللغة التجريدية فقط، وأن يختار المسلمون إحدى لغاتهم المحلية وهذا من باب التكرم عليهم بالرغم من أن مسودة الدستور الإريتري التى أعدها ماتينزوا ممثل الأمم المتحدة فى إريتريا، من خلال جولاته فى كل أنحاء إريتريا فى عامى ٤٧-١٩٤٨ أقرت فى المادة (٣٨) من دستور إريتريا أن الشعب الإريتري منقسم إلى جهتين حيث إن المسلمين فى المنخفضات يعتبرون اللغة العربية هى لغتهم الوطنية وليس لهم بديل آخر لها كما أن المسيحيين الإريتريين يعتبرون لغة التجريدية هى لغتهم. وضمن هذه المعطيات اعتمدت تلك المادة المذكورة، بالرغم من ذلك الإقرار من المندوب الدولى رفض الطرف الطائفى اعتماد اللغة العربية، وعطلوا جلسات البرلمان لمدة ثلاثة أيام؛ مما دفع بعض زعماء الكتلة الوطنية الإسلامية فى البرلمان للمطالبة بتقسيم إريتريا للخروج من هذا المأزق، وبتوتر المناقشات وتمسك الجانب الإسلامى بموقفه الراسخ إزاء تثبيت اللغة العربية وفى تلك المرحلة المظلمة عام ١٩٥٠م وقف المسلمون مع لغتهم العربية التى لم يكن لها حلفاء أولا داعمون من الدول العربية حيث كانت معظم الدول العربية مستعمرة وتكافح من أجل نيل استقلال بلادها مما يؤكد أن انحياز المسلمين فى إريتريا للغة العربية ليس وليد مخططات عربية توسعية، وإنما هذا موقف له جذوره التاريخية لن تحول دون تحقيقه حتى لو طال بالمسلمين الجهاد لألف سنة أخرى تتوارثها الأجيال، وإريتريا أكثر تمسكاً بانتمائها الحضارى وهذا ما لا يريد البعض أن يستوعبه.

وإزاء ذلك الموقف المتوتر بين المسيحيين فى البرلمان الإريتري تدخل السيد ماتينزوا معلناً أنه إذا لم يتم إقرار المادة ٣٨ كما وردت فى مشروع دستور إريتريا فإنه سيعلن فشله للأمم المتحدة ويعيد القضية برمتها للأمم المتحدة لكى تناقش الوضع فى إريتريا بأبعاد أخرى مما أدى إلى تدخل هيلاسلاسى وأوعز للنواب المسيحيين فى البرلمان بالقبول بإقرار اللغة العربية كما وردت فى الدستور؛ خوفاً من تنفيذ ماتينزوا تهديده بعرض القضية للأمم المتحدة، مما كان سيعرض مخططات إثيوبيا فى إريتريا للفشل، وبذلك اعتمدت اللغتان العربية والتجريدية كلغتين وطنيتين فى إريتريا وقفل باب النقاش فى هذه القضية الحيوية تماماً إلى أن ضمت إثيوبيا إريتريا وألغت كل مظاهر الاتحاد الفيدرالى.

لقد كانت إريتريا بالنسبة للمسلمين مشروعاً وطنياً يتعايش فيه المسلمون والمسيحيون، وضرب الطرفان أروع الأمثلة لهذا التعايش في كثير من الجوانب الوطنية؛ مما يؤكد أن المستقبل للتعايش الثقافي والديني في إريتريا، بل وأكدت مرحلة الثورة وتلك التضحيات الباهظة التي قدمها الطرفان في حرب التحرير أن الميحين الإريتريين أصبحوا أكثر تجاوباً مع اللغة العربية بحكم وجود أعداد كبيرة من اللاجئين في السودان والمنطقة العربية، وبالتأكيد فإن الميحين الإريتريين سيلعبون دوراً كبيراً ومؤثراً في إقرار اللغة العربية كلغة وطنية للشعب الإريتري حيث برز لهم ذلك البعد الحضاري الذي تمثله هذه اللغة وآثارها في الحضارة الإنسانية وهي أقدم وأرقى من كل اللغات الهجينة.

إن اللغة العربية كانت موجودة بجذورها في عمق الجزيرة العربية قبل الإسلام وعرفت بدورها المتميز في مختلف مجالات الأدب والبلاغة والشعر، وعندما أنزل الله تعالى بها كتابه المقدس واختارها من بين لغات العالم، اكتسبت قدسيته ومكانتها وديموميتها وحيويتها من كون ذلك الاختصاص الرباني؛ فالقوى النصرانية واليهودية بحسدهم وحقدهم يحاربون الله تعالى في رفضهم للغة الإسلامية التي يتدارس بها المسلمون في كل أنحاء العالم كتاب الله تعالى، ومن يحارب لغة الكتاب المقدس عند الإسلام، فإنه يستنفر المسلمين للجهاد. وما إعلان الكفاح المسلح في إريتريا عام ١٩٦١ بعيد حينما أعلنت إثيوبيا إلغاء اللغة العربية وقفل المعاهد الدينية والمدارس.

وإزاء هذا الموقف المطلوب من قيادات الجبهة الشعبية توسيع مداركهم السياسية وأفقهم الوطني والاستفادة من الفريص المتاحة لها، لإبراز دورها الوطني الشمولي الذي يحقق التوازن في السلطة السياسية وصنع القرار، ويؤمن هذا في النهاية الاستقرار والرخاء لإريتريا. إن اللغة العربية تعبر عن دور الإسلام والمسلمين في إريتريا، إلغائها أو تهميشها يعني إلغاء دور الإسلام والمسلمين وتهميش نصف الشعب الإريتري. وندعو الله تعالى أن تنتصر الحكمة ويسود السلام الذي ينبع من إقرار التعايش الديني والثقافي في إريتريا المستقلة.

وإريتريا كسائر أقطار العالم الثالث مرت بفترة مظلمة حتى خيم عليها الاستعمار الإيطالي، في النصف الثاني من القرن الماضي.

الثقافة والتعليم فى ظل الاستعمار الإيطالى

لم تستطع إيطاليا، رغم استعمارها لإريتريا أكثر من نصف قرن أن تنقل ثقافتها إلى الشعب الإريتري أو ترفع مستواه المعيشى إلى الدرجة التى تناسب مع هذه الفترة الزمنية، لأن الإيطاليين لم يحاولوا فهم نفسية الشعب الإريتري ولم يقدروا الثقافة العربية التى تأصلت فى روحه على مر الزمن فعاملوه معاملة الشعوب البدائية مهتمين بعقليتهم وضاربين بشعورهم وثقافتهم عرض الحائط (١).

وفى ميدان التعليم فإن الفرص التعليمية التى أتاحتها إيطاليا للإريتريين كانت ضئيلة للغاية وانصرفت جهودها إلى الدعاية والتبشير ومحاربة الثقافة العربية والتجريبية، وحاولت إيطاليا أن تفرض اللغة الإيطالية، وفشلت فى نقل الثقافة الإيطالية إلى الشعب الإريتري (٢).

ولم تكن الإيطالية سوى لغة دارجة اضطر الأهالى إلى استخدامها لقضاء مصالحهم مع الإيطاليين، حتى نهاية العهد الإيطالى. لم يكن فى إريتريا كلها سوى ٢٤ مدرسة ابتدائية. وكان مستوى التعليم فيها منخفضاً ومناهجه محدودة وحب ما جاء فى الإرشادات السرية التى وجهها المنيور فيستا Festa مدير التعليم بإريتريا عام ١٩٣٨ إلى نظار المدارس الإيطاليين، (فإن الهدف الأساسى من التعليم الابتدائى حتى السنة الرابعة أن يتكلم الطالب الإريتري اللغة الإيطالية بمستوى مرض، وأن يعرف العمليات الحسابية الأربع فى حدود معينة، وأن يكون داعياً مقتنعاً بمبادئ علم الصحة) (٣).

(١) عبدالبارى عبدالرازق نجم : مرجع سابق، ص ٦٤

(٢) محمد عثمان أبوبكر : مرجع سابق، ص ٤٢٤

(٣) السنيور فيستا (مدير المعارف فى إريتريا عام ١٩٣٨)، الإرشادات السرية لنظار المدارس الابتدائية الإريتريّة، ترجمة جبهة التحرير الإريتريّة

ولم يحاول الإيطاليون رفع مستوى التعليم فى إريتريا، لأن التعليم أثار فى الإريتريين حب الاستقلال والرغبة فى التخلص من الاستعمار، لذلك فقد كيف الإيطاليون مناهج التعليم بحيث لا يعطى الإريتريين إلا قدرأ من التعليم يسمح باستغلالهم لمصلحة إيطاليا من الناحيتين الاقتصادية والدينية • ولم يدخل المدارس أثناء الحكم الإيطالى إلا حوالى ٥٪ من الذين هم فى سن التعليم . وقد ترك الإيطاليون إريتريا على هذه الحال .

ويقول جون جنتر : (لقد فشل الإيطاليون التعليم فى إريتريا) (١) .

وللتأكيد على هذا القول فإن عدد الذين حصلوا على شهادة التعليم الثانوى حتى عام ١٩٤٢ لا يزيد على (١٢) طالباً .

(١) جون جنتر : دخل إفريقيا

الثقافة والتعليم فى فترة نمو الحركة الوطنية فى إريتريا عام ١٩٤١ .

بهزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية احتلت قوات الحلفاء إريتريا عام ١٩٤١ وأحيلت إدارتها إلى بريطانيا التى عينت حاكماً عسكرياً لإدارة البلاد باسم (الإدارة البريطانية الحربية) .

وقد دفعت حاجة الحكومة البريطانية إلى صغار الموظفين والإداريين إلى الاهتمام بالتعليم فشجع الكولونيل استيل^(١) تأسيس المدارس الابتدائية والإعدادية، وأقامت إدارة المعارف معهداً للمعلمين فى العاصمة أسمرا، واستعانت بمدرسين من السودان وجعلت اللغة العربية والإنجليزية بالنسبة إلى مناطق المنخفضات، والتجينية والإنجليزية بالنسبة إلى مناطق المرتفعات كسلطات للتعليم فى إريتريا^(٢) .

بؤادر نشاط الحركة الوطنية الإريترية

وقد ظهرت فى عام ١٩٤٣ لدى بعض من المثقفين الشباب فى إريتريا فى أسمرا، وكونوا جمعية أطلقوا عليها (مجر فقرى هجر)^(٣) وكانت تضم الإريترين بمختلف طوائفهم، وكان عدد أعضائها اثنى عشر عضواً، ومن بينهم ولد آب ولد ماريام، وعبدالقادر كبير، وإبراهيم سلطان، حقوى إبرة وغيرهم . . . إلخ - وقد تعاهد أعضاء

(١) الكولونيل استيل : مدير المعارف البريطانية فى تلك الفترة

(٢) تعليق : لم يكن هذا التنظيم الثقافى بلا مرام سياسية، فقد كانت السياسة البريطانية محددة لمصير إريتريا من قبل، بتقسيمها على أساس المنخفضات والمرتفعات وذلك بضم المناطق الغربية وهى مدينة اغردات وكرن، ونقته إلى المودان الذى كان يسمى حينئذ (بالسودان الإنجليزى المصرى) وضم المرتفعات الإريترية ومعها الشواطئ بما فيها العاصمة أسمرا ومينائى مصوع وعصب إلى إثيوبيا، وهذا المشروع كان مشروع الأبريجادير جنرال لونجرج الحاكم العسكرى فى إريتريا

(٣) (مجر فقرى هجر) ؛ تعنى باللغة التجينية جمعية حب الوطن

الجمعية لخدمة قضايا الوطن دون تمييز وركزت هذه الجمعية اهتمامها بالإصلاحات الثقافية ، وكان من بين منجزاتها إلغاء قانون التمييز العنصري الإيطالي . .) .

وقامت هذه الجمعية بتشجيع الحركة التعليمية والثقافية والتركيز على وحدة الشعب الإريتري ، ومحاربة المعتقدات المخطة .

وقد نجحت الجمعية بالرغم من البداية الصعبة في تطوير نشاطاتها وتقديم خدماتها إلى المواطنين دون تمييز فيما بينهم (١) .

ورغم الصعوبات السياسية والاجتماعية والتعقيدات الثقافية والدينية التي خلقها الاستعمار في إريتريا استطاعت الجمعية أن تحقق نجاحات ملموسة خاصة في مجال إلغاء الحواجز المصطنعة بين المسلمين والمسيحيين .

وفي مجال التعليم ركزت على أهمية التعليم وحثت أفراد الشعب على إقامة مدارس ومعاهد أهلية ووفرت المبالغ اللازمة عن طريق التبرعات الشعبية بواسطة لجنة لبناء المدارس وتشكيل لجان شعبية لهذا الغرض .

ولعل المدارس الكبيرة التي أنشأها المرحوم صالح أحمد كيكا (٢) في بلدة حرقيقو (٣)

(١) حامد صالح تركي : إريتريا والتحديات المستقبلية، ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .
(٢) الباشا صالح أحمد كيكا : من الزعامات الوطنية التي تركت بصماتها في التاريخ الإريتري المعاصر وله خدمات جليلة في عموم إريتريا وخاصة منطقة سمهر حيث أسس أول مدرسة أهلية في مدينة حرقيقو عام ١٩٤٥ . وقد سبق عصره حيث كان يتمتع بنظرة مستقبلية ثاقبة في تشجيعه للتعليم وكانت مدرسة حرقيقو التي أنشأها الباشا تشمل المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية بعد التطور للسنين ومدرسة أخرى للبنات لنفس المراحل ومعهداً دينياً، وتقديراً لأهمية التعليم والثقافة ألحق بالمدرسة مدرسة صناعية للتعليم الفني والمهني بفروعه المختلفة . كما أقام فيها قسماً داخلياً علي نفقته الخاصة للطلبة الوافدين من المناطق البعيدة . وسجل وفقاً عليها عدداً من العقارات في أديس أبابا في إثيوبيا في قلب المدينة ليضمن للمشروع الاستمرارية والاستقلالية، وأباديه بيضاء بالنسبة للشعب الإريتري

(٣) حرقيقو : هي مدينة نموذجية تبعد عن مصوع ثمانية كيلومترات ، إلا أنها تفرد بتاريخ حافل بالبطولات والوعي الوطني المبكر وهي أقدم من مصوع وظلت تمثل مقراً للحكم الوطني . وقد عرفت الحياة المدنية والاتصال بالعالم الخارجي من خلال وسائل النقل البحري ، فأقامت علاقات ثقافية وتجارية مع العديد من البلدان المجاورة لإريتريا ، واسم حرقيقو عرفت به منذ قرون طويلة ذكرها بعض الرحالة في خرائطهم بهذا الاسم وأشادوا بها وبازدهارها منذ آلاف السنين حيث كانت تعتبر من أهم المدن في المنطقة وكانت تفوق أهميتها مصوع وكفاها فخراً هي مسقط الزعيم الراحل الوطني عثمان صالح سبي والباشا صالح أحمد كيكا في العصر الحديث وفي العصور القديمة كانت مقراً للحكم والنواب والسلاطين في عموم منطقة سمهر وكانت البوابة الشرقية لإريتريا على العالم الخارجي وجسر الثقافة العربية والتعايش من السودان ومصر إلى إريتريا

عام ١٩٤٥ وجلب إليها مدرسين من السودان ومصر ، وكان المنهج التعليمى باللغة العربية بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية والتربية الوطنية والدين . وهى تعتبر أول مدرسة من حيث التنظيم والدقة والمنهج العلمى الصحيح فى إريتريا باللغة العربية (منهج مصرى) .

وتلا ذلك فتح الكثير من المدارس فى كرن وعلى قدر^(٤) حيث تأسست أول مدرسة فى إريتريا للبنات فى عام ١٩٤٣ بـ (على قدر) ثم تلتها مدرسة للبنين ، وقد اهتم أهالى هذه القرية بالمدرسة وكونوا جمعية تعليمية وقد ساهمت هذه اللجنة بالنفس والنفس لفتح هذه المدرسة واستمراريتها .

وكان المنهج الذى يدرس منهجاً مصرياً سودانياً بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية والتربية الوطنية كما تأسست مدارس ومعاهد بالمجهود الشعبى فى أسمرا وبعض المدن الإريترية . وعلى الصعيد البريطانى : أتاحت بريطانيا فرصة أكبر فى مجال التعليم إلى حد ما بالمقارنة مع ما كان عليه مستوى التعليم فى العهد الإيطالى المظلم .

وكانت اللغة العربية تدرس فى المناطق التى يكثر فيها المسلمون بينما تدرس التجريدية فى المناطق المسيحية . * هكذا كان التعليم فى ظل الحكم البريطانى فى إريتريا حيث فرضت فى مجال كما لاحظنا مناهج متباينة بين المسلمين والمسيحيين تقوم على تكريس التفرقة ، بالإضافة إلى التفاوت من حيث المضمون فى بعض المناهج الدراسية . وكانت النتيجة وجود حواجز بين الإريترين ، وتفتيت وحدتهم على أساس ثقافى وكانت المرامى البعيدة لهذه السياسة القائمة أن يستخدموا لغة المتعمر خلال التفاهم مع بعضهم البعض مما أصبح حاجزاً بين اللغتين العربية والتجريدية وإضافة كمبرر آخر لادعاءات تقسيم إريتريا .

وخلاصة القول : جاء اهتمام الأهالى فى فترة الأربعينات بجانب التعليم والثقافة بالاعتماد على الذات وبالتركيز على المدارس الأهلية التى أنشأت فى تلك الفترة .

(١) على قدر : تقع فى منطقة زراعية فى إريتريا على الحدود السودانية بمنطقة القاشى حيث لعبت دوراً كبيراً فى حياة المجتمع الإريترى ، منذ فترة الأربعينات حتى أصبحت من أكثر القرى الإريترية انتعاشاً من حيث العمال والاهتمام بالتعليم وذلك لأنها كانت تعتبر البوابة الغربية لإريتريا على العالم الخارجى

وفي عام ١٩٥٠ أصبح في إريتريا ٥٩ مدرسة ابتدائية وعدة مدارس متوسطة، وارتفع عدد الطلبة إلى حوالي ٢٠٠٠٠ بينهم زهاء (٦٠٠٠) طالبة فتحت المدارس النظامية في مناطق السكان الرحل، وقد كان لهذه المدارس أثر كبير في استقرار الكثير من السكان.

كما ظهرت في هذه الفترة حركة ثقافية نشطة وازدهرت حركة الأدباء والكتاب من الرعيل الأول أمثال الأستاذ محمد أحمد سرور والأستاذ محمد عثمان حيوتي والأستاذ ياسين باطوق والأستاذ أحمد حنين حيوتي وكوليري عمر نجاشي وحب الله عبد الرحيم وآدم حمد آحدوباي، وازدهرت فيها الأنثى الثقافية ومهمتها نشر (الوعي الثقافي والوطني في البلاد). ولقد أنشأت الأحزاب الوطنية في إريتريا إبان فترة حق تقرير المصير العديد من الصحف والمجلات كان لها إسهاماتها الثقافية والوطنية في تلك الفترة.

ويحضرني في هذه المناسبة دور العلامة الجليل إبراهيم المختار أحمد عمر مفتي الديار الإريترية سابقاً في تلك الفترة وبحكم مكانته العلمية وشخصيته البارزة في المجتمع الإريترى كان في مقدمة من كانوا ينادون باستقلال إريتريا كاملاً، كما كان في مقدمة الأدباء الذين أثروا في اللغة العربية في إريتريا فكان بليغاً وأديباً وعالمًا دينياً ومؤرخاً ومحققاً ومراجعاً في شتى العلوم الشرعية، وفوق ذلك كان المصلح الصادق، لقد كان فضيله يمثل بالنسبة لعلماء بلادنا ظاهرة فريدة من نوعها كان لها قيمتها العلمية ^(١). لقد كان حقاً هذا الرجل سابقاً لعصره وزمانه. وقد عمل الشيء الكثير لخدمة الإسلام والمسلمين والتفاني في حب وطنه ومواطنيه. حيث كانت له اهتمامات كبيرة بالنسبة للغة العربية لكونها وعاء الكتاب الخالد، التي نزل بها القرآن الكريم، ومعجزة النبي أتى بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكونها أساس كل علم ومفتاح التفقه، وهي بحق أداة التواصل والتفاهم بين الأخوة في العقيدة بين أبناء إريتريا وغيرهم.

(١) عبدالقادر حقوى محمد الجبرتي : المفتي إبراهيم المختار، تحدى ومواقف



العلامة الجليل إبراهيم المختار أحمد عمر مفتي الديار الإريترية سابقاً

أبو الحسن محمد عثمان صالح فكاك

ومن الشخصيات الوطنية التي أسهمت في الزخم الثقافي والتعليم في إريتريا أستاذنا
الجليل أبو الحسن محمد عثمان صالح فكاك طيب الله ثراه وأدخله فسيح جناته مع
الصديقين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.



يعتبر الأستاذ أبو الحسن من الشخصيات الإسلامية المعروفة في الساحة الإريترية
حيث إنه ركز دوره في الجانب التعليمي وأسهم في تدريب أجيال من الطلاب الإريترين
داخل إريتريا، كما أنه ساهم بكتاباته في بلورة القضية الإريترية، وعكس الجوانب
التاريخية والثقافية، وعبر بشكل مركز عن تعميق الجانب الإسلامي للشعب الإريترى،
وإنه بغيابه سوف يترك بلا شك فراغاً كبيراً في الساحة الثقافية والهموم الإسلامية حيث
كان أديباً وكاتباً ومؤرخاً كبيراً من أبناء منطقة القرن الإفريقي الذي كرس حياته حتى آخر
لحظة لخدمة أبناء هذه المنطقة في المملكة العربية السعودية من خلال الأعمال الخيرية التي
كان يقوم بها في حل مشاكل أبناء بلده بصفة خاصة وأبناء منطقة القرن الإفريقي بصفة
عامة.

وكان يعتبر من المثقفين القلائل ومن الرعيل الأول الذين قدموا الكثير في خدمة
التعليم والثقافة العربية في بلاده. ولقد شارك في العديد من المؤتمرات الرسمية وغير

الرسمية التي شهدتها المنطقة وساهم في كافة الأنشطة المختلفة على الصعيد الوطني والعربي والإسلامي حيث كان النجم الالامع من أبناء منطقة القرن الإفريقي ، نقل هموم هذه المنطقة وكان صوتها المدوي أمام هذه الشعوب .

ونحن هنا أمام شخصية إسلامية تاريخية له خدمات جليلة في مجال الثقافة والتعليم وفي الأعمال الخيرية والإنسانية ، فكان رئيساً للأمانة الإسلامية كما كان رئيساً لرابطة المؤرخين والأدباء والكتاب ، ومن أبرز المؤسسين لجهاز التعليم الإريتري في المهجر ، وكان عضواً بارزاً في رابطة العالم الإسلامي وفي الإغاثة الإسلامية العالمية كما كان عضواً بارزاً في ندوة الشباب الإسلامي ومن خلال كل هذه النشاطات التي كان يقوم بها ترك بصماته في الحياة الثقافية الإسلامية في إريتريا .

الشيخ يسن محمد عثمان العلوي

ويجدر بنا هنا الحديث عن الشخصية الوطنية الإريترية من أبناء عفر التي لعبت دوراً كبيراً في نشر تعاليم اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي والدعوة في أرجاء منطقة دنكاليا ومصوع لإرساء دعائم الثقافة العربية الإسلامية في هذه المنطقة ، فكانت لإسهاماته أثر طيب في خدمة الإسلام والمسلمين وعقيدة التوحيد وكان كل ذلك مجهوده الشخصي والتطوعي .

وهو الشيخ يسن بن الشيخ الحاج محمد عثمان بن السيد أحمد العلوي ^(١) ، من (الأشراف) ومن قبيلة (أبونا) ^(٢) العفرية في إريتريا .

(١) العلوي : ولد شيخنا الجليل عام ١٩١٠ في منطقة بوري في مدينة مهمر ، وكان والده الحاج ابن الشيخ محمد عثمان العلوي ، الملقب بشيخ بوري ، من الشخصيات الوطنية الإريترية المشهود لها بالورع والعفة ، وينتمي الشيخ يسن إلى قبيلة أبونا العفرية ، وهم من أشراف مكة من أهل البيت ومن ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولهذا يلقبون بالعلويين في إريتريا .

(٢) قبيلة أبونا : إن كلمة أبونا لقبهم بها الشعب العفري نظراً لأن جددهم جاء من الجزيرة العربية من وادي (حبونا) وأن كلمة أبونا تحريف لكلمة حبونا حسب ما ينطقها العفري . والجدير بالذكر في هذا الوادي توجد قبائل الأشراف من العلويين حيث جاء منها جدهم الأكبر إلى إريتريا عبر سواحل البحر الأحمر ضمن الهجرات العربية الكثيرة التي شهدتها منطقة القرن الإفريقي والحشة عبر أزمدة مختلفة . ملحوظة : كنت قد تحدثت عن قبيلة أبونا في كتاب المثلث العفري بخلاف ما ذكرته الآن لأن ما أورده في هذا الجانب هو الصحيح حيث تأكدت من صحته أكثر من مصدر وما سبق ذكره كان مجرد مصادر شفوية من بعض الأشخاص

إن هذا الشيخ الورع الصالح كان له تاريخ عريق مما قدمه من خدمة جليلة لأبناء وطنه لا ينسى حتى يومنا هذا حيث نشر تعاليم الإسلام وفتح العديد من المدارس والخلوى القرآنية لتحفيظ القرآن الكريم وأسس زوايا عديدة للصلاة ولنشر الدعوة الإسلامية فيها والحديث والفقه والسنة انطلاقاً من بوري مسقط رأسه، وانتهى به المقام فى مصوع فى مدينة أماترى، وفى شبابه انتقل فى عدة مناطق من الأراضى العفرية حتى وصل إلى سلطنة أوسيا فى سبيل الدعوة وتفقيه الناس فى أمور دينهم.

وكان الشيخ يسن يجمع الطلاب من الأرياف على نفقة الخاصة أشرف على تعليمهم بعد أن جلب لهم مدرسين من مناطق مختلفة. ولقد تخرج الكثير من الطلاب من هذه المدارس التى أنشأها الشيخ فى مجال الفقه والحديث حيث انتشروا بدورهم فى جميع عموم منطقة بلاد العفر.

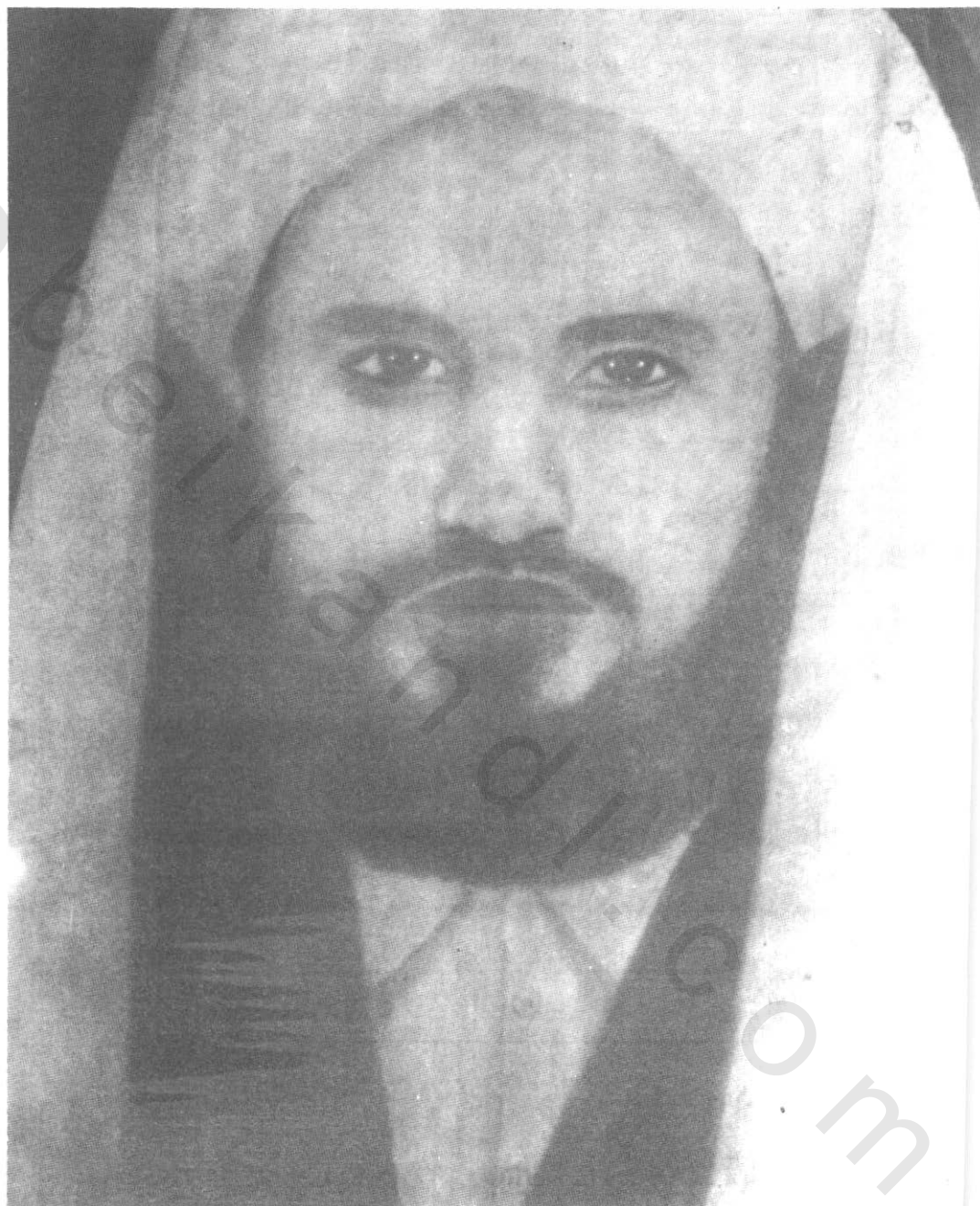
ونتيجة لهذه الأعمال الجليلة التى كان يقوم بها دخل فى تحدى مع الاستعمار الإيطالى الذى كان يرفض من أساسه هذه الأعمال الخيرية التى تتعارض مع أهدافه وفى عدم تنوير الإريريين فى التعليم. ولقد تعرض من قبل السلطات الحاكمة الإيطالية لعدة مواقف ومضايقات، ولكن بالصبر والحكمة استطاع أن يحقق أهدافه فى سبيل نشر الثقافة العربية والإسلامية والتى كانت تمثل فى تعليم الفقه والسنة وحفظ القرآن الكريم.

ولقد تربت على يديه أجيال كثيرة تعد الآن من كبار العلماء والفقهاء فى تعاليم الدين الإسلامى وكثير من القضاة الآن الموجودين فى منطقة دنكاليا وعموم العفر من تلامذته، وهكذا كان الشيخ يسن من كبار الدعاة والمصلحين التى كانت تزخر بهم البلاد فى تلك الفترة وكانت لهم إسهامات كبيرة فى إرساء الحضارة العربية الإسلامية فى منطقة سمهر ودنكاليا.

الطرق الصوفية فى إريتريا ودورها الحضارى فى نشر الإسلام واللغة العربية

أهم هذه الطرق الختمية والقادرية والأحمدية. وسوف يكون تركيزنا على الطريقة الختمية كنموذج:

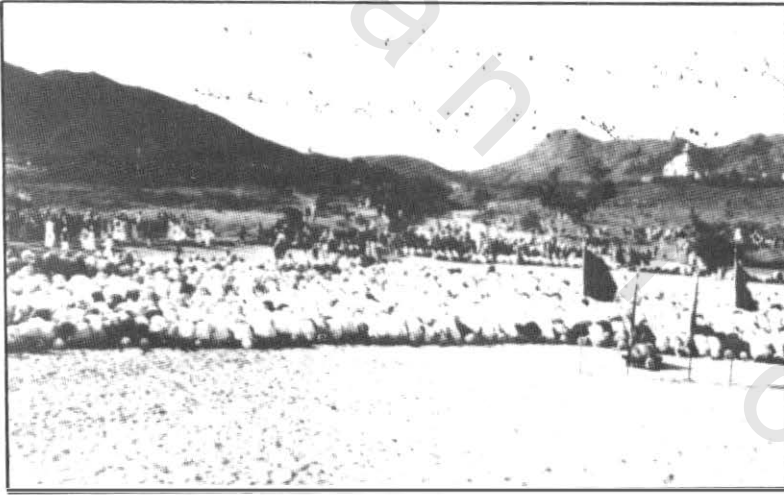
١ - الختمية تنتسب إلى مؤسسها السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله عنه، الذى أوفده شيخه أحمد بن إدريس من مكة فى عام ١٨١٧ وبصحبه السيد محمد على



السنوسى ، مؤسس الطريقة السنوسية ، حيث افترقا بعد وصولهما إلى مصر ، فتوجه الأول صوب الجنوب إلى السودان ثم إريتريا وعاد بعد أن نشر الإسلام والطريقة الختمية إلى مكة ، مخلفاً عدداً من الأبناء واصلوا بعده جهوده بينما توجه الثانى إلى شمال إفريقيا وأسس طريقته هناك .

والختمية كان لها أثر كبير فى نشر الإسلام واللغة العربية فى إريتريا ، وقد اسلم عدد من القبائل فى بداية القرن التاسع عشر هى القبائل التالية : الماريا ، والمنع ، والبلين ، وبيت حوك . والحباب ، والباريه والبازيين فى القاشى .

وهكذا نستطيع أن نقول بفضل الطريقة الصوفية الختمية وغيرها من الطرق الأخرى المذكورة ، فى نشر الإسلام والثقافة العربية ، ومن أشهر زعماء الختمية فى إريتريا من آل الميرغنى سيدى جعفر بن سيدى بكر بن سيدى جعفر الصادق بن السيد محمد عثمان الميرغنى الختم ، وسيدى بكرى الميرغنى وأبنائه عبدالله وإبراهيم .



المسلمون فى كرن يؤدون صلاة العيد

والحركة الختمية حركة إسلامية وجمعية مذهبية وطريقة صوفية روحية تسعى إلى تطهير النفوس ، ولقد التزمت الحركة الختمية فى تطبيقها بالسنة وابتعدت عن انحرافات الطرق الأخرى وهى شبيهة بالطرق الصوفية مثل السنوسية والقادرية ، والتيجانية ،



سیدی جعفر المدغنی يلتقي مع عدد من خلفائه في كرن



حبيب النسيب سیدی جعفر الميرغنی بعد عودته من الريف الاريتري يلتقي بالجماهير في كرن



سنى علوية فى دارها يحيط بها عدد من المتدبرها



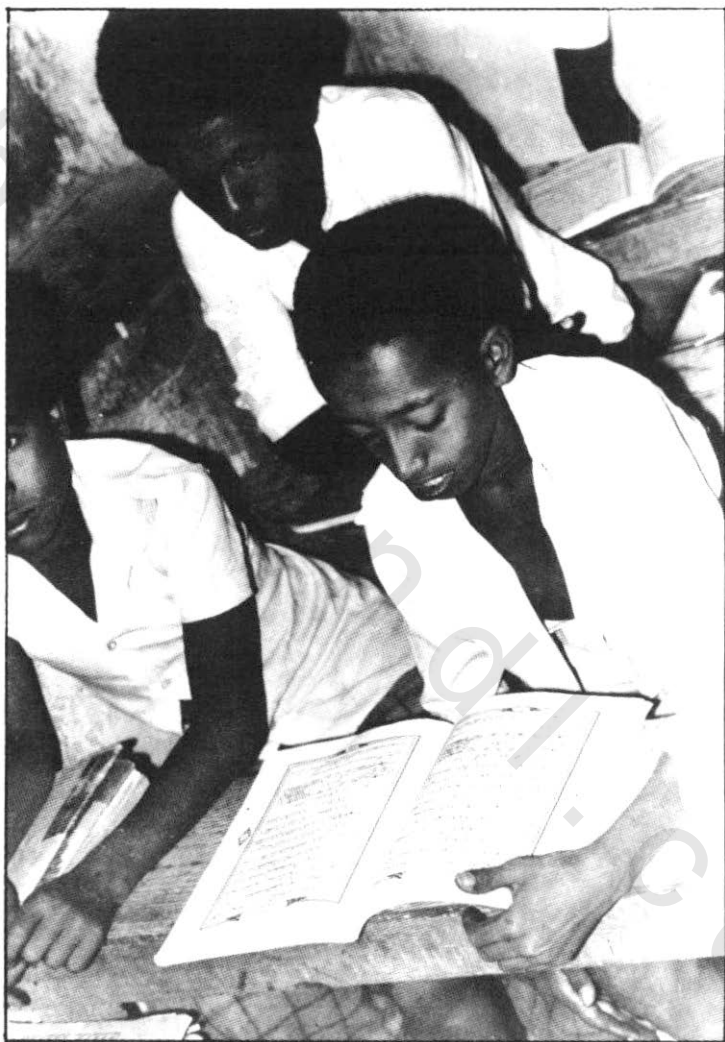
رجال ونساء فى انتظار خروج سنى علوية اليهم فى سموع

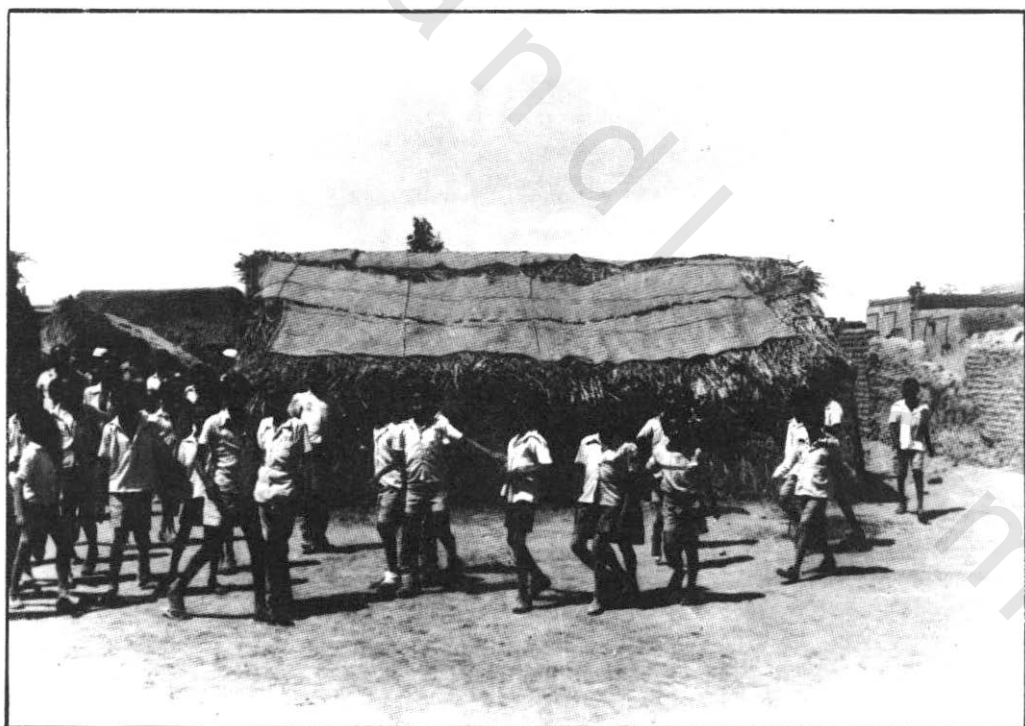
والأحمدية والشاذلية . ولم تكن الطريقة الختمية في حد ذاتها طريقة سلفية محضة ، بل إنها كانت رد فعل مباشر ضد الوجود الاستعماري في إريتريا ؛ حيث كان راعى الطريقة الختمية في الأربعينيات السيد بكرى بن جعفر الميرغنى . كان زعيماً وطنياً والرئيس الأعلى للرابطة الإسلامية في إريتريا إبان فترة حق تقرير المصير - ولقد لعبت هذه الأسرة الكريمة دوراً كبيراً في مقاومة الاستعمار الإيطالي والبريطاني ثم الإثيوبي . وبعد وفاة سيدى بكرى خلفه أبنائه عبدالله وإبراهيم في زعامة الختمية .

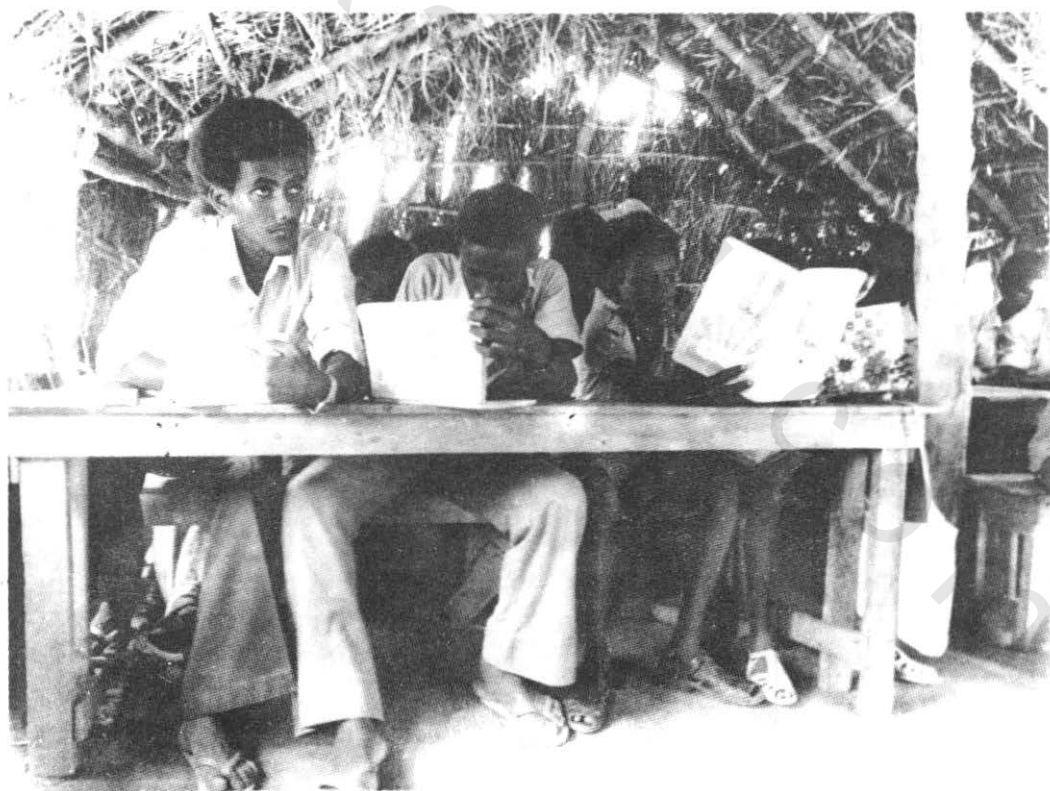
ويعد الفضل للسيد عبدالله بن سيدى بكرى بن جعفر الميرغنى في توطيد أركان الطريقة الختمية إلا أن الاستعمار الإثيوبي ، ومحاربته لكل التجمعات الإسلامية لأداء الشعائر الدينية في البلاد قلل من أهميتها ، ولكن السيد عبدالله بذل جهداً كبيراً في سبيل إقامة الخلاوى القرآنية وبناء مساجد ومراكز التعليم وخاصة في الريف الإريتري .

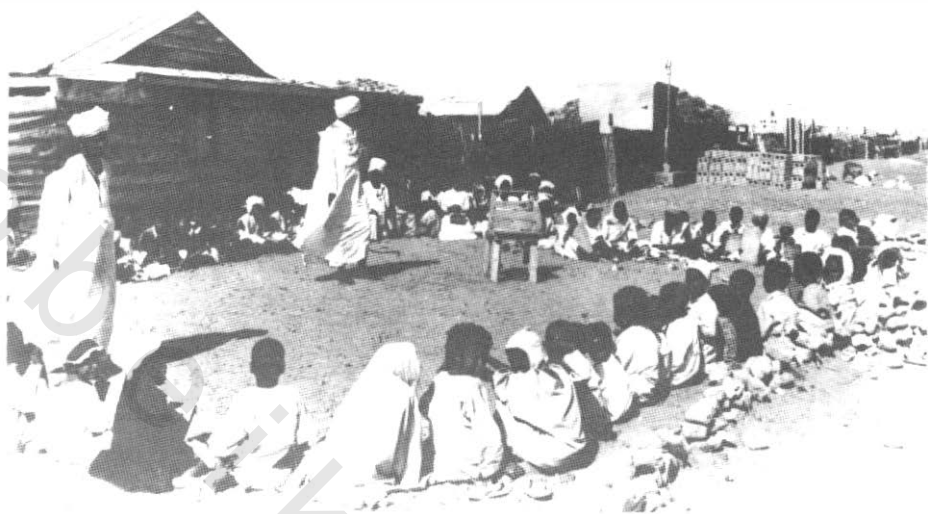


ولقد لعب دوراً كبيراً في تهدئة المعاناة التي كان يعاني منها الشعب في تلك الفترة من جراء المذابح والتدمير التي كانت تتعرض لها القرى الإريترية في الريف الإريتري من قبل القوات الإثيوبية ، وإزاء هذا الوضع انتقل السيد عبدالله إلى بورسودان تاركاً وراءه جحيم القوات الإثيوبية ومظالمها ، حيث كان خير معين لأبناء إريتريا الذين لجأوا إلى السودان من









سختلف القبائل بحكم علاقاته الأسرية فى السودان ، وكان لجهده وتعاونه مع الفقراء والمحتاجين الذين تركوا ديارهم هرباً بأرواحهم محل إشادة وتقدير كل القبائل الإريترية ، حيث كان يحظى باحترام فى نفوس هذه القبائل الممتدة من إريتريا حتى شرق السودان حتى وافته المنية فى بورسودان فى إبريل عام ١٩٩٣ بعد أن أمضى رضى الله عنه حياته فى سبيل تحقيق هذا الهدف مجاهداً فى سبيل الله والوطن داعياً لإعلاء كلمة الله والإسلام . وكان من المثقفين القلائل فى إريتريا حيث كان يقيم ندوات متواصلة عقب صلاة العصر فى جامع الخلفاء الراشدين بعد الاستقلال الوطنى بأسمرا فى العاصمة الإريترية . ولقد حضرت له عدة ندوات كان يلقىها عن الإسلام والمسلمين فكان رحمة الله عليه ورضوانه داعياً كبيراً ورائداً للختمية فى إريتريا ، وتولى بعد وفاته زعامة الختمة نجليه السيد إسماعيل والسيد محمد سر الختم الذين توليا خلافة والدهم خير خلف لخير سلف .

وخلاصة القول فإن الختمية والمراغنة كان لهم إسهاماتهم الثقافية والدينية فى إريتريا ولهم الفضل الكبير فى نشر الإسلام ودعائمه فى البلاد .

وهكذا نطعم أن نقول إن الحركة الوطنية فى الأحزاب السياسية ذات اتجاهات متباينة لتقرير مصير إريتريا ، وظهرت تلك الأحزاب أعطى الحركة الثقافية دفعة جديدة . وكما ذكرنا حيث أنشئت جرائد خاصة بكل حزب وكل اتجاه ، فكانت ميداناً خصباً لمباريات الأفلام المتنافسة والأفكار المتناقضة ومدرسة جديدة للشباب الصاعد ، وفى أثناء هذا الزخم الثقافى برزت إلى السطح كفاءات ظلت دفينه من قبل وظهرت إبداعات رائعة بين الكهول والشباب أثرت بلا شك الحياة الثقافية نثراً ونظماً فى تلك الفترة الوجيزة^(١) .

ومن ساهم مساهمة فعالة وجادة فى تلك اللحظة الثقافية الأخوة السودانيون الذين كانوا يعملون فى المدارس فى السلك الإدارى الحكومى . كما كان لبعثة الأزهر الشريف دور لا يستهان به فى إحياء وتنشيط الثقافة الدينية بوعظهم وتدريسهم فى المساجد وخطبهم فى المناسبات الدينية والبعثات الدراسية التى كانت تبعثها مصر من حين إلى آخر لتدريس اللغة العربية فى البلاد .

وهكذا ، فى اعتقادى أن حركة الثقافة حركة متواصلة لا تقف عند جيل من الأجيال ، وإن هى وقفت فإنما يعنى ذلك عجز الجيل الجديد عن الإبداع ، فالثقافة حصيلة تراكم

(١) جمعية المعلمين الإريتريين : ترانيم ثورية من إريتريا

المعارف عن الأجيال السابقة، يسهم كل جيل من أجيال البشرية في بناء لبنة منها ، والجيل الذى لا يضيف إلى ثقافة الآباء لبنات جديدة إنما هو جيل عاطل تنقصه الفعالية ^(١) ويمكن للتاريخ أن يتجاوزه دون أن يلقي له بالاً ^(٢) .

وهذا ما يؤكد إرساء حرية الاعتقاد والتعبير حتى لا يفسد الإنسان سب رأيه . ومن

قوله تعالى : **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴿١٥٦﴾

وعن الغاء قوانين الحجر والوصاية على الأفكار قوله تعالى :

فَأَنذَرْتُكَ الْبَلْغَ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٥٠﴾

وفيما يتعلق فى فتح أبواب الحوار ، والإصغاء إلى الراى الآخر ، ومناقشته دون وضع سلمات سابقة .

وَلَا تَأْخُذْ بِلِآئِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٤٠﴾

(١) محمد عدنان سالم : الكتاب العربى وتحديات الثقافة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ودمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ص ١٥٩ - ١٦٠

(٢) وبمعنى آخر إننى انظر إلى الثقافة على أنها إبداع ، وتوقف أى جيل عن العطاء والإبداع يعنى أنه جيل عاجز وعاطل

(٣) سورة البقرة ٢٥٦

(٤) سورة الرعد - ٤

(٥) سورة سبأ ٢٤

obeikandi.com

الفصل الرابع

العلاقات التاريخية بين العرب وإريتريا

- ١ - إريتريا وانتمائها التاريخي للعرب ثقافياً وجغرافياً
- ٢ - موقف الدول العربية من القضية الإريترية
عموماً والعلاقات العربية الإريترية بصفة خاصة
- ٣ - اللغة العربية موقعها من نضال الشعب الإريترى

إريتريا وانتمائها التاريخي للعرب تاريخياً وجغرافياً

وكما أوضحنا في الفصول السابقة أن التاريخ والجغرافيا هما العاملان الأساسيان اللذان يشكلان تاريخ إريتريا المعاصر أرضاً وشعباً، ومهما كانت الظروف والعقبات، والمعاناة التي مرت على حياة هذا الشعب. ومهما يكن من أمر فلا بد من مناقشة عروبة إريتريا دون انفعال أو تعصب أعمى قد يبعدنا عن الحقيقة والواقع بعيداً عن المصلحة والمكسب والخسارة.

ولذلك لا بد من توضيح بعض الحقائق التي تؤكد عروبة إريتريا مهما كانت الظروف والملايسات لأن هذه المسألة كانت مؤجلة إلى ما بعد الاستقلال فمعركة التحرير كانت هي شغل كل الإريتريين بمختلف طوائفهم وفصائلهم الوطنية من أجل هدف أسمى وهو الاستقلال والحرية في ربوع إريتريا، وهذا الجانب تحقق بعون الله وبصمود ونضال الشعب الإريتري كله. واليوم نحن لا نخجل عندما نؤكد انتماءنا العربي وإعلان هويتنا، وتأكيد هذه الأشياء فخر لنا فلا ضرر ولا ضرار من ذلك. وكما هو معروف تاريخياً أن إريتريا هي أكثر مناطق العالم التي تحمل أرضها وسحنات شعبها وثقافته الخصائص العربية للإنسان جنوب الجزيرة العربية بل إن هناك العديد من الدراسات المختصة التي ترجح عراقه وأصالة إريتريا في العروبة.

وكما أوضحنا في السابق أن بعض الدراسات تقول إن إريتريا هي امتداد طبيعي لنهضة اليوم ومجال جنوب الجزيرة العربية الركنية وقد ظلت تشكل منطقة واحدة الأرض العربية لجنوب الجزيرة العربية وذلك قبل انشطار الأخاديد من على اليابسة ووجود ما كان يعرف ببحر «القلزم» أو البحر الأحمر. حتى إن تغاضينا عن هذه الدراسات المتخصصة عن عروبة وعراقه إريتريا في العروبة والإسلام، ففي تاريخ إريتريا الذي يعرضه

الإريتريون ويفخرون به ، نجد أن إريتريا أرضاً وشعباً تمت بصلة قوية إلى العرب بعد أن هاجرت إليها القبائل العربية الحميرية من جنوب الجزيرة العربية إثر انهيار سد مأرب ونقلت معها لغاتها وثقافتها وحضارتها ومهاراتها الزراعية وغيرها من وسائل الازدهار التي عرفتتها الجزيرة العربية عامة وجنوبها على وجه الخصوص (١).

وكما هو واضح إلى يومنا هذا لا تزال اللغات الحميرية تستخدم في حياة الناس اليومية ، ويتحدث بها أغلب سكان إريتريا على صورة اللغتين التجريدية والتجريدية ، وتبلغ نسبة المتحدثين بها ٨٠٪.

كما أن تاريخ إريتريا منذ أقدم العصور ظل مرتبطاً بالتاريخ العربي وبالمناطق العربية تطوراً وغنى وازدهاراً وتدهوراً وانحداراً.

ولم يسجل تاريخ إريتريا عداءً بين الميحية والإسلام والعروبة بل إن أول حضارة شهدتها عموم المنطقة كانت حضارة مملكة «أكسوم» . وقد أنشأتها القبائل اليمنية ونقلت معها حضارتها وتراثها الثقافي والفني ومهاراتها الزراعية والتجارية بعد أن اتخذت من إريتريا دائرتها المكانية .

وقد تجسدت عروبة إريتريا ، بل وعراقيتها أيضاً وبصورة أقوى وأكبر من خلال الدين الإسلامي الذي كان لإريتريا فضل السبق في الدخول فيه بعد أن من الله عليها بالألفية في الإسلام ، وذلك بدخول المسلمين إلى أرضها في السنة الخامسة من البعثة النبوية .

وبعد أن اغتصبت حقوق إريتريا كان المسلمون الإريتريون هم الذين تصدوا للعمل الوطني فأنشأوا حزب الرابطة الإسلامية في عام ١٩٤٦ بمدينة «كرن» بقيادة الشيخ إبراهيم سلطان على - يرحمه الله - مطالبين بحرية إريتريا واستقلالها الوطني المميز من إثيوبيا . وفي عام ١٩٦٠م ولدت جبهة تحرير إريتريا بقيادة المجاهد حامد إدريس عواني (٢) .

والحقيقة التي لا تقبل التأويل ولا الجدل هي أن التأكيد على عروبة إريتريا ليس إلا من قبيل إقرار الواقع التاريخي لإريتريا وليس فقط بسبب الدماء العربية التي تجري في عروقها .

(١) عبد الرحيم إبراهيم عمر : مقال بعنوان إريتريا عربية مسلمة ، جريدة المسلمون ، العدد ٤٦٠ بتاريخ ١٩٩٣/١١/٢٦

(٢) عبد الرحيم إبراهيم عمر : جريدة المسلمون ، مرجع سابق

لإريتريين فذلك تراث مشترك لكل شعوب شمال شرق إفريقيا التي تكونت نتيجة لتزاوجات التاريخية بين العناصر السامية الوافدة من جنوب الجزيرة العربية، بل هو مطلب إريتري وخاصة بعد أن أزاح شعبنا كابوس الاستعمار الإثيوبي ونال حريته واستقلاله الوطني وهو الانتصار^(١).

وقضية الانتماء والهوية قبل كل شيء مبدئية وأخلاقية وليست قضية «البحث عن مصالح معينة» فحسب؛ فلا بد من معرفة الحقائق التاريخية التالية:

أولاً: الموقع الجغرافي: الذي شكل وفرض انتماءها الماضي والحاضر إلى العالم العربي؛ بحيث لا تستطيع حضارياً وثقافياً واقتصادياً الفكك من هذا الانتماء الذي يجد بحق قدرها ومصيرها ومستقبلها^(٢). هذا الموقع المتحكم في منطقة القرن الإفريقي الذي يعد من أكثر الملاصح حملاً في تشكيل تاريخها حاضراً ومستقبلاً فقد أدى قصر المسافة البحرية فيما بينها وجنوب الجزيرة العربية إلى دخول التأثيرات «العربية - الإسلامية» إلى إريتريا منذ وقت مبكر، حتى بات من المستقر أن قسماً كبيراً من السكان ينتمون إلى النطاق «الجغرافي والتاريخي» للهوية «العربية»، ولا سيما أن معظم هذا الشعب ينحدر من أصول عربية مسلمين كانوا أو مسيحيين.

ثانياً: أن التواصل الجغرافي والثقافي بين إريتريا وجاراتها العربيات، وخاصة السودان والسعودية ومصر له دوره وأهميته حيث ارتبطت إريتريا بوشائج وأواصر تاريخية مشتركة مع البلدان العربية والشعوب العربية عامة، وقد ساهمت علاقة الجوار الجغرافي والعلاقات التاريخية المشتركة بتناحيها الثقافية والروحية والاقتصادية في تجسيد وترسيخ تلك الوشائج والأواصر على مر العصور، ولا سيما منذ فجر التاريخ العربي الإسلامي الحديث.

وإذا كان هذا الموقع الاستراتيجي المنفرد قد عرض إريتريا منذ قديم لغزوات المستعمرين ابتداءً من الإغريق واليونانيين الذين أسموا البلاد باسمها الحالي مع تحريف بسيط «هونيوس ارتزيوس». ومروراً بالبرتغاليين والأتراك والحدويين المصريين

(١) انظر كتاب تاريخ إريتريا المعاصر أرضاً وشعباً للمؤلف لطلعة في هذه المسألة

(٢) رضا السماك: إريتريا والجامعة العربية، جريدة الخليج، العدد ٥٢٨٠ بتاريخ ١٩٩٣

والإيطاليين والبريطانيين وأخيرا الإثيوبيين ، فإنه حتى بعد الاستقلال ليس من ضمانات دولية يركن لها فى عالم سريع التغير ، وهو عالم التكتلات الكبرى ، بأن لا يتعرض أمنها القومي وسيادتها الوطنية لخطر جديد حتى فى المستقبل المتطور والبعيد .

ولاشك أن وراء مثل هذه المخاطر المحتملة لأى اعتبار من الاعتبارات لن يتأتى إلا بانتماء إريتريا إلى الكتلة العربية فهى مكانها الطبيعي وقدرها الحضارى وهذه الكتلة - ولاسيما دول الجوار منها - هى عمقها الاستراتيجى . .

نقول ذلك من حيث الاعتبارات الأمنية والاستراتيجية والمبدئية الدائمة بصرف النظر عما يعترى الوضع العربى العام راهناً من تمزق وتسرذم (١) .

ولاشك أن امتلاك رؤية واضحة لخطة التنمية التى ينبغى أن تسير عليها البلاد فى الداخل والخارج يساعد - فى الخروج من هذه الأزمة . .

وحقيقة لا بد من ذكرها وهى أن هذه الجوانب المهمة لهذا الخط هى تأسيس علاقات وطيدة مع الدول العربية ولاسيما دول الجوار والدول العربية القادرة على مساعدة إريتريا ومنحها القروض اللازمة لعملية البناء .

(١) رضا السماك : المصدر السابق نفسه ، ص ٢

موقف الدول العربية من القضية الإريترية عموماً والعلاقات الإريترية العربية بصفة خاصة

لقد أوضحنا كيف ساهمت العلاقات التاريخية المشتركة بمناحيها الثقافية والروحية بين العرب وإريتريا منذ فجر التاريخ .

وقد كانت أسطع ترجمة لتلك العلاقات بين الشعب الإريترى والشعوب العربية قد تجلت في مواقف هذه الشعوب التضامنية مع الثورة الإريترية ضد شتى أشكال وأجناس الاستعمار التي تناوبت في الهيمنة على مقدرات الشعب الإريترى ابتداءً من محاولات البرتغاليين في (ق ١٦) ليكون لهم وجود عند باب المندب، من خلال هذه البلاد وبلدان أخرى مجاورة وذلك لتأمين التجارة، ومروراً بالمحاولات الإنجليزية والفرنسية والصراع فيما بينهما للسيطرة على إريتريا . ثم المحاولة الإيطالية عندما أصدر ملك إيطاليا مرسوماً سنة ١٨٩٠ بتأسيس مستعمرة إريتريا ثم تمكنت بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية من السيطرة على البلاد عام ١٩٤١ ، وقد دامت هذه السيطرة إلى سنة ١٩٥٢ . وانتهاءً بالسيطرة الإثيوبية ^(١) . إذ إن إثيوبيا استطاعت من خلال « لعبة الأمم » تمرير مشروعها الإلحاقى فى إطار ما عرف بالاتحاد الفيدرالى مع إريتريا ومن خلال الأمم المتحدة سنة ١٩٥٠ وبالتواطؤ مع بريطانيا صاحبة الإدارة على الإقليم . . بعدئذ خاض الشعب الإريترى معركة بالغة الضراوة والتعقيد ضد السيطرة الإثيوبية سواء فى عهد نظام هيلاسلاسى الإمبراطور أم فى عهد نظام هيلى ماريام الماركسى العسكرى الديكتاتورى . .

(١) رضا السماك : المصدر السابق نفسه، ٢٥ / ١٠ / ١٩٩٣



ومن خلال هذه الملحمة البطولية التاريخية التي برزت مع مطلع السنين وتوجت بالانتصار التاريخي للشعب الإريتري على إثر سقوط نظام هيلاماريام وتمكن قيادة حركة التحرر الوطني الإريتري من السيطرة على العاصمة أسمرا وما تبع ذلك من خطوات قادت إلى حصول الشعب الإريتري على حقه في تقرير مصيره في ٢٥ مايو سنة ١٩٩٣ .

وهنا يتجلى دور العرب في هذه القضية .

ولقد كانت الشعوب والبلدان العربية غير غائبة عن دعم الثورة الإريتريية بمختلف فصائلها وعلى وجه الخصوص في المراحل الأخيرة من نضالها ضد السيطرة الإثيوبية بصرف النظر عما يعترى هذا الدعم والتضامن من توتر أو فتور في العلاقات بين الثورة الإريتريية وفصائلها الوطنية وبعض الأطراف العربية بسبب تأثير مناخ الحرب الباردة على المنطقة العربية وتبدل الأنظمة أو توجهاتها وسياساتها في إثيوبيا وبعض الدول العربية المجاورة أو القريبة .

ولقد عبّرت مصر الناصرية عن تضامنها المبكر مع قضية شعب إريتريا باستقبال أعداد كبيرة من الطلبة في مدارسها وجامعاتها كما استقبلت زعماءها منذ سنة ١٩٥٦ وافتتاح مكتب للإريتريين بالقاهرة ساعد على إعلان قيام جبهة تحرير إريتريا من القاهرة سنة ١٩٦٠ ، واستمر هذا الدعم والتأييد بالتفاوت للقضية الإريترية في عهد السادات وعهد مبارك حتى أن نالت إريتريا استقلالها الوطنى ، وترجمت هذه المواقف والعلاقة فى الزيارة التى قام بها الرئيس المصرى محمد حنى مبارك لإريتريا أثناء احتفالها بالاستقلال تأكيداً على أهمية إريتريا ، وتحمل هذه الزيارة مغزى كبيراً ومحاولات مصرية لتوطيد العلاقات المصرية - الإريترية نظراً لقدرة مصر على مساعدة إريتريا لخبراتها الكبيرة فى المجالات الزراعية والصناعية بالإضافة إلى إمكانية تلبية الاحتياجات الإريترية من المعدات فى مجالات مختلفة حيث يفى الإنتاج المصرى المتطور نوعاً بالاحتياجات الإريترية (١) .

وكان السودان ، والسعودية وغيره من بلدان الجوار العربى معبراً للإريتريين المتجهين إلى مصر ودول المشرق العربى . . . وفتحت بعض البلدان العربية عواصمها كاليمن ، ودمشق ، وبيروت ، وبغداد ، وليبيا وبعض العواصم الخليجية لاستقبال قيادات الثورة الإريترية وأبناء الشعب الإريترى والذين اتجهوا إليها بهدف العمل أو طلب العمل أو كمقر لإدارة العمل السياسى للثورة أو للتدريب العسكرى . كما كان للدول العربية إسهاماتها المتفاوتة فى دعم الثورة مادياً وعسكرياً وإعلامياً وفى المحافل الدولية . إن كل ذلك انعكس ومنذ البداية كما هو ملحوظ فى الكوادر الإريترية ، فقلما تجد أى مواطن إريترى مؤهلاً أو فنياً أو مثقفاً لا يتعامل مع اللغة العربية إما بصفة أساسية لكونه عربى الانتماء أو بحكم تأهيله فى البلدان العربية إبان احتضان قياداتها على اختلاف انتماءاتهم العرقية والقومية . وتشكل نسبة الكوادر التى تخرجت من المدارس العربية التعليمية والإدارية فى مجالات مختلفة ٦٠٪ من نالوا خبراتهم ومهاراتهم فى العالم العربى حسب بعض التقديرات الصحافية . وشكل الوضع التعليمى للإريتريين طوال العقود الأربعة قناة مهمة للحضور العربى فى فكر ووجدان لسان الإنسان الإريترى .

(١) حسن البطل : مقال إريتريا بعد الاستقلال ، لغة المصالح تحكم العلاقات الخارجية ، جريدة الوفد ، ١٩٩٣/٧/١٩

قرار للملك فهد

في معالجة الإريتريين وتعليم أولادهم

أسوة بالمواطنين السعوديين

كان قد أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز قراراً يقضى بمعاملة الإريتريين الموجودين في المملكة العربية السعودية على غرار المواطنين السعوديين، في مجال التعليم والصحة.

وبموجب هذا القرار كان يسمح لأولاد الإريتريين بدخول المدارس الرسمية في المملكة، دون رسوم، ومعالجة كافة الإريتريين في المستشفيات، وتسهيل إقامتهم للعمل. وكانت هذه اللقطة الكريمة من الملك إذ أنها خففت وإلى حد كبير من معاناة الإريتريين المشردين عن بلدهم وتوفر لهم الرعاية التي يحتاجونها.

وإذا كانت هذه هي الخلفية العامة للعلاقات التاريخية الحيمة بين الشعب الإريتري والشعوب العربية وبخاصة في مرحلة ثورته الأخيرة التي توجت بالاستقلال مؤخراً وما بذلته الدول العربية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية من جهد في سبيل الوحدة الوطنية، كل هذه المواقف جسدت بحق روح الأخي والمصير المشترك، فإن تلك لم تأت من الفراغ إذا ما أخذنا الأصول المشتركة لقسم كبير من الشعب الإريتري مع الشعب العربي عموماً. فبالنظر إلى التركيب القومي والاثني للشعب الإريتري، كما بينا في السابق نرى أن أغلب مكوناته إما ينحدر من أصول عربية وإما مختلطة. . كما ينتمي معظمها إلى الدين الإسلامي.

وبخلاصة القول، لقد بينا في هذا الفصل الأبعاد التاريخية والثقافية والاجتماعية والروحية في العلاقات التي تربط إريتريا بالعالم العربي وصولاً إلى الدعم والتأييد، وهذه الأبعاد في المواقف المشرفة التي وقفتها الشعوب والدول العربية من الثورة الإريتريّة منذ انطلاقها في أوائل الستينات حتى انتصارها في ٢٤ مايو ١٩٩١ بعد التحرير دام أكثر من ٣٠ عاماً، وبالمقابل كان الموقف الإفريقي بصفة عامة معادياً لنا ولثورتنا وكانت تقف في



نفس الخيانة المعادية الإمبريالية والصهيونية العالمية وعلى رأسها إسرائيل وأمريكا . . فلا يعقل أن تكون هذه الدول حايختنا الاستراتيجية في المستقبل مهما كانت الظروف ومهما تبدلت المواقف ؛ فإريتريا مكانها الطبيعي المحيط العربي ولا يمكن سلبها من هذا المحيط الذي يتمتع بالعمق الاستراتيجي حضارياً وتاريخياً وجغرافياً .

اللغة العربية وموقعها من النضال الإريتري

كثير الحديث مؤخراً عن اللغة العربية في إريتريا ومكانتها عند الشعب الإريتري حيث تداولتها الأقسام والألسن وخاصة في أثناء مناقشة لجنة الدستور الإريتري فكانت هذه المسألة مثاراً للجدل والمناقشة من قبل الشعب الإريتري في الداخل والخارج . تأكدت هذه المواقف بإقرار اللغة العربية بجانب التجريبية لغة رسمية للبلاد في الدستور الإريتري المرتقب .

ولكن في الآونة الأخيرة ظهرت ثمة تقارير صحفية برزت مؤخراً تفيد بوجود توجه لدى أوساط رسمية نافذة في القيادة الإريتريية بإلغاء اللغتين الرسميتين للبلاد من الدستور الإريتري وجعل اللغات السبعة متساوية للجميع في المعاملات في الدستور . وهي من الأمور الباعثة على القلق بجانب أمور أخرى مثل عدم إقرار الديمقراطية والتعددية السياسية في البلاد .

ومشاكل إريتريا - وكما هو معروف - من نوع التحديات التي تواجه الأقطار الحديثة الاستقلال وبالذات في إفريقيا والوطن العربي . حيث تمثل قضايا التنمية والبناء والوحدة وخاصة في إريتريا هي عنوان تقدمها . وأن معركة البناء ورفاهية المجتمع من مسؤولية الجميع بعد أن حاز الشعب الإريتري استقلاله الوطني في كامل ترابه ، وإذا انطبق علينا المثل القائل إننا نتعلم من العفر ونتوعب من الشيخوخة ، لأننا إذا أغفلنا دروس الماضي ومعركة التحرير والاستقلال الوطني لإريتريا التي حشدت ديمقراطياً كل أبناء الشعب الإريتري ، وأنجزت وحدته واستقلاله فنكون الخاسرين جميعاً ؛ ولذلك لابد من احترام ثقافتنا وتراثنا حتى نصون بذلك وحدتنا والتي من خلالها تم إنجاز الاستقلال في إريتريا . وإريتريا زاخرة بالعقول النيرة وأصحاب الإرادات القوية المستوعبة دروس الماضي والتاريخ

الإريتري المعاصر ، والتي تدرك أن مسألة الوحدة الوطنية وتثبيت الثوابت الوطنية مثل إقرار اللغة العربية والتجريد لغتين لإريتريا والتأكيد على التعددية السياسية في البلاد مسؤولية في أعناق الجيل الحاضر مثلما هي رسالة تؤدي للأجيال القادمة ، فالوضوح هو الذي يعصم الشعب من الإثارة والفتن وعدم الاستقرار .

و ضمان مستقبل إريتريا الثقافي يتوقف على مقدار الاهتمام باللغة القومية وهي اللغة العربية والتجريدية ، لأن اللغة العربية هي وعاء الفكر والعاطفة بما تمثله من تعبير عن الضمير والعقل وبما تملكه من عمق وغنى في مفرداتها وآدابها وما تثقله من موقع في حياتنا المعاصرة .

وموضع اللغة العربية في إريتريا حديث ذو شجون ؛ إذ يعود تاريخه كما هو معروف لدى الجميع من أبناء الشعب الإريتري إلى الخمسينيات إبان فترة حق تقرير المصير لإريتريا ؛ حيث حدث جدل كبير بين المؤيدين للغة العربية والرافضين لها في المجتمع الإريتري ، ورغم أن وسائل الضغط كانت لصالح جانب الرفض إلا أن العنصر المطالب بإثباتها تمكن من ذلك ورغم الضغوط والتعسف ، فأقرها البرلمان حفاظاً على الوحدة الوطنية ، لغة إريتريا إلى جانب اللغة التجريدية ^(١) .

وهكذا كان الوضع ، ومن ثم تقرر دراستها في المدارس الحكومية في عهد الحكومة الفيدرالية الإريتريّة . وساد هذا العرف إلى نهاية الخمسينيات حتى تم إلغاؤها رسمياً من قبل الامبراطور هيلا سلاسي .

هذه الخلفية التاريخية القريبة للغة العربية في إريتريا في عهد الكفاح السياسي للشعب الإريتري ، وفي عهد الكفاح المسلح الذي بدأ في مطلع الستينيات من هذا القرن كانت التنظيمات المسلحة في الساحة بدءاً من فترة التنظيم الواحد في جبهة التحرير الإريتريّة وانتهاءً بالتنظيمات الأخرى التي كانت موجودة في الساحة ، وبغض النظر عن قوتها وضعفها ، كانت تقر هذه اللغة بجانب التجريدية في كافة معاملاتها الرسمية وغير الرسمية .

(١) نوراي أبو خليل : مقال اللغة العربية وموقعها من نضال الشعب الإريتري ، الشرق الأوسط ، العدد ٣٤٢٧ ، طبعة جدة ، بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٩٨٨

وإننى أتساءل اليوم وبعد الاستقلال الوطنى الذى ناضل فيه الجميع لماذا تطالب بعض الأصوات بتجاهل اللغة العربية فى إريتريا ؟ ولماذا هذا الاضطراب ؟ هل هو ناتج عن سوء نية مبيتة أم عن جهل بحقائق التاريخ ومعطياته الواضحة كما بيننا فى الحلفية التاريخية لهذا الشعب ؟ وتنادى بعض الأصوات من هنا وهناك بأن اللغة العربية لغة أجنبية مثلها مثل اللغة الإنجليزية والتركيز فى التربية والتعليم على لغات القوميات إن صحت تسميتها، وفى اعتقادى أن هذه اللغات ليست لغة التعليم والثقافة بل هى تكرس الفقرة وعدم التجانس بين الشعب الإريتري الواحد وتفرض الجهل على الشعب الإريتري .

وكان من الأخرى لهذه الأصوات أن تراعى مشاعر الشعب حفاظاً على وحدته وأن تستقرىء حقائق التاريخ وأصول غالبية الشعب الإريتري وانتماءاتها العرقية مراعاة لبعض الجوانب الروحية لدى البعض الآخر من فئات الشعب الإريتري الأمر الذى يمكن إغفاله وإبعاده فى تقرير يمثل هذه المسألة الحماسة بالغة الأهمية . ومع هذا لا ندعو إلى التجنى على بعض القوميات التى لا تنتمى إلى هذا الأصل الذى تنتمى إليه الغالبية من المسلمين والمسيحيين على حد سواء .

والشعب الإريتري إذا نظرنا نظرة فاحصة حول أصوله وانتماءاته الثقافية والحضارية تتجلى لنا وبوضوح انتماءاته حضارياً وثقافياً وعرقياً إلى شعب الجزيرة العربية جنوباً وشمالاً . وإن كان للعامل الدينى دور بارز فى الولاء لهذا الانتماء .

وأيمن نحن من حرية العقيدة التى نتشدد بها ومكفولة للجميع فكيف نتعلم القرآن ؟ وهل ننسى قوله تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً » ؛ فاللغة العربية هى لغة القرآن والدين الإسلامى ولغة أهل الجنة . ولذلك من العبث مقارنتها باللغة الأجنبية ؛ فمكائنتها بالنسبة للشعب الإريتري كبيرة وعميقة . والجيل الحاضر قبيل الثورة والمعاناة والصمود والتصدى ليس أقل وطنية من جيل الآباء والأجداد الذين صمدوا فى إقرار اللغة العربية حفاظاً على الوحدة الوطنية وتمسكاً بتراثهم القومى والوطنى فى إريتريا .

ومن خلال تتبعنا لتاريخ إريتريا المعاصر، حاولت القوى الأجنبية الاستعمارية، وبكل السبل، تمزيق وحدته وكيانه، إلا أن روح التأخى كانت أسمى وأقدر ولذلك حافظ أبائنا على وحدتهم وتراثهم فلا بد من أن نتعلم منهم الدروس والصبر حتى لا نقع فى أخطاء تجاوزوها منذ أربعين عاماً ووفروا لنا الزمن .

obeikandi.com

الفصل الخامس

اللغة العربية من الاحتلال الإثيوبي حتى الثورة

- ١ - الثقافة والتعليم في عهد الحكومة الفيدرالية
- ٢ - الثقافة والتعليم في عهد الاحتلال الإثيوبي
- ٣ - الثقافة العربية عموماً
- ٤ - التعليم والثقافة في عهد الثورة
- ٥ - دور الفصائل الإريتيرية في التعليم والثورة
- ٦ - دور الفصائل الإريتيرية في الثقافة العربية والإعلام

الثقافة والتعليم فى عهد الحكومة الفيدرالية

كانت الإدارة العسكرية البريطانية قد استبدلت المنهج الذى كان مطبقاً فى مدارس الإريتريين بمنهج جديد يقضى بأن يتم التعليم بعد الآن بلغات البلاد الأصلية على وجه الحصر «العربية أو التجريدية» حسب رغبة السكان ولم يستثنى من هذا النظام الجديد سوى المدارس المتوسطة التى كانت اللغتان العربية والتجريدية تدرس بهما كلغة فقط مع تدريس المواد الأخرى بالتجريدية^(١).

بعد أن تشكلت الحكومة الإريتريّة فى عام ١٩٥٢ تطبيقاً لقرار الاتحاد الفيدرالى الصادر من الأمم المتحدة بربط إريتريا فى شركة فيدرالية مع إثيوبيا، نشأت إدارة أطلق عليها «إدارة المعارف» تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية التى كانت تضم أيضاً الصحة والعمل. وحدث فى الفترة الأولى من عهد الحكومة الإريتريّة تطور نسبى فى انتشار التعليم كماً وكيفاً، فأنشأت عدداً من المدارس الابتدائية والإعدادية فى المدن والقرن وكذلك بعض المدارس الصناعية والمعاهد العليا بجانب عدد من المدارس الثانوية، وبدأت هجرة الطلبة إلى الخارج سواء على نفقتهم أو بمنح دراسية إلى القاهرة. واشتمل التعليم النظامى العام الذى طبق فى إريتريا بعد الاتحاد الفيدرالى مع إثيوبيا على ١٢ سنة من الدراسة، مقسمة إلى ثلاث مراحل متساوية فى عدد السنين، هى الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وقبل رحيل الإنجليز فى عام ١٩٥٢ كان عدد المدارس قد بلغ ٧٤ مدرسة موزعة على النحو التالى :

(١) عثمان صالح سبى : جغرافية إريتريا، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٦

(١) ١٦ مدرسة في أسمرًا.

(٢) ٢١ مدرسة في محافظة حماسين .

(٣) ١٧ مدرسة في محافظة سراي .

(٤) ١١ مدرس في المديرية الغربية .

(٥) ٩ مدارس في محافظة البحر الأحمر «سمهر» .

وذلك بالرغم من عدم وجود العدالة في توزيع المدارس الابتدائية في جميع المحافظات الإريترية^(١) .

وفي بداية الحكم الذاتي في عام ١٩٥٢ كان في إريتريا نحو ١٣٥٠٠ طالباً، و ١٤ مدرسة متوسطة «إعدادية» ضمن ١٢٠٠ طالباً، ومدرستان ثانويتان مجموع الطلاب فيها ١٦٧ .

ويذكر ترفاكس «إن ٣٠ طالباً إريترياً حتى تلك الفترة كانوا يتابعون دراستهم العليا خارج البلاد على مستوى جامعي»^(٢) .

وبعد خروج الإنجليز بلغ عدد الطلبة ٨٦٧ر٢٤ طالباً حسب إحصاء الحكومة الإريترية بعد أن رصدت الحكومة الإريترية مبالغ أكبر من الميزانية لفتح المدارس الجديدة وتوسيع نطاق التعليم ، فارتفع عدد المدارس المتوسطة إلى ٣٠ وبلغ عدد الطلبة ٢٦٠٠٠ طالب . وهناك الكثير من الدراسات التي أجرتها الحكومة الإريترية قبل أن تقضى عليها الحكومة الإثيوبية بالاحتلال المباشر .

وذكرت نفس المصادر أن عدد المدارس الخاصة غير الحكومية كان ٢٣٦ مدرسة وهذا يفوق عدد المدارس الحكومية وتضم ١٢٢ر٢٩ طالباً وهذا ما يعكس اهتمام الشعب الإريترى بالتعليم والثقافة باللغتين العربية والتجريدية . واهتمت الحكومة الإريترية ، رغم

(١) عثمان صالح سبي : مرجع سابق، ص ٢٠٩

(٢) ج . س . ك . ترينافسكي : إريتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال ١٩٤١-١٩٥٢ . ترجمة جوزيف صغير ، عام ١٩٦٠ ، بيروت ، دار المسير ، ص ٢٢٥

كل مسببات الضعف التي أحاطت بها، بمحو الأمية فأُسست ١٤ مركزاً لهذه الغاية كان بها ١٣٨١ دارساً .

وفى عام ١٩٦٤ كان عدد الطلبة فى مختلف المدارس قد تجاوز مائة ألف وبلغ عدد المدرسين ١٩٤٥ مدرساً فى المدارس الحكومية والمدارس الخاصة (١) .

(١) عثمان صالح سبى : مرجع سابق، ص ٢١٠

الثقافة والتعليم فى عهد الاحتلال الإثيوبى

كانت إثيوبيا دولة إقطاعية استعمارية متخلفة ، فقد عملت على تأخير التقدم العلمى والثقافى فى إريتريا ويقول جون جنتر :

«رغم أن الإريتريين لم ينالوا إلا قسطاً ضئيلاً من التعليم إلا أنهم أكثر تقدماً من غالبية الإثيوبيين»^(١) .

ولذلك فقد أغلقت كثير من المدارس فى المدن والقرى وذلك بحجج واهية تحت دعوة أن السكان لا يرسلون أطفالهم إلى المدارس ولكن لهذه الظاهرة أسبابها التى لم يحاول المستعمر الإثيوبى فهمها على الإطلاق^(٢) . وأهم هذه الأسباب عندما منعت الحكومة الإثيوبية التعليم باللغتين الرسميتين لإريتريا - العربية والتجريدية ، وفرضت التعليم بالأمهرية الدخيلة على الإريتريين فى محاولة لمهجر الشعب الإريتري . وتعد هذه من أهم الأسباب التى عزف فيها الطلاب عن الاستمرار فى المدارس الحكومية .

وكان الدستور الإريتري الذى أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٥٢ ووافق عليه الشعب الإريتري بالإجماع . والمادة ٣٨ من الدستور الإريتري تقر بخصوص اللغات ، هذا نصها :

«ستكون اللغتان الرسميتان لإريتريا العربية والتجريدية» .

(١) جون جنتر : داخل إفريقيا

(٢) نبيلة عمر الحاج إدريس : مرجع سابق ، ص ٤٣

«اللغات التي يتحدث بها ويكتبها جماعات مختلفة من السكان يجوز العمل بها في صلاتهم بالحكومة كما لهم حرية استبدالها في أغراضهم الدينية والتعليمية وفي جميع مظاهر التعبير عن الرأي طبقاً للعرف السائد»^(١).

وقد وافق شعب إريتريا بواسطة ممثليه ، وصدق على القانون الفيدرالي الذي أقرته في ٢ ديسمبر ١٩٥٠ الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

(١) أعده مندوب الأمم المتحدة وفقاً لنصوص المادة ١٢ من قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة : «دستور إريتريا» ٢ ديسمبر ١٩٥٠ ، ص ٢ .

الثقافة العربية عموماً

منذ الاحتلال الإثيوبي حاربت السلطات الإثيوبية استعمال اللغة العربية والتجريدية فى المدارس والأعمال الرسمية، وأحلت محلها لغتها الأمهرية عملاً بسياسة «الاحتواء والتمهير» ولكن فى ظل الثورة الإريتريية حظت اللغتان الرسميتان باهتمام كبير من الناحية الثقافية والإعلامية والتعليمية .

كما أن اللغة التجريدية لقيت عناية خاصة من قبل الجهة الشعبية لتحرير إريتريا واهتمت بتطويرها ووضعها قاموساً جديداً لها واعتمدتها لغة أساسية فى الميدان وفى جميع أدبياتها بجانب اللغة العربية .

إن التعليم من حيث المنطق ضرورة حياتية خاصة فى عصرنا الحاضر ، عصر انتشار العلم والثقافة على كافة المستويات الشعبية حتى يستطيع الإنسان أن يعيش حياة لائقة متسلحاً بمتطلبات العصر من مهارات علمية وفنية .

ولهذا نجد الدول حتى الفقيرة منها ترصد قسماً كبيراً من موازنتها للتعليم بغية اللحاق بركب الحضارة الحديثة (١) . والأمر بالنسبة للشعب يغدو أكثر حيوية حيث إن حالة الحرب المستمرة منذ عشرين عاماً أدت إلى إغلاق معظم المدارس الحكومية والأهلية فى المدن مع قتلها، مما جعل طلبة إريتريا يتوجهون إلى الخارج، إلى الأقطار العربية وعلى رأسها جمهورية مصر العربية وبعض الأقطار الأوروبية والأمريكية طلباً للعلم . ولكن قلة الإمكانات المادية وصعوبة إجراءات السفر كانت تحد من سفرهم .

(١) عثمان صالح سبى : مرجع سابق، ص ١٩١

يضاف إلى ذلك أن الصراع الإريتري - الإثيوبي يعكس في جوهره صراعاً حضارياً ثقافياً يتمثل في الرفض العنيد من الأنظمة الإثيوبية المتعاقبة للثقافة العربية - الإسلامية ، يقابله تمسك عنيد من قبل الإريتريين بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية . مما حتم على المناضلين الإريتريين إعطاء الجانب التعليمي اهتماماً لا يقل عن اهتمامهم بالقتال من أجل تحرير الوطن .

الثقافة والتعليم فى عهد الثورة الإريتريّة

منذ بداية جبهة التحرير الإريتريّة . . والثورة عموماً فى مضامينها تبغى التغيير الجذرى . . تغيير واقع اجتماعى وسياسى وثقافى مترد لشعب من الشعوب ببدايل وأشكال أكثر رقياً وتقدماً ، وهى بهذا نتاج طبيعى لمعاناة القهر الطبقي والإذلال القومى والثقافى ، وعى فى مجملها عملية صهر تاريخية كل الطاقات لتصب نحو قناة واحدة وخلق التوافقية والانسجام بين أفراد المجتمع والزج به فى الصراع لإحداث متغيرات لصالح البنى التحتية الأكثر تضرراً واضطهاداً .

وهى فى التحصيل النهائى صراع بين قوتين ، قوى ضاغطة متخلفة لا تؤمن بالتغيير وتشد من عجلة التقدم لإيقافها ، وقد تشد التحرر والانطلاقة نحو آفاق أوسع وبناء علائق جديدة وفق منظور جديد يسترشد مصالح القطاعات المقهورة .

والثورة حين تصنع الأحداث تمارس دورها وفقاً لمنظور علمى وبحركة القوانين الاجتماعية الثورية تؤثر وتتأثر - بدرجة أو بأخرى - بالواقع المحيط بها على الرغم من كونها تمثل رفضاً لذلك الواقع المتردى ويديلاً متقدماً وصيغة أرقى منه^(١) .

وفى إطار هذا المفهوم قامت الثورة الإريتريّة لتغيير كل المفاهيم الاستعمارية التى حاول الاحتلال الإثيوبى تخدير الشعب الإريتري بها . ولهذا فإن أول ما اهتمت به الثورة الإريتريّة هو الثقافة والتعليم وبناء عقول إريتريّة واعية ومسلحة بالعلم والمعرفة فقد كان التعليم فى بداية الثورة الإريتريّة تابعاً لمكتب الشؤون الاجتماعية ، حيث فتحت أول مدرسة ابتدائية فى مدينة كسلا فى شرق السودان بين عامى ١٩٦٨ - ١٩٦٩ .

(١) الاتحاد العام لطلبة إريتريا : دراسة تاريخية وتحليلية عن إريتريا والثورة الإريتريّة ، ص ١٩

وكان المنهج الذى يدرس فيها هو المنهج السودانى، بالإضافة إلى الدروس الوطنية عن تاريخ إريتريا وجغرافيتها، استمر المد التعليمى داخل السودان فى معسكرات اللاجئين وخارجها، وفى عام ١٩٧٥ أقر المؤتمر الوطنى لجهة التحرير - المجلس الثورى بتكوين جهاز خاص بالتعليم فقط، سمي جهاز التعليم وفى هذه الفترة وبعد تحرير الكثير من المدن الإريترية وتزايد أفواج الكثير من الإريتريين فى مدينة كسلا وضواحيها كان لابد من استيعاب هذا الكم من الأطفال ضمن برنامج وخطة تربوية وتعليمية، وبمساعدة الدول الصديقة والشقيقة من الدول العربية جهزت هذه المدارس بأدوات دراسية .

وأما المنهاج الذى كان معمولاً به هو منهاج المملكة العربية السعودية بجانب اقتباسات من المنهج السودانى، ووضع الجهاز منهاجاً بمساعدة كلية التربية جامعة الخرطوم وكلية بخت الرضا وجامعة أم درمان الإسلامية، والأساتذة المتخصصين بوزارة التربية والمركز الثقافى الإفريقى .

وكانت هذه المدارس تدرس اللغة التجريدية واللغة الإنجليزية من الفصل الثانى، أما اللغة العربية فتدرس بها كل المواد وهى اللغة الأساسية للتدريس مع مراعاة تطبيق نواحٍ خاصة بالمنهج الإريتري .

أما الكتب فلم تكن متوفرة فقد طُبعت هدية من خادم الحرمين الشريفين إلى أطفال إريتريا وكان للمملكة العربية السعودية أيادها البيضاء منذ بداية الثورة فى التعليم الإريتري داخل المملكة وخارجها، والشعب الإريتري لا ينسى هذا الدور المقدر .

دور الفصائل الإريتيرية فى التعليم والثورة

من المتعارف أن الخطة التربوية والتعليمية ما هى إلا تطبيق نهج سياسى أو فكرى منظمة أو دولة . ولقد ساهمت كل المنظمات الإريتيرية بكل فصائلها فى عملية التعليم ومد جذوره لى يشمل أكبر رفعة ممكنة من المجتمع .

وكان لكل فصيل إريتيرى منهجه التربوى وتطبيقاته حسب المنهج العربى الذى يدعمه . ولكن مع الاتفاق التام على المبدأ الوطنى الذى كان الخط المشترك لكل المدارس الإريتيرية .

اهتمام قوات التحرير الشعبية بالتعليم

وقد اهتمت قوات التحرير الشعبية بالتعليم وكان لها دور مهم ورائد فى توسيع رفعة التعليم وخصوصاً فى مناطق اللاجئين الإريتيريين فى السودان فى الخارج عبر المنح الدراسية . وأولت قوات التحرير الشعبية هذا الجانب الاهتمام الأكبر ، من معلمين وكوادر .

ولذلك أخذت على عاتقها قضية التعليم كإحدى مهامها الأساسية ؛ فأستجهازاً للتعليم فى عام ١٩٧٦ بعد أن كان التعليم يتم عبر مبادرات غير منظمة وخاصة بعد الخلافات التى ابتليت بها الساحة الإريتيرية . وبدأ الجهاز نشاطه بين أطفال اللاجئين بتأسيس مدرسة فى معسكر ود الخليوة ضم ألفى طالب وطالبة ، ومعهد دينى ضم ٣٠٠ طالب وطالبة . واليوم فإن هذا الجهاز يعلم أكثر من ٣٠٠٠٠ طالب وطالبة نظامى فى المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والمعاهد الدينية بجانب مدارس داخل الريف الإريتيرى رغم الصعوبات التى تعادى الثقافة العربية الإسلامية بالإضافة إلى الخلاوى القرآنية .

اهتمام عثمان صالح سبى بتعليم الإريتريين خاصة فى مرحلة السبعينيات

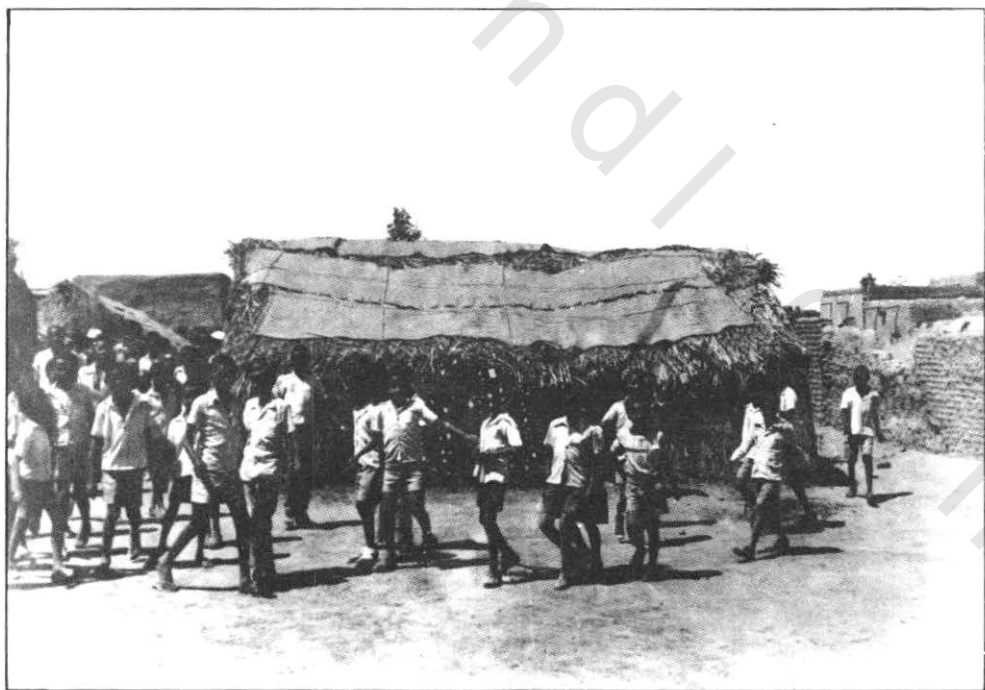
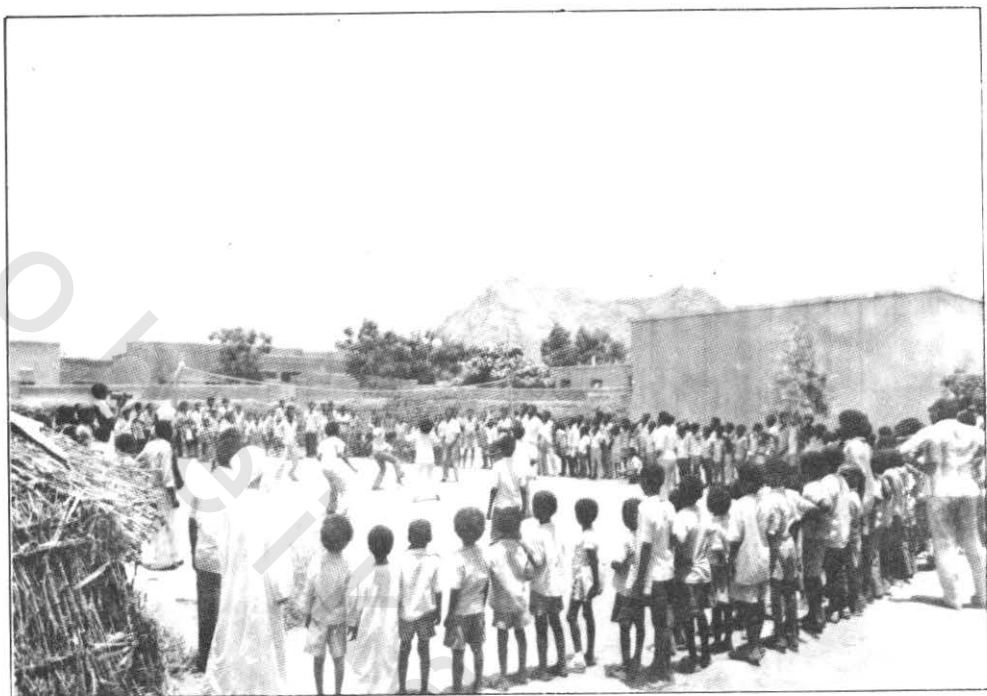
اهتم المناضل عثمان صالح سبى^(١) رئيس جبهة التحرير الإريترية - التنظيم الموحد فى مرحلة السبعينيات - بالجانب التعليمى الذى انتشل قطاعات واسعة من أبناء شعبنا من التخلف والجهل ، والذى تعتمد عليه إثيوبيا لتعميق وجودها الاستعمارى فى إريتريا فأوجد مجالات واسعة فى الدول العربية لإحقاق الطلاب الإريتريين بالمدارس والجامعات ، ولم يكتف بذلك بل أقام جهازاً تعليمياً لإريتريا - كما أشرنا إليه - يقوم بنهضة تعليمية تكون قاعدة راسخة للتعليم فى إريتريا وكبرست إمكانيات كبيرة لإقامة هذا الجهاز الذى اختص بصياغة المنهج التعليمى المتوافق مع متطلبات الواقع المرتبط بالثورة الوطنية الإريترية وإقامة المؤسسات التعليمية والمدارس والأقسام الداخلية والمكتبات . والذى قامت معظم أجهزته فى مناطق اللاجئين وفى السودان وإقامة المدارس والخلاوى القرآنية ، داخل إريتريا كان يتم دعمها بشكل سرى غير معلن^(٢) .

وأصبح لهذا الجهاز التعليمى مكانة متميزة فى المجتمع الإريترى وحظى باعتراف كثير من الدول العربية بالشهادات التى يمنحها ويحصل بناء عليها على المنح الدراسية ، وكان يشرف عليها الأستاذ الفاضل محمود صالح سبى شقيق الزعيم الراحل^(٣) الذى بذل جهوداً كبيرة فى استقامة هذا الجهاز التعليمى وأبعاده من التناقضات السياسية وأبرزه جهازاً وطنياً مستقلاً يخدم كل الفئات الوطنية الإريترية .

هذه هى الدوافع التى جعلت قيادة قوات التحرير الشعبية بزعامه القائد عثمان صالح سبى تأخذ على عاتقها قضية التعليم كأحد مهامها الأساسية .

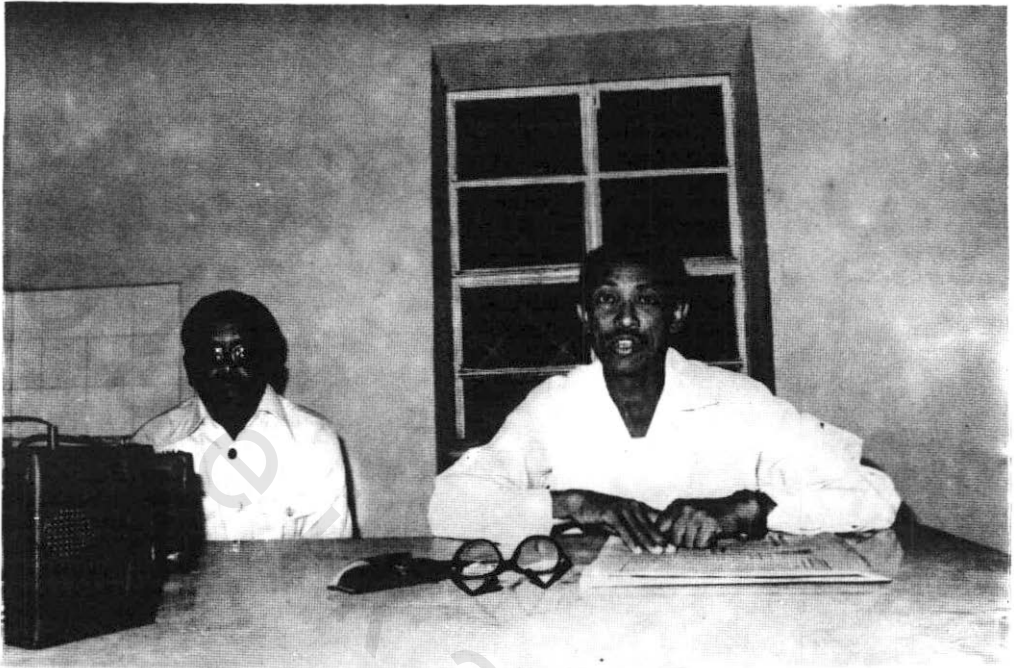
-
- (١) عثمان صالح سبى : كان من أكثر زعماء الثورة الإريترية اهتماماً بالتعليم وبالثقافة العربية . ومن أجل هذا أسس جهاز التعليم الإريترى الذى تحدثنا عنه
- (١) محمد عثمان أبو بكر : عثمان صالح سبى ودوره فى الحركة الوطنية بإريتريا ، بحث غير منشور ، القاهرة ١٩٩٦/٧/٢٥ ، ص ٢٢
- (٣) المرحوم محمود صالح سبى : هو الشقيق الأكبر للزعيم الراحل عثمان صالح سبى ، ولقد لعب دوراً مقدراً فى تعليم أبناء إريتريا فضلاً عن إشرافه على هذا الجهاز





الأستاذ والمعلم

وكان محمود سبى نموذجاً لجيل الد. ٤ عاماً الماضية، لأنه كان يمثل جيل التنوير والعقلانية والوطنية والرؤية القومية الشاملة والاستيعاب الكامل لحقائق العصر، ولذلك كرس حياته منذ البداية للتعليم فكان أستاذاً في مدرسة حريقو منذ بداية الخمينات. كما كان نموذجاً فريداً في العلم والمعرفة والإحساس العميق بالمسؤولية تجاه أبناء شعبه في مناطق اللاجئين والذين حرّموا من التعليم، وكان يمتاز بدمائة خلقه، كما كان أباً يفيض بحنانه وبعلمه وعطائه على الآخرين حيث كان شغله الشاغل إدارة التعليم لهذه الأجيال الصاعدة من أمته ووطنه ليضئ الطريق أمام أبناء اللاجئين.



الأستاذ محمود صالح سبى

لقد فقدت الأمة الإريترية برحيله فارساً من فرسان التعليم فى بلادنا . فقد كان بحق قمة شامخة ومعلماً بليغاً ومنارة رائعة للعلم والمعرفة . رُحِمَ الله الفقيد رحمة واسعة فكانت وفاته خسارة كبيرة للأجيال الصاعدة . تولى جهاز التعليم الذى كرس حياته له حتى وافته المنية ، ومهما مرت السنوات سيظل ذكره الأستاذ محمود صالح سبى فى قلوب الآلاف من الطلاب الذين كان له الفضل فى تعليمهم والسهر من أجل خدمتهم حيث كان الأستاذ يعشق الحرية والتعليم .

مات الأستاذ نازفاً كالعصافير وصامتاً كالأشجار . لم تنكسر هامته يوماً رغم الصعوبات التى كان يواجهها فى تمويل الجهاز . ولم ينطفئ من داخله أمل . ولم يتوقف لحظة عن الحلم والتحليق من أجل المستقبل لهذه الأجيال التى كرس حياته لخدمتها .

وقد استطاع الأستاذ محمود بهدوئه المعروف وتواضعه الجمل وابتسامته التي لا تفارق شفته حتى في أحلك المواقف حيث أدار الجهاز التعليمي باقتدار بحكمته ويقظته وهدوئه وحسن اختياره للمعلمين والإدارة - أن يقود هذه المنارة العلمية التي كان أبناء وطنه، وخاصة في مناطق اللاجئين - في أشد الحاجة إليها، وأنا هنا لن أتحدث عن إنجازات الرجل وهي مصابيح مضيئة في عالم العلم والمعرفة. ٥٠ وسوف تذكرها الأجيال القادمة من أبناء إريتريا الصاعدة.

الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا والتعليم

عملت هذه الجبهة على توسيع رقعة التعليم ليشمل تعليم أكاديمياً وفتياً، ومتطوراً في مجالات كثيرة والتي تتطلبها مقتضيات الحياة اليومية النضالية، وعملت على سياسة إلزامية التعليم لمن هم في سن التعليم الإلزامي وغيرهم، وهناك نظام مثير حقاً لنظام التعليم الجديد وهو مدرسة زيرو "Zero" (١) وأنشئت هذه المدرسة للأيتام وأبناء الشهداء وأطفال اللاجئين المقاتلين في عام ١٩٧٦ وبدأت المدرسة بعدد ٢٥ طفلاً وأصبح عدد الأطفال عام ١٩٧٩م أكثر من ٢٥٠٠ طفلاً و٥٠٠ معلماً ومساعد معلّم (٢). وهي مدرسة داخلية مشيدة داخل جبال في الموقع نفسه، وكان بها معلمون مؤهلون، وأصبح لها نظم تربوية خاصة من حيث الكم والكيف.

مع تأكيد كل فصل مبدأ إقرار اللغة العربية والتجريدية في التدريس وفي كافة المعاملات الرسمية وغير الرسمية باعتبار اللغتين رسميتين للشعب الإريتري.

وهذه تعتبر ضمن الثوابت الوطنية التي التزمت بها كل الفصائل الإريتريّة في فترة التحرر الوطني ؛ وذلك وفقاً لـ «الإيمان بالثنائية الثقافية» ودعامتها اللغتان العربية والتجريدية.

(١) مدرسة زيرو : كانت هذه المدرسة مبنية تحت الأرض في نفق الساحل الشمالي على شكل «قبو» أي طابق أسفل لأسباب أمنية

(٢) نبيلة عمر الحاج إدريس : مرجع سابق، ص ٥٧

وهما اللغتان الوطنيتان لإريتريا^(١) حاضراً ومستقبلاً بعد الاستقلال «وكانت كل أدبيات الثورة الإريترية باللغة العربية والتجريدية»^(٢).

ومما سبق ذكره يتضح بأن المناهج التي تدرس في مدارس الفصائل تركز على التراث الوطنى من حيث المبدأ بالرغم من الخلافات العميقة بين الفصائل الإريترية إلا أنها كانت إيجابية فى توسيع رقعة التعليم، وبعد أن تمت الوحدة بين قوات التحرير الشعبية وجبهة التحرير الإريترية أصبح جهاز التعليم جهازاً منفرداً بعيداً عن الانتماء السياسى بالإرشاد والتوجيه للراحل محمود صالح سبى الذى أدى دوراً رائداً وتاريخياً فى مجال النهضة العلمية فى إريتريا .

دور الفصائل الإريترية فى الثقافة العربية والإعلام

لقد اهتمت وسائل الإعلام الإريترية فى استراتيجيتها وفى جميع أدبياتها الناطقة باللغة العربية فى بث الروح الوطنية والحماس الثورى فى الشعب للدفاع عن الوطن وحمايته بكل الوسائل والإمكانات أخذة فى الاعتبار التراث والقيم الأخلاقية والفلسفة والمستمدة من تراثها العربى الأصيل .

وفى فترة الاحتلال الإثيوبى حاول المستعمر بكل السبل أمهت الشعب الإريترى حتى يتسنى له طمس هويته وتراثه ودمج خريطته فى خريطة إثيوبيا بمواثيق وحجج واهية لا تمتد إلى شرعية لا دولية ولا محلية . ولكن الشعب الإريترى كان أكثر تماسكاً بوطنه وكيانه المميز ، فتمتد نشاطت وسائل الإعلام فى إريتريا منها المقروءة والمسموعة وبكل الأساليب الإعلامية وغير الإعلامية داخل الوطن وخارجه متخذة كل الأساليب فى بث الروح القومية والوطنية لشعبنا .

وفى عهد الثورة لعب الإعلام الإريترى دوراً مهماً وفعالاً فى مجال التوجيه السياسى والمعنوى لإبراز الوعى الإريترى وتوجيهه توجيهاً سليماً وإيجابياً فنقل الصورة الصحفية

(١) جبهة التحرير الإريترية، التنظيم الموحد، مهام نضالية مستمرة، التوجيه المعنوى

(٢) جبهة التحرير الإريترية، قوات التحرير الشعبية : مشروع الدستور والنظام الداخلى والبرنامج

السياسى والعملى، المادة الرابعة، ص ٦

جدول

يبين الصحافة التي بدأت من عام ١٩٢٨ م إلى عام ١٩٥٤ م
وقد صدرت بعدة لغات (لغة عربية وتجرينية وإيطالية وإنجليزية)
أسماء وتواريخ صدور الصحف في إريتريا

سلسل	الجريدة	تاريخ صدورها	لغاتها
١	اليومية الإريترية	١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م	العربية والإيطالية والإنجليزية
٢	بريد الإمبراطورية	١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م	العربية
٣	الجريدة العسكرية - سافري ١	١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م	العربية
٤	الجريدة الإريترية الأسبوعية	١٣٦١ هـ / ١٩٤٣ م	العربية
٥	مجلة الشهر	١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م	العربية
٦	البريد العربية الأسبوعية	١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م	العربية
٧	الزمان	١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م	العربية والتجرينية
٨	الغازيتة الإريترية	١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م	العربية
الصحافة الحزبية			
٩	صوت الرابطة الإسلامية - حزب الرابطة الإسلامية	١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م	انعرية
١٠	الجريدة الإنثوية - حزب الانضمام إلى إثيوبيا	١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م	العربية والتجرينية
١١	نور إريتريا - حزب الانضمام إلى إثيوبيا	١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م	العربية والتجرينية
١٢	إريتريا الحرة - لحزب إريتريا الجديدة	١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م	العربية والتجرينية
١٣	وحدة إريتريا - للكتلة الاستقلالية	١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م	العربية والتجرينية
١٤	الاتحاد والتقدم - حزب الرابطة والتقدم	١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م	العربية والتجرينية
١٥	صوت إريتريا - للرابطة الإسلامية لإريتريا	١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م	العربية والتجرينية
١٦	جريدة الاتحاد - لحزب الانضمام إلى إثيوبيا	١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م	العربية والتجرينية
الصحف التجارية والدينية والثقافية			
١٧	مجلة اسمرا الثقافية - لمحمود ريمه	١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م	العربية
١٨	جريدة الغرفة التجارية - للغرفة التجارية الإريترية	١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م	العربية والإيطالية والإنجليزية
١٩	المجلة الاقتصادية - لشخص إيطالي	١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م	العربية والإيطالية والإنجليزية
٢٠	مجلة المنار والثقافة - لصلاح عبدالقادر البشير	١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م	العربية

وبعدها صدرت ثلاث صحف فقط وهي : الغازيتة / إثيوبيا / الوحدة، والباقي توقفت عن الصدور

الصحيحة لعالم الصحافة ، مما أدى إلى وقوف العالم إلى جانب الشعب الإريتري وثورته
مشيدا بالانتصارات التي تحققت نتيجة التضحيات الكبيرة .

الإعلام بين فصائل الثورة الإريتريّة ، كان فيه كثير من التباينات فيما بين المنظمات
حيث كانت تغطي عليه الانتماءات السياسية المختلفة .

وبالرغم من هذه التباينات ، كان الكل يؤكد إبراز عدالة القضية الإريتريّة في المقام
الأول في أدبياتها الصادرة باللغة العربية وإدانة النظام الإثيوبي في ممارساته غير الإنسانية
لإبادة الشعب الإريتري .

ونورد هنا على سبيل المثال بعض النماذج من الأدبيات باللغة العربية الصادرة عن
جميع الفصائل الإريتريّة

الصحافة الإريترية الصادرة بعد انطلاق الثورة الإريترية باللغة العربية

أدبيات جبهة التحرير الإريترية :

- ١ - النضال الإريترى : باللغة العربية .
- ٢ - الثورة الإريترية : «مجلة باللغة العربية شهرية» .
- ٣ - نشرة أخبار إريترية : باللغة العربية .
- ٤ - الثورة : باللغة العربية شهرية .
- ٥ - السواعد : باللغة العربية عن الاتحاد العام لطلبة إريتريا .
- ٦ - بتمبر : باللغة العربية ، يصدرها المكتب العسكرى للجبهة .
- ٧ - آدال : باللغة العربية كان يصدرها الاتحاد العام لطلبة إريتريا .
- ٨ - فجر الوحدة : باللغة العربية كان يصدرها الاتحاد العام لطلبة إريتريا .
- ٩ - النشرات والكتب والوثائق الخاصة بالثورة الإريترية التى كان يصدرها مركز الإعلام الخارجى لجبهة التحرير الإريترية باللغة العربية .

المطبوعات والأدبيات التي صدرت باللغة العربية من قبل قوات التحرير الشعبية

- ١ - كفاح إريتريا : باللغة العربية .
- ٢ - إريتريا : باللغة العربية .
- ٣ - موجز تاريخ إريتريا الحديث : باللغة العربية .
- ٤ - الاتحاد : الاتحاد العام لطلبة إريتريا .
- ٥ - الحرية .
- ٦ - الوحدة : الاتحاد العام لطلبة إريتريا .
- ٧ - الثورة : مجلة الثورة كانت تصدرها قوات التحرير الشعبية ، مجلة شهرية باللغة العربية .
- ٨ - وثيقة من «الكونجرس» عن الدعم الأمريكي لإثيوبيا : مترجمة باللغة العربية .
- ٩ - وثائق الأمم المتحدة عن القضية الإريترية : باللغة العربية .
- ١٠ - النقوش الكتابية في جزيرة دهلك : باللغة العربية .
- ١١ - أعمال المؤتمر التنظيمي الأول لقوات التحرير الشعبية : باللغة العربية .
- ١٢ - اتفاق الوحدة في الخرطوم ١٩٧٥ : باللغة العربية .
- ١٣ - مذابح إثيوبيا في إريتريا : باللغة العربية .
- ١٤ - جهودنا من أجل الوحدة الوطنية : باللغة العربية .
- ١٥ - جغرافية إريتريا : باللغة العربية .
- ١٦ - التقديمية في المنظمة العربية : باللغة العربية .
- ١٧ - وثائق وزارة الخارجية الإيطالية : جزآن بالعربية حول إريتريا .
- ١٨ - جذور الخلافات الإريترية وطرق معالجتها : باللغة العربية .
- ١٩ - الاشتراكية الفاشية - دراسة لشعارات النظام العسكري الإثيوبي وموقف الاتحاد السوفياتي : باللغة العربية .

- ٢٠ - الحرية : جريدة شهرية للتنظيم الموحد .
- ٢١ - الجبهة الوطنية ودورها الحاكم فى النضال ضد الاستعمار والاحتلال الأجنبى .
- ٢٢ - الدكتاتورية العسكرية ، إثيوبيا إلى أين : باللغة العربية .
- ٢٣ - حق تقرير المصير للشعب الإريتري بين الماركسية اللينينية والاشتراكية الفاشية : باللغة العربية .
- ٢٤ - إريتريا ضحية قرار الأمم المتحدة : باللغة العربية .
- ٢٥ - الصراع فى حوض البحر الأحمر عبر التاريخ : باللغة العربية .
- ٢٦ - إريتريا اليوم : مجلة صحفية ، باللغة العربية .
- ٢٧ - التقرير : نشرة دورية كانت باللغة العربية ، تصدر من مكتب الإعلام .
- ٢٨ - الأطماع التوسعية الإثيوبية ومشاريع التقييم الاستعمارية للأرض الإريتريّة : باللغة العربية .
- ٢٩ - التركيب السكانى فى إريتريا العناصر والقبائل : ترجمة باللغة العربية .
- ٣٠ - تقرير شامل عن نشاطات الجهاز التعالى : باللغة العربية .
- ٣١ - حركة تحرير إريتريا : باللغة العربية .
- ٣٢ - برنامج الثورة الإريتريّة لمرحلة التحرير الوطنى الديمقراطى : باللغة العربية .
- ٣٣ - دستور إريتريا : باللغة العربية .
- ٣٤ - الدستور والنظام الداخلى والبرنامج السياسى والعملى لجبهة التحرير الشعبية^(١) : باللغة العربية .

(١) مجلة الثورة الإريتريّة : نشرت هذه الإحصائيات فى مجلة الثورة الإريتريّة ، بيروت ١٩٨١ ، عدد

بعض المطبوعات التي صدرت من قبل الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا باللغة العربية :

١ - عدوليس « دورية » : باللغة العربية والتجريدية .

٢ - ساقم « دورية » : باللغة العربية والتجريدية .

٣ - الطليعة « دورية » : باللغة العربية والتجريدية .

إلى جانب ذلك العديد من الكتب والدراسات السياسية والاجتماعية والتربوية بكافة اللغات بجانب العربية وهناك تقرير ووثائق تاريخية وسياسية تم طبعها أيضاً .

حركة الجهاد الإسلامى :

- النفير : باللغة العربية .

- الجهاد : باللغة العربية .

- الإنابة : باللغة العربية .

وبجانب ما تقدم ذكره أغنت قوات التحرير الشعبية مكتبتنا الإريتريّة باللغة العربية بالعديد من المطبوعات والكتب والوثائق التاريخية والدراسات الاجتماعية والتربوية - ودراسات الآثار في إريتريا كما أوضحنا في المقدمة . وهناك تقارير وترجمة للعديد من الكتب التي كتبت بأقلام غير إريتريّة .

وهكذا تعد الصحف والمجلات والنشرات التي كانت تصدرها كل الفصائل الإريتريّة دراسات سياسية ووطنية لعبت دوراً مهماً للفت أنظار العالم الخارجى العربى والإفريقى والإسلامى إلى عدالة القضية الإريتريّة ومشروعية الثورة الشعبية الملحة فى منطقة القرن الإفريقى وهضبة الجبسة .

وخلاصة القول : إن هذه الدراسة والبيانات والإحصائيات التي ذكرتها فى هذا انكتاب عن دور الثورة والفصائل الإريتريّة واهتماماتهم باللغة العربية فى شتى المجالات الإعلامية والتعليمية . * هذا القليل من الكثير الذى أوردته باختصار شديد لإعطاء القارئ العربى فكرة موجزة لنبين له عن التأثير الثقافى العربى فى إريتريا والذى يعتبر اللغة العربية جزءاً لا يتجزأ من تراثه وحضارته دون أية مكابرة . ولتأكيد ذلك سوف نبين فى الفصل القادم عن الأدب الشعبى الإريتري وتأثيره باللغة العربية .

الفصل السادس

الأدب الشعبى الإريتري وتأثره باللغة العربية

- ١ - الأدب الشعبى فى إريتريا
- ٢ - الأدب فى عهد الثورة
- ٣ - تطور الفنون الإريتريّة
- ٤ - الفن فى المعركة من خلال معارض الثورة الإريتريّة



الأدب الشعبى فى إريتريا

الشعب الإريتري كغيره من الشعوب له آدابه الشعبىة ، هذه الآداب متداولة سماعياً . .

إذا أردت أن تعرف شعباً أو مجتمعا فاعرف أدبه أولاً ثم تراثه الشعبى . وكل شعوب العالم لها تراث وعادات وتقاليد ، فالشعب الإريتري غنى بالأدب الشعبى ، وهذه الآداب يمكن أن نسميها إن جازت التسمية بالمأثورات الشعبىة فى إريتريا . فشعبنا الإريتري ، أو بالأصح معظم شعبنا لا يتكلم إلا بالمثل أو الحكم ، وهذه المأثورات الشعبىة ما هى إلا امتدادات للتراث الشعبى فى بقية أرجاء الوطن العربى .

وتمثل الأدب الشعبى - فى إريتريا - فى الأمثال والأقوال المأثورة والشعر والحكايات والنواحيات ، ويعتبر الأدب الشعبى فى إريتريا متنوعاً وغنياً فى مضمونه ومتنوعاً حب التقيم الجغرافى فى إريتريا ، وبعض الحكم والأمثال فى إريتريا باللغة العربية الفصحى والبعض الآخر بالتجريدية والتجريد ، بالإضافة إلى اللهجات المحلية الأخرى .

وهناك بعض الحكايات والأمثال الشائعة باللغة العربية ، لم يعرف صانع هذه الأمثال والحكايات من الذى نقلها عن الثانى ، ولكنها متداولة بشكل متعارف عليه عند الشعب الإريتري .

ومن الأدب الشعبى القصص والحكايات على لسان الطيور والحيوانات بأنواعها ، منها القصص الخرافية على شكل حقائق ثابتة ومن هذه القصص على الساحل يسمى جبل قدم ، على مقربة من ميناء مصوع منفرد ويعزى الإريتريين بسبب وجود الجبل فى موقعه إلى الحكاية التالية :

(١) أرادت الجبال أن تعقد مجلساً، فقالت لنذهب إلى ساحل البحر ولما همت بالذهاب، سبقها إلى هناك «جبل قدم» فوصل بمقدمه إلى البحر فطفى عليه وكانت مؤخرته لا تزال على الأرض، فلم تتمكن الجبال من الحركة فصاح بزملائه الجبال . . . ليقف كل منكم مكانه، فوقفت الجبال حيث تراها اليوم .

ولذلك وجد «جبل قدم» يتقدم الجبال إلى الساحل الإريتري .

ويقول الإريتريون في الأمثال «لا ترتكب خطأ فإنه يجب أن يقف كل في مكانه كما قال جبل قدم»، ويقول أيضاً لقد أخطأنا كما أخطأ قدم^(١).

(٢) «ادى نوس بردت قزنا» وهذا المثل بالتجري ويقال أيضاً باللغة العربية ما يصدر من يدك حيناً عليك أو بمعنى آخر أخطأوك تهون عليك .

(٣) ومن الأمثال والحكم العربية الفصحى المتداولة في إريتريا «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، وهى متداولة عند كافة أفراد الشعب خصوصاً سكان المنخفضات .

(٤) القلم لا يزيل البلم .

(٥) ومثل آخر بالتجري «شافك عور ولد» أى الإنسان المتسرع أكثر وقوعاً فى الخطأ، أما التجريدية فهى غنية بالأمثال والحكم الجميلة المتداولة كثيراً وهى :

(٦) «هبكا أى تخلا فتبخا أى متفضلاً» وهذه الحكمة باللغة العربية تعنى لا تبخل فى عطائك ولا تكره فى محبتك .

(٧) «كاب نبرنى إنى هنى» وهذا المثل بالتجريدية يعنى أن لا يتفاخر الإنسان بماضيه بأنه كان كذا وكذا فى يوم من الأيام .

(٨) «اسلك طريق السلام حتى ولو كان مسيرة عام» ويطلق عليه المثل العراقى المشهور «امشى شهر ولا تعبر نهر» .

بمعنى أنه يجب أن يسلك الطريق القويم للوصول إلى هدفه والابتعاد عن الطريق الشائك التى تحقق الهدف ولكنها محفوفة بالمخاطر .

(١) عبدالبارى عبدالرازق النجم : مرجع سابق، ص ٨٢

(٩) ويقول الإريثريون أيضاً «أبو العين - يقصد الأعور، في بلاد العميان فاكهة» وهذا ينطبق على واقع الحال عند العرب حين يقولون «الثادى بعين أمو غزال» .

(١٠) أما قصص الحيوان فلا تخلو من مغزى اجتماعى أو سياسى . وهذه حكاية عن «الثيران الأربعة والثعلب» : (١) .

يحكى أن ثعلباً التقى بأربع ثيران، لكل ثور لون خاص، الأحمر، الأسود، الأبيض، الرمادى وكان هؤلاء الثيران يحرسون أنفسهم من الذئاب بأن يراقب كل منهم جهة من الجهات الأربع بشكل تتجمع مؤخراتهم فى نقطة معينة . فقال الثعلب الماكر للثيران الثلاثة «الأسود، الأحمر، الرمادى» أن الثور الأبيض سيحب لكم المتاعب لأنه يظهر بوضوح فى الليل ويمهل على الذئاب اكتشافكم . فإن أردتم النجاة لأنفسكم فاطردوا الثور الأبيض من صفكم . .

ووجد الثيران الثلاثة الفكرة معقولة، وفعلاً طردوا الثور الأبيض، فلما انفرد، هاجمته الذئاب من كل الجهات فانقضت عليه وأكلته، وأما الثعلب فأفاد من فضلات الذئاب .

وبعد فترة وجيزة، انفرد الثعلب بالثورين الأسود والأحمر، وقال لهما . . أن الثور الرمادى كالثور الأبيض يمكن أن يجلب لكما الدمار، وفرصتكما فى الخلاص والنجاة كبيرة لو طردتما الثور الرمادى . وعملاً بصيحة الثعلب، وطردا الثور الرمادى من صفهما . ولم يستطع الثور الرمادى المسكين أن يدافع عن نفسه منفرداً، فهاجمته الذئاب وافترسته، وكالعادة كان الثعلب ينتظر الذئاب ليتناول بقايا الفريسة .

وبعد أيام، وبينما كان الثور الأسود يحرس جهة الشرق والثور الأحمر يحرس جهة الغرب، تسلل الثعلب إلى الثور الأسود وهمس قائلاً : إن الثور الأحمر قد أصبح عبئاً ثقيلاً عليك، لأن لونك الأسود كفىل بإخفائك عن أعين الذئاب، فاطرد الثور الأحمر واضمن لنفسك الأمان . ففعل الثور الأسود بمشورة «صديقه» الثعلب وطرد الثور الأحمر . ولما انفرد الثور الأحمر هاجمته الذئاب وانقضت عليه . وظل الثور الأسود

(١) عبدالبارى عبدالرازق النجم : مرجع سابق، ص ٨٤-٨٦

وحيداً لا يستطيع مراقبة الجهات الأربعة ولا يستطيع الدفاع عن نفسه . وعندما هاجمته الذئاب قال «قُتِلْتُ يوم شاركت في طرد الثور الأبيض» .

وأصبحت الحكاية مثالاً على أثر التفكك والانقسام في حياة المجتمع . وكان الشعب الإريتري يردد هذا المثل «لقد قُتِلْتُ يوم شاركت في طرد الثور الأبيض» عندما حاول هيلي سلاسى أن يستخدم سلاح الطائفية والعنصرية وكل أسباب الفرقة لتمزيق وحدة الشعب الإريتري . وكان الشعب يعلم أن أية فئة تخرج عن الوحدة الوطنية سيبتلعها الإمبراطور العجوز هيلي سلاسى .

ومن الحكايات القصيرة . «يحكى أن رجلين التقيا على قارعة الطريق ، فتبادلا التحية ، وسرعان ما وضع حمار كل منهما فمه على فم الآخر فاستغرب أحد الرجلين ، وسأل زميله عن سبب ذلك ، فقال له : «إن الحمير اجتمعت وأرسلت حماراً قوياً إلى الله عز وجل يحمل شكواهم إليه ليخلصهم من ظلم الإنسان وقسوته ، لذلك يتساءل الحمير كلما تلاقوا . «أرجع مندوبهم أم لا ؟» .

والمغزى واضح ، وهو أن كل مخلوق يتطلع إلى الحرية .
وهذه بعض النماذج من الأمثال والأقوال المأثورة والتي نقلت نصاً بالتجريب وهي عربية الأصل :

الصبر مفتاح الفرج	أن بعض الظن إثم
بعد كل ضيق فرج	الوعد دين
الوعد كالرعد	الصلح خير
الدنيا فانية	

أثر العرب في لهجة التجري وهذه نماذج منها :

عذاب القبر	خاتمة
عيب	ختم القرآن
الحقيقة	عيد
يوم الأربعاء لوفاة الميت	الخطوبة

المنبر	موت
يأجوج وماجوج	أصل «حر»
جهنم	البعث
جماعة	آخرة
جزاء	حرز «حجاب»
أهل بدر	حوليه
بعل	خلوة للذكر
نحر	القيامة
بيت	القبلة
سماد	عين
برق	وفود
أسد	دم
	غر

ويمكن أن نقول إن ٤٠٪ من لهجة تجرى هي مفردات وألفاظ عربية وهي لهجة سامية مأخوذة من جتر .

والقصص الإريتري باللغة التجرية وهي لهجة غير مكتوبة ولكن تمتد أصلها من أصول إفريقية مردها حكايات ضاربة في أغوار التاريخ ممتزجة بالخرافة والأسطورة وأخرى عربية إسلامية ، وهي في الأغلب مثل اللغة السواحلية ، وفي كلتا الحالتين أصاب الوافدين العرب شيء من التطور فأخذت الثقافة الإفريقية عموماً طابعاً إسلامياً واكتت الثقافة الإسلامية رداءً إفريقياً .

ومن الأصول الإسلامية والعربية في أدب التجري والساهو والدناكو القصص القرآنية ، وقصص السيرة النبوية يتناقلها الأدب الإريتري في اللغات الثلاثة باعتبارهم مسلمين وعلى نحو لا يضارعه فيه أدب آخر مثل : تناول قصة الخلق وخروج إبليس من الجنة وقابيل وهابيل وقصص الأنبياء^(١) . وحياة الرسول الكريم ، ومولده ، ونشأته ،

(١) عبدالله نجيب : مذكرة عن الأدب السواحلي وتأثيره على العرب ، ص ١٤٨

وزواجه ، وبعثته ، ورسالته ، وغزواته ، والإسراء والمعراج ، وموضوعات نظم فيها الأدب الشعبي الإريتري أروع قصص وأبدع قصائد بهذه اللهجات المذكورة .

وهذا مجال آخر من مجالات الأدب الشعبي فى إريتريا ، وهو ميدان الشعر الذى يقال بالعربية الفصيحة ، ولعل شعبيته ناجمة عن تداوله على الألسن دون أن ينتشر فى مجالات النثر المعروفة .

وهذا نموذج من شعر قاله رجل إريتري هرب من بعض المواقع التى يحتلها أحد الحكام المحليين المسمى «الرأس الولا» ولجأ إلى مواقع المصريين فى إريتريا ، كتبه بشكل رسالة إلى ابنه ينفى عن نفسه تهمة الأعداء .

يا موسى يبحثون عن أبيك كل يوم
يقولون لك هو سجين موثق بالأغلال
يقولون لك قد قتل وضرب بالخناجر
إن أباك ذاهب إلى «جندار» مع الخيول الصهباء
إن أباك ذاهب إلى مصر مع السودان الأمجاد

الأدب فى عهد الثورة

وفى إريتريا نهضة أدبية حديثة ، نحتاج إلى الحديث عنها .

ونستطيع القول بأن الأدب الإريتري الآن أدب مقاومة وإن كانت معظم المحاولات غير ناضجة النضوج الشعرى والأدبى على مستوى المعركة . وهذه المحاولات فطرية . ومعظمها مجل باللغات واللهجات المحلية .

فمن الأغانى الشائعة فى إريتريا الآن أغنية بعنوان (غداً تطلع الشمس) هذه مقاطع منها :

غداً تطلع الشمس ويرحل الإثيوبيون

أحملك يا حبيبى بين جفنى وأدور بك على الينابيع العذبة

لأغسل عن قدميك المتعبتين حبات الرمال الذهبية

وللشاعر عمر عليم قصيدة جيدة بعنوان مقاطع طبقية تتألف من خمسة أصوات هى الراوى ، المهرج ، القضاة ، الحلم ، السلطان والعبيد .

يقول المهرج :

يهودا غدا قواداً لصالح الجلالة

غدا يسبح بحمد هذه السلالة

وأصلها النبيل !!

يهوذا رمى بجثة القتيل

تحت أقدام صاحبة الجلالة

وحدث القضاة يهوذا

.. سقط القناع وبان وجهك الأصيل

وارتمى جلدك المزيف

على السجادة الأنيقة

وبانت الحقيقة

فكيف غدوت يا فارس الحديث

عاهراً وجسداً ميتاً وجيفة

وأخيراً ينادى السلطان ويصرخ بوجهه :

قد أتمنا عامنا التاسع بالتمام

قد بلغنا مبلغ الرجال

بلغنا مبلغ الفحولة

الشعب الإريتري... شعب رقيق في عواطفه، حاس رغب التشرّد وظلم المستعمر... تجربة الثورة الإريترية فجرت ينابيع الإبداع الفني في نفوس أعداد كبيرة من الشباب والكهول... وفي فترة الثورة الإريترية ظهر أدب جديد في إريتريا هو أدب الثورة أو الأدب الملتزم إن صح التعبير في التغنى بالأرض والإصرار على العودة... والتمسك بالوطن والموت في سبيله. فقد بدأت هذه المحاولات في الستينات أي مند بداية الثورة الإريترية، وكان الأدب بمختلف اللغات الإريترية من لغة عربية وتجريدية وعديد من اللهجات المحلية في كافة المناطق الإريترية..

وهذه القصيدة قالها شاعر إريتري وتغنى بها الفنان الإريتري محمد باعيسى في الستينات بالتجريد :

يوم لالى سكاب بداه

وقدم جهاد مطاه

هرءسو لتهر قته

جهاد ربى فرضيو

كمثل فرض ديب أمة

بدير عيسى جاهدا

وحقو هو محمد . .

ويوم أنتم جاهدوا

وافقروا إلى أمة

ظالم ربى كفيو

بعن حق ديمة لتعوت

وهى تعنى باللغة العربية لقد حان يوم الجهاد . . واستيقظوا من سباتكم . . لقد فرض الله تعالى الجهاد على الأنبياء قديما . لقد جاهد عيسى عليه السلام وبعدها جاهد أفضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليوم جاء دوركم . . جاهدوا وأخرجوا الظالمين من ديارنا وكل ظالم له عقاب من الله سبحانه وتعالى وصاحب الحق دائما منتصر .

وهناك الكثير من المحاولات الفطرية على شكل شعر ونثر بكل اللهجات المحلية داخل إريتريا . . وهى كانت تعبر عن ظلم المستعمر والعشق للحرية .

وقد كانت على شكل استعارة وكناية فى وصف الوطن بالمحبة التى يتحال البعد عنها وفراقها .

وهناك خارج إريتريا الكثير والكثير من الشعراء الإريتريين الذين كتبوا وتغنوا للحرية والأطفال . . . وللوطن ، ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر الإريتري الشهيد / أحمد سعد وقصيدته :



نبذة عن حياته ودوره الأدبي في الثورة :

أحمد محمد سعد :

ولد في حرققو عام ١٩٤٥ وأنهى دراسته الابتدائية والإعدادية فيها ونال الشهادة الثانوية من مدرسة الجالية العربية بأسمر، ودرس في كلية الهندسة بالقاهرة وتخرج منها عام ١٩٧٦ ، نشر له عدد من القصائد في الصحف العربية، ومثلت له مسرحية في القاهرة.

ومن الملاحظ على مجموعة قصائد الشاعر الإريتري أنها أقرب إلى الأناشيد الحماسية من الشعر . وكلها تتغنى بالوطن والثورة، ويلمس القاريء من خلال التنقل بين هذه القصائد تأثر الشاعر بمن سبقوه في هذا المضمار وخصوصا شعراء الأرض المحتلة الفلسطينيين مثل محمود درويش وسميح القاسم^(١).

إريتريا بالنسبة للشاعر هي الحب الكبير، هي الأرض المعطاء التي تلد الثورة والرجال . . هي ملحمة تاريخية من النضال لحر الظلم وهي أغنية سياسية حماسية لإثارة الهمم والعزائم . .

(١) عبدالباري عطون : ولادة شابة للأدب الإريتري، جريدة المدينة ، ٤ / ٢ / ١٩٨١

أنا آت . . فهل تصغين

عدو النور والسلام . . هنا أرضى ومحراي

هنا غنيت للحب . . هنا سالت دماء العشق للوطن .

والحب عند الشاعر له معنى واحد فقط هو حب الوطن ، والمرأة عنده رفيقة السلاح
التي تحمل البندقية ، وتضع إصبعها على الزناد لإحقاق الحق ودحر الباطل :

ما عدت أعبت بالهوي

وكفى العبادة للمفاتن والعيون

فلتحرقي إن شئت كل رسائلي

ولتكسري صنم الصباية والجنون

إنى هنا أروى الملاحم من دمى

هناك فى المعابر العتيقة

يمر ثائر وثائرة

يقاومان فى شجاعة . .

والشاعر الإريتري أحمد سعد ليس بمعزل عن أمته العربية ومشاعرها وآلامها ، يحس
بأحاسيسها ويتفاعل معها ، يتجاوب مع عذاب الشعب الفلسطيني ويصغ أحاسيسه فى
قصيدة تجسد التلاحم بين الثورتين الإريتريّة والفلسطينية قائلا :

أمة العرب أفيقى

استعيدى ذلك المجد العريق

اسرجى الخيل وهبى . . فدروب الجليل عطشي

للقاء النصر والفجر الجديد

استردى القدس . . مسرى الأنبياء

استردى كل شبر دنسوه

طلقة الرشاش أمضى من ملايين الحروف

لم يمت نبض العطاء

طالما الدرب يفى للقداء

وكانت قضية الخلافات بين أشقاء النضال على الساحة الإريتريّة همّ الشاعر الأكبر ،

فهو يرى أن هذه الخلافات عقبة فى طريق تحقيق الأمنى بالنصروالعودة . . ويقول :

أحبابنا

من يزرع الآمال فى أعماقنا

مخضرة تمتد فى طول المدى

كى تمسح الأحزان عن أطفالنا

فتحاببوا

وتآلفوا

فالحب قنديل الطريق

رغم المأسى والحريق

وهناك تأكيد من قبل الشاعر المرحوم على الهوية الإريتريّة فى معظم قصائده . فهو

يؤكد أن إريتريا أمة ذات كيان مستقل له مميزاته الخاصة . وفى قصيدته ، أريد هويتى ، يبدو

واضحاً تأثره بالشاعر الفلسطينى محمود درويش :

سأظل أرفع رايتى

إنى أريد هويتى

حريتى

حبىيتى

وهناك العديد من المسرحيات التى كتبها الشاعر أحمد سعد أهمها مسرحية «طريق
البطل» فهى أكثر عصرية والتصاقاً بقضية الشعب الإريتري وواقعة فى فترة النضال ، لأنها
تجسد الواقع بعد حرب الإبادة والتشرد التى تعرض لها هذا الشعب . . وبطل المسرحية ثائر
يرفض الهجرة ويؤثر الصمود ويرفض الوظيفة المستقرة والحياة الرغيدة ، ويفضل العيش
وسط الجبال ، زاده القليل ، واستقراره الحقيقى داخل وطنه .

ومن قصائده :

«ربما دكّوا الروابى»

ربما صبوا لهيباً

فى بيوت أو حقول

إريتريا تبقى الصمود

إريتريا تبقى الفداء

كل نبض فى عروقى

كل عزم فى نضال الكادحين

يصنع الفجر المبين

يملاً الدنيا ضحياً

وانبعثاً رغم كبد الغاصبين

يا رفاقي

افرشوا الدرب صموداً وفداء

فجروا اللحن المدوي

يملاً الأفق هتافاً وسنا

سوف نغضى فى المسير

إنّا أصحاب حق لا يلين

وهذه قصيدة للشاعر الإريتري محمود أحمد لويينت . .

قصيدة إلى الشاعر الشهيد أحمد سعد

لهذا الشعب والثورة عطاء ماله آخر (١)

«تفرقنا يمزقنا
وصوت الحب يجمعنا»
وكنت النبض والإحساس
والمأساة ترهقنا
وتحرقنا
وكنت الشاعر الثائر
تحذرنا وتنصنا
ونحن الزيف يملأنا
ويحكمنا
أقمنا بيننا سدا
وألواناً تميزنا
وأحقاداً تفتتنا
نعمقها
لتحرقنا
وعانينا
كما عانيت يا صاح
وكم عانت مسيرتنا
وكنت الصادق الواعي
بأخطاء تبصرنا
وتشجينا
وتبكيها .
وكنا يا صديق العمر والغربة

(١) مجلة الثورة ، ص ٣٤

بلا هدف
وأحياناً
بلا موقف
تفرقنا يمزقنا
دماً ننزف
وأنت تصارع الأهوال من زمن
بلا كلل ، ولا ملل
بلا وعى سدى نهذف
ولم ندر
بأنك قد تفارقنا
على عجل
وتركنا على أعتاب إشراقة .
صديق العمر يا أحمد
وشاعر زحفنا الأوحـد
وعصفوراً بأبكتنا طالما غرد
فأتحفنا بأياته
والهمنا متى أنشد
لقد خلفت في الآفاق نبراساً
وفي الأسماع أنغاماً وأنفاساً
وفي الأعماق إحساساً
وأعطيت
لهذا الشعب والثورة
عطاءً ما له آخر
وباقات من الأمل .
قصائدك ،
يردها أزيز المدفع الهادر
ويحفظها أديم الأرض والثائر

ويخشأها عدو الشعب والغادر
وكنأ البلب الشأى
وشاعر شعبنا الأئر
يؤلفنا ،
ويجمعنا
لنسمع أءو إنشأك

(أنا باق)
هنا أرضى وأاريخى وأمأأى
هنا أأرى
هنا أارى وميلاأى
ولن أرضى بليل السأن فى وبنى
نأء الأرض إنشأى
أنا أأر وعاصفة
أصب النار فى أصى وألاأى
أنا ماض إلى أربى
وإن مأ سيأى الأار أولأى)

صأىق العمر كم عانىأ من مأن
وكم صارعأ من فأن
فكنأ الطائر الأر
أألق عالياً أسمو
ومن فأن إلى فأن
أرأأ لأنك الأالأ
وأأعو شعبك الصامأ
«أفرأنا يمزأنا
وأصأرأ الأب يجمعنا»

فيا أحمد ،
لماذا ترحل عنا
ومثلك قلما يولد
لتصبح أئمننا لا الغد . . ؟
أتركنا على عجل
تفرقنا يمزقنا بلا ملل
وصوت الحب لو تدرى
بلا صوت ولا مثل
فأنت الصوت والحب
وأنت الشاعر الواعد
للمصديق العمر يا أحمد
وشاعر شعبنا الصامد
بكى المحراب والمعبد
مع الأكواخ والغابات والجبل
وهذا الجمع من حولي
لأنك يا صديق العمر والقلم
قلت لنا :
« أنا آت مع الأمل
أنا ميلاد إنسان »
ولم تأت
من الطرقات والوديان والسهل
مع الأمل .
لماذا ترحل عنا
وتتركنا على عجل
تفرقنا يمزقنا بلا ملل
وصوت الحقد أربكننا
وأسقط راية العقل

أحبائى . . .

لقد شاءت إرادته

وهذى حكمة الخالق

وشاعرنا وإن رحل

سيشهد فجرنا الصادق

لأنه يا أحبائى

هنا باق . .

هنا فى القلب مأواه

هنا فى السمع مشواه

هنا فى الوجه ، فى العينين

فى الأشخاص ، فى الأشياء سكناه

هنا باق

ليشهد فجر إشراق

أديم الأرض يعرفه ويرعاه

وتهفو اللحظة الحبرى لمراه

للمصديق العمر يا أحمد

وشاعر زحفنا الأوحـد

بدونك ساحة الشعر

كميدان بلا فارس

وقيثار بلا وتر

فراغ ما له آخر

وسرداب من الظلمة

وذاك الوادى والمنبع

وصوت النأى والمدفع

فهذا الحرف ييكك مع الكلمة

محمود أحمد لوينـت

«أنا أت مع الأمل
أنا ميلاد إنسان»

أحمد محمد سعد

وهذه القصيدة للشاعر الإريتري / محمد مدني - قصيدته لأطفال «آر» هي مدرسة ابتدائية ومتوسطة داخل الأراضي المحررة، وكانت مدرسة نموذجية للطفل الإريتري :

- نذل أنا

إن مت قبل الانفجار

- نذل

إذا اختبأت حكاية أمتي خلف الجدار

- نذل

إذا اخترت التشبث بالهتاف وبالشعار

يكفي مهادنة

فالموت يرتج من سيت ناقوساً من اللهب

والقلب أغنيتان من حب ومن غضب

بيني وبين الموت مزموران

تعالوا نلعب الشهداء والعسكر

- أنا الأول

- أنا الأول

إنا من عمركم أكبر

أول الأشياء للأصغر

- أنا حامد
- أنا دبروم
- أنا جنجر
- «ألم مسفن وسعدية»
- أنا كيروم
- أ... أ...
- كفى يا إخوتى يكفى
- تبقى جانب العسكر
- كن القائد
- لماذا لا تكن أنت ؟
- كن القائد
- لماذا لا تكن أنت ؟
- كفى يا صاحبي يكفى تذكر أننا نلعب .
- فإن زمانهم بائد
- لأن زمانهم بائد
- ونحن زماننا التالد هو القائد
- وسأرفض منصب القائد



- ينى وبين الحب
- هيكل غاية ومقارتان
- أنا قلوچ
- أنا العشق الذى خطاه
- «إبراهيم»
- «محموداى»
- اسطورة
- أنا اللون الذى أكمل الصورة
- أنا التاريخ يصنعه رجال خلف ماسورة

سَبَقِي قِصَّتِي لَكُمْ وَلِلْأَطْفَالِ

لِمَجَالِ قَادِمِ الْأَجْيَالِ

مَأْثُورَةٌ

أَنَا الثُّورَةُ

أَنَا الثُّورَةُ

وكما كتب شعراؤنا للوطن وللطفل الإريتري . . كتبوا أيضاً شعراً لمعارك التحرير ولجيش التحرير المغوار ، لقد كتب المناضل / عثمان صالح بره . . لمعركة تقوربا . . وهى أول معركة عسكرية كبيرة خاضها جيش التحرير الإريتري ضد قوات الاحتلال الإثيوبى ، وبالرغم من تفوق العدو عدداً وعدة فى هذه المعركة إلا أن إصرار جيش التحرير الإريتري وتمككه بالحرية والدفاع عن الوطن كان أكبر عدة له . وكانت هذه المعركة التى . . وقعت فى ١٥ مارس ١٩٦٤ م :

تقوربا قلادة . . وشرف

وعلى جبين الدهر أمجاد تجدد
وفى عتمة المأسى أنغام تردد
وفى ثناك المهين شموعاً توقد
ولن تبقى يداى بالقيود تصفد
لا القمع يوهن عزمى فأسجد
وما الأمجاد إلا بالدماء تشيد
وها هو فجر البطولات تولد
يحاصرها دجى المأسى فتصمد
من مصب الكرامة عزمأ وسؤدد
وما برح الأفق بالغيوم ملبد
وسهامنا الشهباء للأمام تعدد

أنت فى صدر الزمان قلادة
وعلى الربى والبوادي ملاحم
قد دوى صوت المهان فيك صاعقاً
قال : لن أبقى للغاصبين فريسة
لا : ولن تستبيح المشانق عزمى
وداعاً لعهد المهانة والشقا
قد كان المخاض عسيراً مرعباً
ولأشعلت ملايين الشموع لأمة
أيا شـعلة الأبطال هاتى لنا
فالدرب ما يزال وعراً شائكاً
بيد أنا سوف غمضى قدماً

ولقد كتب الشاعر الإريتري / عبدالرحمن سكاك شعراً : ومن قصائده الجميلة

قصيدة :

«واندلاع الجرح أفق صادق»

داعر النزوة عبّر النزف
ضاجع الصمت بقايا الحق
عسايق يحصل ليل الأرق
طلقة الصبح الوضيئ المشرق
وشحنتها وخزات القلق
صاغ بالمشكاة اللحن القلق
رغم ليل في دجاء مسرف
ساجن الظلمة في أوكارها
وظلام غصاص في إطاره
سوف تبدو من دجى ليلتها
فدروب البذل أعراس زهت
واندلاع الجرح أفق صادق

لقد كتب أيضا الشاعر الإريتري / محمد عثمان صالح كجراى للحرية . . التى قدم
لها شعبنا الإريتري كل غال وثمين من أجل عيون الحرية غوت ومن أجلها بخاء . .
قصيدة :

من أجل عيون الحرية

أعلى مـا أملك يا قلبى
لبلادى فى درب الأحرار
ما عدا كفاحك يا وطنى
أبطالك فى ساحات
فارفع رايتك يا شمسعبي
فى حقل الخنطة مخضراً
من سـاوة حيث الأرض
فى بركـة وفى وديان
فى البحر الأحمر مرهوباً
فى كل بقـاعك يا وطنى
من أجل العزة يا شعبي
فى أرضك ما عاشت أبداً
فهشيم الباطل لن يبقى

مهراً لعيون الحرية
تدك جدار الفاشية
صفحات نضال مضطربة
البذل عواصف نار عدية
فى المرتفعات الصخرية
وعلى الأحراش الغابية
هناك قلاع نضال خلفية
القاش وفى الطرقات الرملية
فوق الأمواه الفضية
يتردد لحن الحرية
تلد الأبطال إريتيرية
أفواج الغزو الوحشية
تذروه رياح الثورية

ومن الشعراء العرب الذين تغنوا بإريتريا الشاعرة الإريترية / زينب ياسين فى
قصيدتها خطوات إلى الأمام (١) :

«درقى وراراتو إى ولينا
مطقتى نهرس جل عوتينا
«درقى» وراراتو أيا تكرا
برين وكلاشن عرف إيهلا

.....

طلما أن حروب «الدرق» لم تنته بعد
لن نوقف قتالنا
ولن نكت بنادقنا وكلاشناتنا
دماء الشيب والشباب
تسيل تروى أرضنا
ولهب المعارك وقودها
أجسادنا .

طواير من رجال ونساء
تفحمت أجسادها وتكلت عظامها
ذودوا عن الحرية . . حرية إريتريا

.....

هل شهدت فى تاريخ المعارك
كيف بالبنادق تدمر القواعد
هذه ليست قوة الآلة
إنما هى إرادة الإنسان التى لا تقهر
فهلبقى لديهم من الكذب بقية
فمهما كذبوا ونافقوا

(١) جريدة العرب بتاريخ ٢٤/١١/١٩٨٦

تبقى الحقيقة ساطعة

حقيقة المرأة والرجل

بل الطفل الرضيع

وحتى كلاب بلادى ضدهم

زهرة السهل سقتها الكبرياء

بشتى الأساليب، يدخل الغرباء بلداننا، باسم الحضارة، أو بنيران المدافع. إن الدخول غايتهم الأساسية، بذرائع معقولة أو بالهراء. وحين تبدأ الأحذية جولتها يتكشف نوع الوحل الذى حمله. إنه القذارة فى كل الأحوال. لأنه، وعلى الأقل، لا يمت إلى الأرض بصلة غير صلة الاستعباد. الأحذية الغربية، منذ الأبد، كانت تطرد فى النهاية. بالدم، بلحم الضحايا المتناثر، بالعناد، بالعصى البدائية، فى الأخير تبحث لنفسها عن طريق للخروج.

طريق طويل، دام، بشع، الأثر الأخير، «الحضارة» الوحيدة التى تتركها خلفها. تلك الأحذية الغربية التى لا تحمل سوى الوحل.

إنها باختصار موجع، قصة الشعوب وحرقتها. . .

فى السهل البتلوى مع الريح

تتنفس زهرة

تتغنج للصبح

تتمطى أذرعها نعسي

من يملاً رعشتها زهوا

غير ندى الأصباح الحرة

بوركت صباح بلادى
وملاك الندى

فى عجلة من أمرها
تحدّر أحذية
ثقيلة الوطء
مساميرها تطحن الصخر بلا اكتر اثار
التاريخ يموت
يقتلونه بأحذية عاجلة
التاريخ يغتال
برغبة ضجيجها الدم

الدم . . . الدم . . . الدم
أفصحوا المجال
نحن الضيوف الغزاة . . .
الغزاة القادمون يدعونكم للوليمة
حُمكم نشتهى . وكؤوسنا تنتظر الخمر
هاتوا قرايين الولاء ، نحن قوم سيرتهم رائحة الشواء
ملايين المسافات .
من أقاصى الأرض
من أقاصى الأطماع البهيمية

إريتريا
زهرة السهل التلوى مع الريح
عاشقة الأصباح الحرة
تشهق بالغضب المخنوق . .
أفزعتها أقدام غريبة الوطاء

لأى أمر تسرع هذه الأقدام
فتثير غبار الدم؟
مسكين صباح بلادى
داسته مهاميز الأوغاد

إريتريا . . .
هل تميمت النائبات فرح الفجر
وفوق السفوح . بين التلال ، سواعد يحف بها العزم
تخرق حزن السهول
تسوق دعر العابثين
فى موكب الانكفاء
إريتريا
زهرة سقتها الكبرياء
هتف النسور من صلب روايبك ،
جئنا . .
نحن وهج السهول
نظرتها الدائمة
دمنا الحر لكأس انتصابك .

وفى قصيدة لسميح القاسم^(١) بعنوان إريتريا :

سمعت عن صبية

تغوص فى دمائها

تمسح الغبار والدموع عن أبوابها

وتطرد الأشباح عن سمائها

وقيل إن وجهها

ينضح بالخصوبة

والشمس والعروبة

فمن هيا ؟

إريتريا

إريتريا يا غابة مشتعلة

وقمة تكسر عنق عاصفة

نعيسة غوت وهى واقفة

يا صرخة غاضبة وقبله

يا ساعداً وسنبلة

حييتى أنت إذن

وفيك مثل ما بيا

من العذاب فى الهوى وفى الوطن

إريتريا

إريتريا إلى اللقاء . . إننا نحفر مجرى الزمن

وندفع الثمن

(١) شاعر فلسطيني ولد في ١١/٥/١٩٣٩ في مدينة الزرقاء بالأردن، كان والده ضابطاً في قوة الحدود الأردنية، اشتغل عاملاً ومعلماً وصحفيّاً

وفى قصيدة للشاعر سليمان العيسى^(١) باسم :
النشيد الذى زلزل الحبة . .

إريتريا يا موطنى يا غابة القمر
يا جبهة التحرير معقود لك الظفر

إريتريا يا معقل الصمود والكفاح
عهد على ذنوبنا لن نأقى السلاح
يا ثورة تسيير
لنصرها الكبير
المجد للشعب الذى يعانق الخطر

المجد للشوار فى الهول والجبال
تدك صرح الظلم بالكفاح ، بالرجال
يا شعبنا المجيد
سلاسل الحديد
تقطعت فانهض وعانق راية الظفر

إريتريا يا أرضنا الخضراء يا وطن
شبابنا ، دماؤنا أرواحنا الثمن
لا بد أن تعود
محرراً تعود
وتضحك الحياة للشعب الذى انتصر

(١) البلاغ ، العدد ٣٦٠ ، بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٧٦



المناضل محمد سعيد ناود والمناضل محمد أحمد جاسر ومعهم المؤلف في الميدان



المناضل محمد سعيد ناود نائب رئيس جبهة التحرير الإريترية بالميدان ومعه المؤلف محمد عثمان أبويتر

وهكذا فى وجدان ثورتنا نبغ أدب ينبض بروح الصمود راسخ الإيمان بالروح الوطنية والهوية والتمسك بالأرض . . وكانت كل هذه الإبداعات الأدبية باعثة الأمل فى نفوس الجماهير مخففة عنها مرارة التشرد . وفى إريتريا الكثير من الشعراء والأدباء باللغة العربية . . التزموا وصدقوا فى كلمتهم مستلهمين بذلك صمود أحرار الشعب ومكاناً فى سبيل حريته واستقلال بلاده . . وهناك الكثير من الإبداعات الأدبية فى أدبيات الثورة الإريترية ولدى كافة الفصائل الإريترية .

والشعب الإريترى حساس ورقيق فى عواطفه صادقاً فى مشاعره ، رغم التشرد وذل المنعمر . . فقد تغنى الشعراء الإريثريون شيباً وشباباً بالغزل فى وصف المحبوبة وجمالها . . وعنادها . .

وفى إريتريا الكثيرون ومن بينهم «إدريس ود أمير» الشاعر الإريترى الذى أحب فتاة من الساحل الشمالى الإريترى اسمها «أمنة» وكانت مخطوبة وتزوجت خطيبها فصدم «ود أمير» وتفجر شعراً وتشفى بها هائماً مسافراً من بلد إلى بلد دون أن يحدد وجهته (١) . وقد سلبت كل قلبه وفجرت الطاقة الشعرية الهائلة التى نتغنى بها نحن اليوم (٢) . وهناك الكثير من الشعراء الإريثريين ممن كتبوا غزلاً على شكل شعر أو نثر أو قصص جميلة .

أما بالنسبة لمجالات الأدب من كتابات أدبية قصصية وروايات العديد منها على سبيل المثال لا الحصر نذكر قصة «محمد سعيد ناود» فى «روايته رحلة الشتاء» (٣) .

وعبدالقادر عبدالصمد ، فى روايته «رحلة نحو المجهول» . . وهناك الكثير من القصص القصيرة التى كانت تكتب فى أدبيات الجبهة فى صحف الثورة منها «المعذبون فى الأرض واللعبة الجديدة» والكثير من القصص القصيرة والنثر والشعر .

(١) مجلة الثورة الإريترية - العدد الخامس عام ١٩٨٤ عن حياة الفنان الكبير «ود أمير»
(٢) إدريس ود أمير : من الشعراء القلائل بالبحر ، الذى تغنى بمحبوبته ولم يتزوج ود أمير بعد حبه «لأمنه» وعندما سُئل لماذا لم يتزوج ؟ فأجاب إتوئى بأمنة لأنزوج . ومات ود أمير فى الهجرة فى الكويت

(٣) محمد سعيد ناود : من قيادات الثورة الإريترية الكبار وله دور بارز فى الحركة الوطنية وفى مجالات الأدب والكتابة . . نه إسهاماته المتواضعة وهو من المفكرين ومن أدباء الثورة وأدبياتها ومن أشهر كتاباته كتاب العروبة والإسلام فى القرن الإفرقى ، وكتاب حركة تحرير إريتريا

ولا ننسى فى هذا المجال المجاهد الكبير شهيد الأمة والوطن عثمان صالح سبى وانذى
أثرى مكتبتنا الإريتريّة بكثير من الكتب التاريخيّة وعديد من المطبوعات والوثائق التاريخيّة
للثورة الإريتريّة.

ومن أهم الكتب التى أثرى بها المكتبة الإريتريّة والعربيّة :

- ١ - تاريخ إريتريا .
- ٢ - جغرافية إريتريا .
- ٣ - موجز تاريخ إريتريا الحديث .
- ٤ - الصراع فى حوض البحر الأحمر عبر التاريخ .
- ٥ - جذور الخلافات الإريتريّة .
- ٦ - علاقة السودان بإثيوبيا عبر التاريخ .
- ٧ - صراع القوى الدوليّة على منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقى عبر العصور
وانعكاساته على منطقة الخليج .
- ٨ - مذابح إثيوبيا فى إريتريا .
- ٩ - إريتريا اليوم ١٩٩٤ .

وهكذا نرى أن الأدب الإريتريّ فى مختلف الأنواع الأدبيّة من الشعر ، والنثر ،
وقصص ، والروايات . . . إلخ . عبر عن روح المقاومة الوطنيّة الإريتريّة بمختلف اللهجات
واللغات «التجريّنة والعربيّة» تعبيراً صادقاً عن رفضها ومقاومتها للاحتلال الإثيوبى^(١).

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٥٦٧

تطور الفنون الإريترية

منذ دخول المسيحية إلى الهضبة الإريترية ارتبطت حياة السكان بمختلف صورها بالحياة الدينية، لم تكن الفنون لتتبدل عن هذه القاعدة، فقد ارتبطت بصفة أساسية بالكنيسة ومتطلباتها من المباني والرسوم والصلبان والأجراس، وتأثرت بالأشكال البيزنطية.

وأعظم ما تجلّى فيه الفن الكنسى نسخ المحفوظات وزخرفتها، وهذه ظاهرة شاعت فى العالم الإسلامى بالنظر إلى عدم تنوع الدين الإسلامى رسم الصور للأشياء الحية. وكانت مسابك الحديد والنحاس تقام على مقربة من دير أو كنيسة فى قمم الجبال، وأهم ما كانت تصنع إلى جانب الصلبان والأجراس، مطالب الناس اليومية من محارث وأوان منزلية وأدوات الحرب من رماح وسيوف قصيرة معقوفة^(١).

ويعود استعمال الآلات الموسيقية إلى عهود قديمة وكلها تصنع محلياً ويميل سكان الهضبة إلى الطرب والرقص والمرح ويختلقون المناسبات لذلك وخاصة الدينية منها وما أكثرها. كما أن مواسم الحصاد وانتعاش الزراع شكّل فرصاً للتجمع والغناء. ويتم الحصاد فى القرى بعمل جماعى وبصفة دورية.

وقد تأثر الرقص والغناء بالحياة الدينية، وخاصة بعهد التوراة القديم * ومن الأدوات الموسيقية البارزة (كرار) وتشكل قيثارته من ستة إلى عشرة أوتار، وتقابله فى العهد التوراتى قيثارة داود التى كانت تسمى (تور)، وأما «مانقو»، وهى آلة ذات قيثارة واحدة

(١) عثمان صالح سبى : مرجع سابق، ص ٣٨





المسيحيون يحتفلون بعيد داميرا (عيد مقتل)



فتعد - محلياً - حرفة ، وهى ذات أنعام حزينة جميلة . ولا يخلو حفل من «كبرو» الطبل - سواء أكانت المناسبة أفراحاً أم أتراحاً (١) .

وفى العصور الحديثة :

لعب الفن الإريتري دوراً مميزاً فى إذكاء شعلة النضال الإريتري والفن أحد الأسلحة التى يملكها للدفاع عن هويته الثقافية لفعاليته فى مقاومة محاولات الطمس الثقافى التى كان يقوم بها النظام الإثيوبى ، بغية إذابة كيان الشعب الإريتري فى المجتمع الإثيوبى . وهنا يبرز دور الأغنية . . باعتبارها أقرب الفنون إلى قلوب الجماهير وأكثرها تعبيراً عن آمالهم وتطلعاتهم ، فقد تميز دورها منذ البدايات الأولى للثورة . فكان الإعلام يقوم بالعمل الدعائى وبث انتصارات الثورة وتسجيل مآثر أبطال جيش التحرير الإريتري وتمجيد انتصاراتهم (٢) .

إن دورها كان تاريخياً أيضاً ، فالأغنية هى إحدى أهم الوثائق التى تحفظ التاريخ فى مجتمع مثل مجتمعنا الذى تلعب فيه الكلمة المسموعة دوراً أكبر من الكلمة المقروءة ، وذلك بحكم تقشى الأمية لدى الغالبية العظمى فى أوساط الجماهير . لقد تطورت الأغنية الثورية تبعاً لتطور الثورة ، فالتحولات التى أحدثتها الثورة كانت كبيرة فى مفاهيم الجماهير وبالتالي فى مكانها إبداعها .

وغياب الفنون الأخرى أفسح المجال للأغنية لى تسود وتقوم بالدور المؤثر على حشد الجماهير فقد اهتمت الثورة الإريتريّة بتطوير التراث ، والأغنية الثورية عندما أنشأت الفرقة الوطنية للفنون والمسرح ليعطى الأغنية زخماً جديداً .

وفعلاً قامت هذه الفرق فى جميع الفصائل الإريتريّة بدور عظيم فى تنوير أوسع قطاعات الجماهير فى الداخل والمهجر بالإنجازات الثورية والمكتبات الديمقراطية التى تحققت فى إريتريا ، إلا أن هذه الفرق وغيرها من الفرق التى ظهرت والفنانين الإريتريين الذين يؤدون دورهم فى تطوير الأغنية الإريتريّة انحصرت أغانيهم فى اللغات المحلية الإريتريّة ، وقد حاول بعضهم طرق مجال الأغنية العربية والنشيد العربى دون أن يحرزوا

(١) عثمان صالح سبى : جغرافية إريتريا ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٩٦

(٢) نبيلة عمر الحاج إدريس : مرجع سابق ، ص ٧٨





نجاحاً ملحوظاً، وربما يرجع ذلك إلى قلة النصوص باللغة العربية، والغنائية التي تتميز بها اللغة الإريترية بإيقاعاتها الراقصة ذات الطابع الإفريقي الساخن. ومن المبدعين الفنيين داخل إريتريا الفنان الكبير «الأمين عبداللطيف» الذي كان أستاذاً في مدرسة الجالية العربية في أسمرا.

لقد أبدع فناننا «الأمين عبداللطيف» في عطائه للشعب الإريترى وكذلك الفنان عثمان عبدالرحيم والفنان حسين محمد على والفنان «برخت منقتاب». ومن الصوت المخملى صوت الفنانة «طهيتو بزخى» هذا الصوت الشجي الذي أمتعنا كثيراً والفنان «يمانى باريا» والفنان الكبير «ود أمير» والفنان «عيسى عبدالله» والفنان الكبير «آتو إبرها» وغيرهم من الفنانين العظام الذين تغنوا عن الوطن في ربوع إريتريا منذ الخمسينيات والستينيات.

أما خارج الوطن الفنان «إدريس محمد على» الذي أبدع أغانياً كثيرة منها أغنية له بعد التحرير عنوانها: «مرعونا» والفنان «إبراهيم محمد على قورت» والفنان «حامد عبدالله» والفنان «ود جعيف» والفنان «موسى صالح».

ولقد ظهر بعد الاستقلال وفي أثناء التحرير الكثير من الفنانين والفنانات مثل الفنان أحمد ود شيخ وفاطمة إبراهيم والفنانة زينب بشير.

ومن الفرق الإريترية فرقة جبهة التحرير الإريترية وفرق الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا وفرقة قوات التحرير الشعبية. كل هذه الفرق كانت تضم فنانين وفنانات كبار حيث كانت تؤدي دوراً لا يستهان به في كل المحافل داخل الأراضي المحررة وخارج الوطن.

وقد شاركت هذه الفرق في العديد من المهرجانات العربية والإفريقية والعالمية، وقد أدت دوراً مشرفاً في مهرجان قرطاج الدولي بتونس، ومهرجان الشباب العالمي في قبرص.

وكان للعنصر النسائي دوره وحضوره الفعّال والمميز في هذه الفرقة وفي الثورة ككل... وكان أدائهم متميزاً مقارنة بالفرق الأخرى.

ونتوقع دائماً المزيد من الإبداع من كل الأخوة الفنانين الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نحضرنا أسماءهم وهم بلا شك فنانون كبار ولهم إسهاماتهم الإبداعية الفنية من الداخل والخارج وخاصة بعد الاستقلال.

وخلاصة القول : إن الفن الإريتري أخذ في التطور، بتطور العصر في استخدام الآلات الحديثة، مثل الجيتار . . والأرغون وأدوات الجاز .

وقد تأثر الفن في المناطق الغربية والشرقية بالهجرات المتواصلة من المناطق المجاورة، وتضم المنطقة الغربية شعوباً نيلية «النارا» و «البازا» هجرت موطنها منذ عهود سحيقة ولا تزال تمارس رقصات ذات إيقاع إفريقي يتسم بالعنف والحيوية . . والجمال، كما تشتهر قبائل بني عامر بألعاب الفروسية ورقصة الخيل، ومن أشهر رقصاتهم القفز العالى بالسيف والدرك، وهناك تشابه كبير في الرقصات بين مناطق المرتفعات والمنخفضات الإريترية مع اختلاف بسيط من حيث الأداء من رقصة إلى أخرى، كما أن هناك تشابهاً في الرقصات بين الساهو والعفر .

إن الثورة الإريترية بكافة فصائلها اهتمت ببعث الثقافة الوطنية والفنون الشعبية وتكوين الفرق الوطنية للفنون والتي ذاع صيتها بحيث كانت تحيي حفلاتها في العديد من البلدان العربية والأوروبية والأمريكية .

والفن كان ضرورياً للمعركة وهو الذي كان يعكس مد تطور ثورتنا، وعموماً فإن التراث الفني له روابط وصلات عميقة بالتراث الفني العربي والحضارة العربية التي تمتد جذورها في البيئة الإريترية ومناخ البلاد الثقافي مما يعطيه سماته الخاصة تتجلى في قصصات التيفري التي تشمل تراث قبائل بني عامر والمناطق الساحلية وسمهر .

الفن فى المعركة



معالى أحمد بن حامد وزير الإعلام والثقافة بدولة الامارات العربية المتحدة يستمع إلى شرح عثمان أبوبكر رئيس الوفد الإريتري عندما افتتح معالية

معرض الثورة الإريتريّة بالدوحة

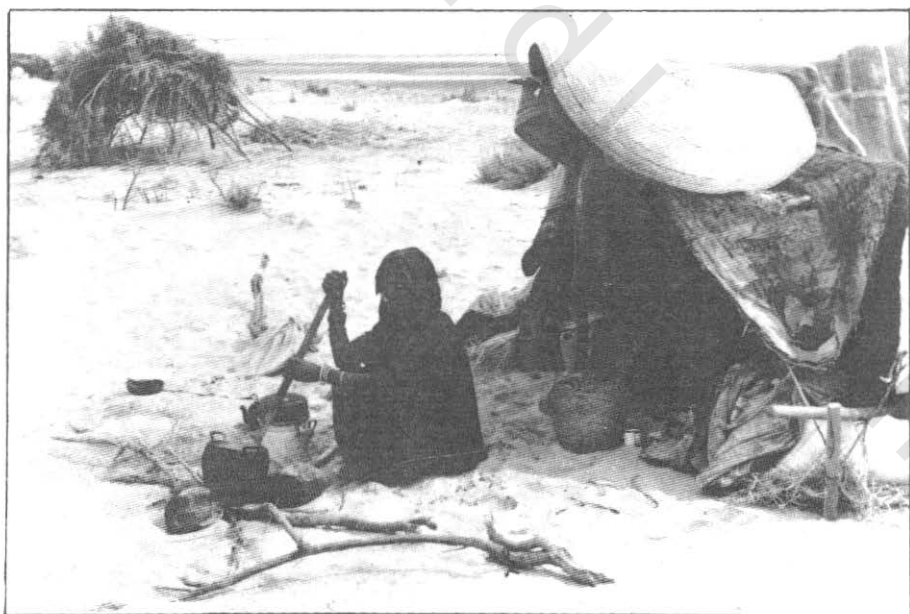


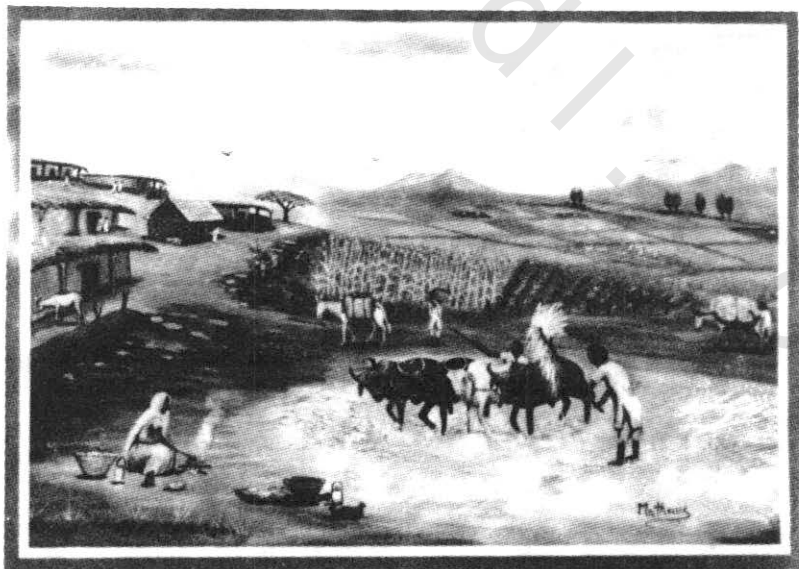
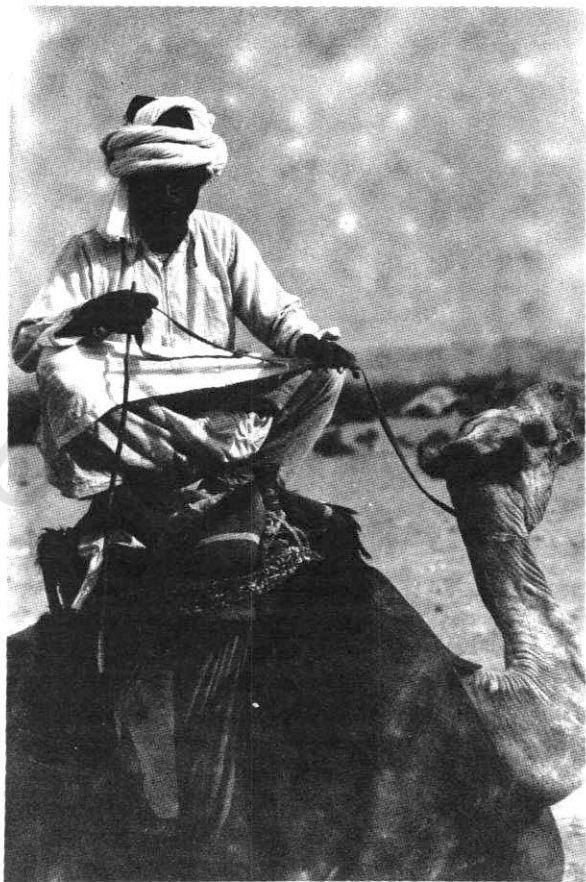


وزير الإعلام القطري يفتتح معرض الصور الفوتوغرافية للثورة الإريتيرية بالدوحة



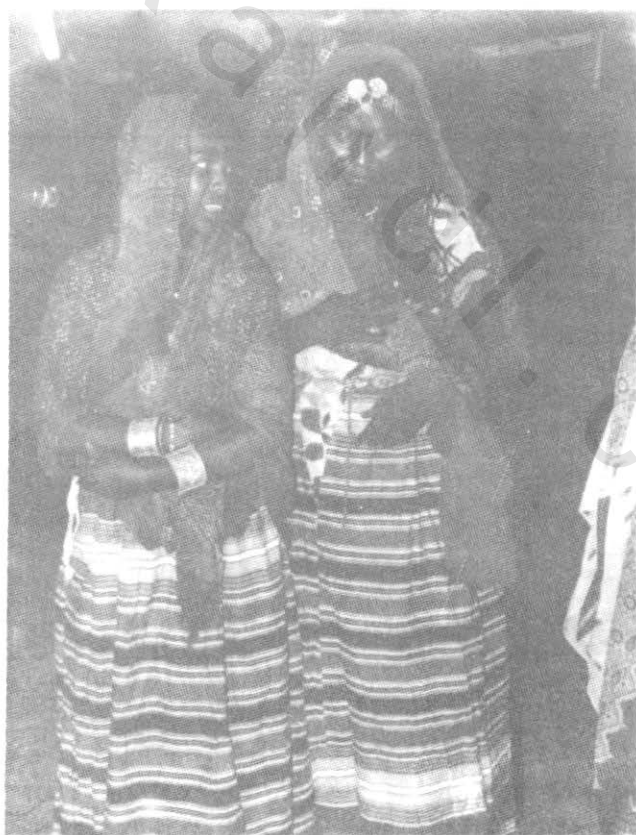














الفنان محمد باعيسى يغنى لإريتريا فى الاتحاد العام لطلبة إريتريا بالقاهرة فى احتفالات سبتمبر المحيدة
وحضر الحفل المناضل إدريس محمد آدم والمناضل آدم أحمد آدم بك



١٩٥٢ - ٤٦) جماهير الشعب في أسمرأ تحاول الحصول على نسخة من
(الجريدة الإاسبوعية) التي تصدر باللغة العربية
والتجريدية ، دلالة على إنتشار الوعي السياسي بين الجماهير في تلك الفترة المبكرة نسبياً .



• الفنان عثمان عبد الرحيم مع فرقة الفنون الشعبية

قضيّتي ليست أقاويل

آه من الألم الذي لا ينتهي
آه من الاقدار يا عمري
تغثال في احساسنا سحر الهوى
نحيا بلا فصل من الافراح والزهر
تحيا الآهات في المنفى
نمضي مع الأحزان والسفر

يا أيها اللص المغامر في بلدي

جنسيتي

ليست دما ... أو قطعة من الاوراق والحجر

تلقوها نحو النهر

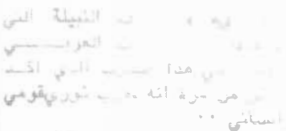
قضيّتي

ليست أقاويل من دجل

اسحابها كل الملايين التي تأبى الماس والذهب

شعر : احمد محمد سعد

1935-1936



• **وَكَمْ عَدَدُ أَعْضَاءِ الْفِرْقَةِ :**
- ثَلَاثُونَ شَاخِصًا. رَمَسَتْ فُتَيَاتٌ عَرَبِيَّاتٌ
عِنْدَ الْأَعْمِيَّةِ

● حسين عمران ●
تصوير : علي حنين عبدالرحيم

حين نصال الحرف الفني
تسلم عمر عبدالله عن المكان
تقدم فيه الفرقة عروضها ،
ة وان ارتياها تفيض تحت
الاستعمار الانجليزي ، ياتينا
ائب (نقمها بميدا عن
نوا الكاشفة والمصارح
بعة ، بعيدا عن الماعده
ة ومكثبات الهواء ١١
ضية الحرة من ارتيا هي

مصور :
محمود سوا الحلة

وراء الكاميرون

مصور :
محمود سوا الحلة



● " الشبح مع الإفراج من الاستقلال " : الضماني صور الكاميرون



● رئيس جبهة التحرير في أقصى جنوب مع الشعب الكاميرون



● معلمي احمد بن حنيفة وزير التعليم والتدريب محمد عثمان ابر بكر في جولة بالمدن

الفن في الحركة من خلال معرض ثيرة ارنيتيا

ولا كان معرض " ثيرة ارنيتيا " الذي كان المبرمج " احد الافرنجة في منزل المصطفى ، بعد كان هذا واضحا من خلال محتوياته ، التفتت والشرارات التي سبها المخرج باسم " جبهة التحرير ارنيتيا " ذات

ومن خلال هذه الفواك ستجسدي ارنيتيا ، معده جواند المبرسي ، الماثل محمد عثمان ابر بكر رئيس جبهة التحرير ، بعد الافرنجة التي سبها ارنيتيا تحت تابع مقابلة الشبح الكاميرون الكاميرون ارنيتيا من خلال الصور المروسة ، وبمضي اسبوعا في جولة المبرسي ، ياتي الصور التي يملكها رئيس جبهة التحرير الكاميرون الكاميرون الكاميرون في الكافاج التي الشبح في الكاميرون ، بعد سبها " الشبح مع الاستقلال " سبها في الاستقلال " سبها كمال نائل



● سبها المبرسي ياتسون المبرسي السبها

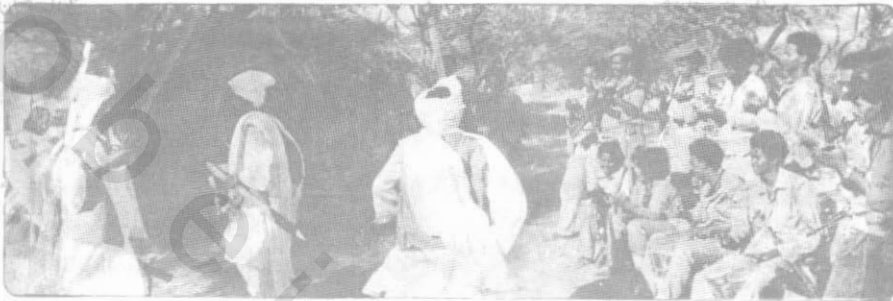


● " كلام ارنيتيا " : احد جوام جبهة التحرير ارنيتيا



ERITREAN EXHIBITION OPENS





إلقاء التدريب - التجهيز برصاص والمناوشة يصفون

فرقة لفنون شعبية الأتيرية... لأول مرة في الإمارات مطربات ورقاصات الفرقة.. يشاركن في القتال ضد أشيوسا



استعراض للفرقة بالجهاز



سعدية المطرية الأولى
من الخرجات الخانات

فرقة الفنون الشعبية الأتيرية...
فرقة الثورة الأتيرية...
ومدني خاص...
أوجدها ورعبا في العالم التي
بسم إمراده وفهم بين الفناء
والقتال.

أدريس يقضي يومها التجهيز للفرقة في الرقص

بناء على دعوة من مدني لمحمد حامد وزير الإعلام والنقل
لصل في الأيام الطويلة القادمة لفرقة الفنون الشعبية الأتيرية... وهي
فرقة ثنائية وأصغر تضم ٢٢ من طائفي جبهة تحرير لوثيريا فوت
التحرير الشعبية
وتشارك الفرقة في الاحتفالات
الكبرى التي تقام يوم ٢ ديسمبر
بمناسبة العيد الوطني لمؤسسة
الإمارات العربية المتحدة.

وبرأس الفرقة الأتيرية أمريس
محمد وهو مطرب ومطرب في نفس
الوقت وله مجموعة كبيرة من
الأغاني الوطنية نذاع من أذاعة
الثورة الأتيرية في الخرطوم
كما قامت بعض الإذاعات العربية
بتسجيل إثنان له.

الموسيقى الأتيرية

ومحاربة الفرقة الأولى سعيدة
التي تمتلك هويتا قويا لا تتكسر
من فيمنه مئة ثلاثة وإن كانت
تعيد... وصيغة مثلها على جميع
أعضاء الفرقة يشارك في المقتات
وقد جرت الأمر وتعرضت أكثر
من مرة للاستهداف.

وعلم الفرقة بإدارة أكثر من
سبع رقصات شعبية أتيرية... وهي
لدا في الأتيرية رقصاتها بالزي
العسكري الوند والكتان الكوفي في
أيدي الرقص.

وما إن تبدأ الفرقة في الرقص

واغنى للوطن

وطنى!
تفتنى الاحلام والاشواق
يدغدغنى البحث عن ذاتى
فيك وفي الافاق
موزع انا
بين بكائية الفراق
وحتمية العناق
وطنى

انهكنى التمنى
يا جسد رجل
يلمهد طفل
لم ينتهى المسير
يا لرضاء الدوم، القلى
والطفل الاحمر
يا وجه امرأة اسمر
وطنى

احبك اكثر من الحب الاول
لانك الاجمل
ولان خطاى الموصولة سملك لن تتحول
ولانك علمتني كيف يكون الحب
لن احلم
وطنى احبك
يكبر لي الحب والحنن
وتكبر الاحلام
تجاوزني اشياؤك صمنا
كاطفال يتلسمون الامومة
والحرب ولا سلام
كلنا نرين يمتلكن الخنق والليل
والوطن
لن احلم.. لن احلم

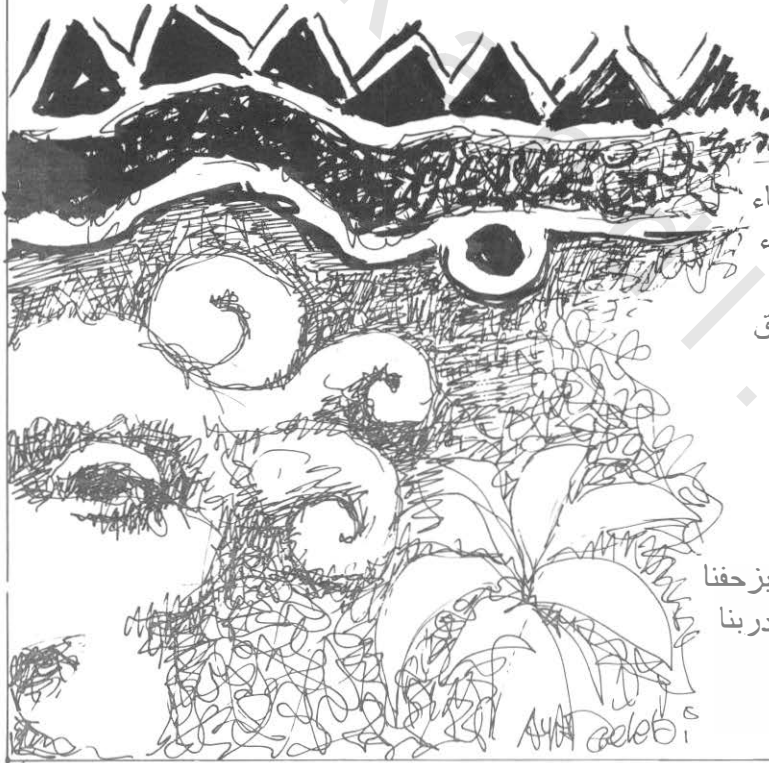
آمال على محمد صالح

اهجر منك.. اليك
غريبا فيك وفي سفرى
وحيداً
لم تعد لي لعبي
لم يعد لي قهرى
خبا الاطفال عني تمنهم
ولم يبق ما اخليه على صدرى
سوى ذكرى نفى
ووداع الرمل والاحجار والشجر
لم يبق ما اخليه على صدرى
سوى ناري
وطنى

نشيد الارض

(شعر : أحمد سعد)

آه من المنفى ومن تعب الرحيل بلا قرار
آه من الظلم الذي غلب الفيافي الى غفار
فمتى يطل صباحنا
ومتى ترد حقوقنا
ونعود من فرح الصغار
إلى الديار
ونقبل الأرض التي
قد ارتوت بدمائنا
ونضمها لقلوبنا
هي أمنا
وهي أرضنا
سكب الشباب لها الدماء
صار الرجال لها الفداء
من أجلها
عبروا المشانق والحريق
سقوا الطريق
يا أرضنا
لك حبنا
أنت السنا
أنت المنى
لولاك ما هتف النشيد بزحفنا
لولاك ما لاح الشعاع بدربنا



الارتيريون

في أغوردات يفتون :
طال الفراق يا أسهرة



ارتيريا :

هذه الصورة من أغوردات آخر المدن الارتيرية المحررة .
والتي اسقطتها قوات مشتركة من المجلس الثوري وقوات
التحرير الشعبية .

دفعنا لها أعلى الثمن
ارتيريا بلدي
اسقيها من دمي
جرب اثيوبيا أمامي
لا أوليتها قطهري
نحن لانقرط في ارتيريا

والصورة لحفل توديع قوات
التنظيم من التي تحاصر الآن
مدينة بارتو القريبة من
اسمر .

وتنادي سعيدة ارتيريا
في أغانيها باسماء كثير
فتارة فاطمة ، وتارة خضرة
تقول :

ابشري بالخير يا خضرة
املنا كبير في التحرير
وعندما يشتد الحماس نطلق
سعيدة تفتي :

طال الفراق يا اسمره

وعاندون الى روايك الخضر
من يدري فالقوات المشتركة
التي تحاصر بارتو الان قد
تجمع حول اسمره في القريب

وفريق الغناء في الصورة
يتبع قوات التحرير الشعبية
وسعيدة التي تغني وترقص
هي واحدة من المقاتلات
الارتيريات اللاتي يعشن في
معسكر خاص بهن . وقد
شاركت سعيدة في معارك
اغوردات . فالفريق الفني
يمارس حياة المقاتل طوال
اليوم ولايسمح له بممارسة
الفن الا في المساء حيث
يتحلق المقاتلون حوله في حفل
سمر وتغني سعيدة

ارتيريا جوهرة
جميل لونها
الكبير والصغير
خرج من اجلها

حركة شعبية في فطر لصالح الثورة الأبرية

تدبير الأسبوع النفا في الأبرية في الدومنة

الدوحة من هوائل الوحدة - نجح أسبوع أوقريا فسر قطر - لاق قدر معالي المبريد عيسى الكواري ولذين الإعلام القفري أن يملك تفسيغا على ما اخبر - يفهم الإسبوع نشاغات موعة - فالي جاني معرفن الفنان المصري شوقي مصطفى عن الثورة الأبرية استجل الأبريون التي عسة السبعة في معرض التتبع الأبري لخصر في تلك سيمائين كل ليلة - فليسوا إلا في الحفلة - الفلم الأول يخال في انتاج التتبعين المصري - ويعرض تسيار في الثورة - ملك كانت مستعدة عمانية حتى الآن والفلم الثاني انتاج مصري - عسة - من الأبريين وكلا اللذين تم تصويرهما داخل الأبري الأبرية المعرة

وكان التتبعين المقصود قد اذاع ليلة الفتح - من سبتمبر - مشاغات من الفيلم الأول بعامية تكري انقلاب الثورة الأبرية في مثل تلك الليلة مثل ستة عشر عاما - وقد قرر معالي المبريد - الكواري وزير الإعلام - عرض الفيلم كاملا في التتبعين كما قرر ايضا عرض الفيلم الثاني وبسبب في مثل جميع ترمات الوطنيين لدعم الثورة الأبرية - وبسبب التتبعين المقصود ان يعلقوا للمعرض حركة الأبرية وقد اتى مساحة على العمل بياض في التتبعين ان يعلقوا للمعرض حركة الأبرية وقد ويدي الأبريون ان يعلقوا بياضهم الى دولة الإسارات المصرية - فومية - اسرار معالي



من الأدب الثوري الأثري

رحلة الشتاء

«صالح»

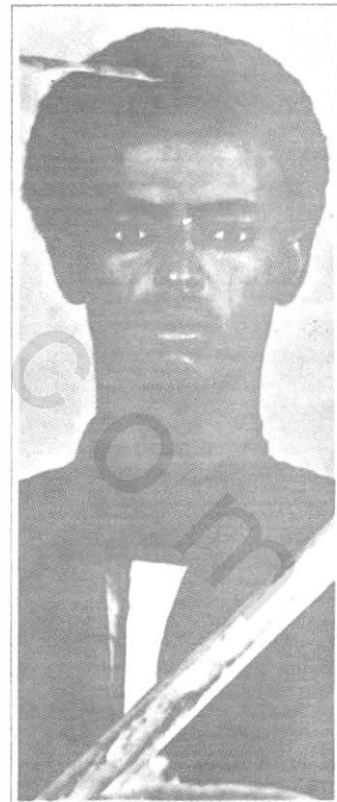
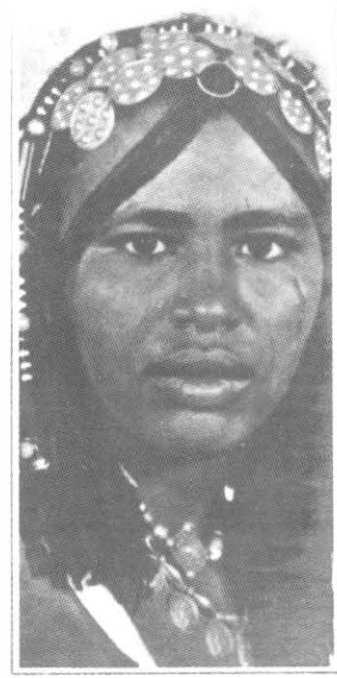
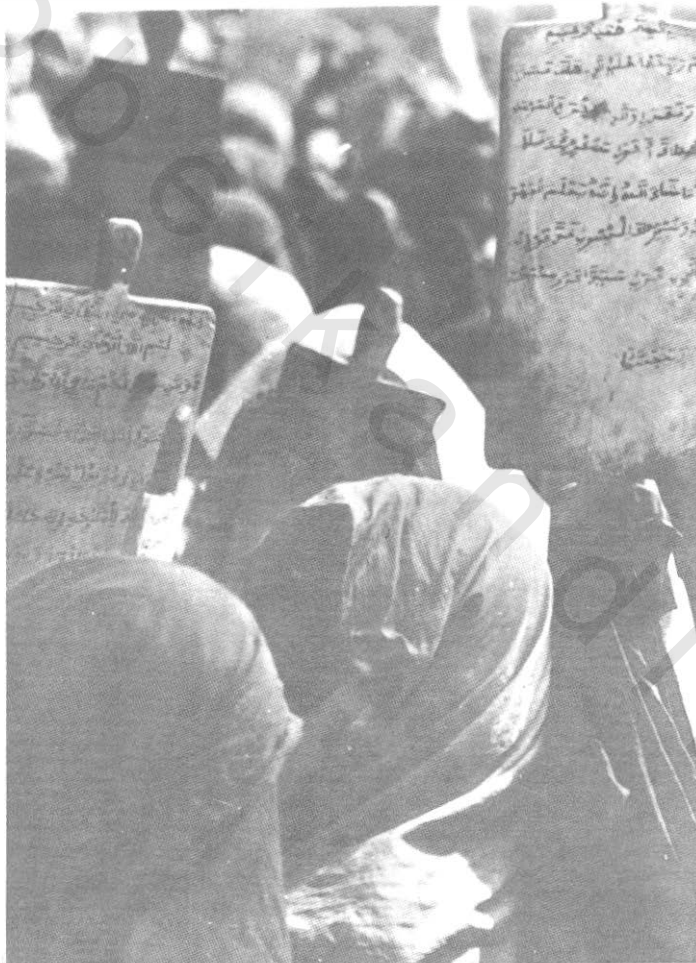
محمد سعيد نادر

محمد سعيد نادر

رحلة الشتاء وصالح









الخاتمة

كلمة لا بد منها

ماذا تعنى اللغة العربية بالنسبة للشعب الإريتري بعد الاستقلال .

كما هو معروف فإن اللغة هي إحدى ركائز ومرتكزات الأمة وذاكرتها . . وشيء فظيع جداً وغير محتمل أن يفقد المرء ذاكرته . أما أن تفقد أمة ذاكرتها فهذا شيء وراء حدود التصور . . وكما هو معروف أن عوامل التاريخ قبل الجغرافيا هي التي شكلت إريتريا وأعطتها خصوصيتها الحضارية والثقافية . واللغة عامل مهم جداً وأساسى من عوامل وحدة الأمة وتقدم الشعب ثقافياً وتعليمياً وحضارياً حتى تستطيع هذه الأمة أن تحتل مكانتها فى الخارطة السياسية والثقافية العالمية فى ظل انهيار المعسكر الشرقى ونشر النظام العالمى الحديد وفى ظل التطور الهائل الذى شهدته الدول الكبرى فى القدرات الإنتاجية والاقتصادية والإعلامية بصورة تمكننا من القول بأننا نعيش فى عصر التأثير والتأثير بعد أن أضحى العالم برمته عبارة عن قرية صغيرة ، وقد أدرك شعبنا هذه الحقيقة وأقرها فى أول حياة سياسية مارسها . وقد كانت اللغة من أهم القضايا التى واجهت الإريتريين ، ونوقشت فى داخل أروقة البرلمان الإريتري لمدة ٣٨ يوماً إلى أن تم إقرار اللغتين العربية والتجريدية لغتين رسميتين لإريتريا ، وذلك لم يكن إلا من قبيل إقرار الواقع الثقافى والحضارى والتاريخى لشعبنا ، ليس فقط بسبب الدماء العربية الجارية فى عروق الإريتريين فذلك تراث مشترك لكل شعوب المنطقة التى تكونت عبر تزاوجات تاريخية بين العناصر الحامية والسامية ، والإقرار بأهمية هذا البعد الثقافى والحضارى لشعبنا شيء مهم ولا بد منه كبديل

للقفز فوق حقائق التاريخ والجغرافيا وما أفرزته القرون ، كما أن اللغة العربية تمثل قاسماً ثقافياً مشتركاً بين فئات الشعب الإريتري ومن خلالها يستطيع شعبنا أن يحقق العديد من المكاسب باعتبارها ثالث لغة في العالم وأول لغة في المنطقة العربية المحيطة بإريتريا ، فضلاً عن أن العالم يتوقع بصورة كبيرة جداً ، والانفتاح على الآخرين والارتباط الثقافي بهم غداً من الآليات الرئيسة والحاسمة لإقامة علاقات سياسية واقتصادية فضلاً عن العلاقات الثقافية التي لا تتم إلا من خلال وحدة الثقافة والأهداف والمشاعر ، وكل هذه تحققها اللغة المشتركة . واللغة العربية بصورة خاصة لها مكانة عميقة جداً في وجدان الإنسان الإريتري وهي إحدى ركائزه الثقافية وديمومة وجوده الحضاري ، وبها ومن خلالها تتشكل شخصيته ثقافياً ، ومن خلالها أيضاً يحدد علاقاته بمحيطه الاجتماعي في إطار الوطن الواحد تحت شعار الوحدة من التباين الثقافي والعرقي واللغوي ولما لشعبنا من مصلحة حقيقية ثقافياً واستراتيجياً في اللغة العربية خاصة ، وأية لغة أخرى تدعو إليها الحاجة لا بد من إعطاء اللغة العربية هامشاً أكبر في عموم الوطن وفي كل مرافق الدولة وأوجه الحياة جنباً إلى جنب مع اللغة التجريدية ، ولحساسية شعبنا البالغة تجاه هذه المسألة ينبغي الاعتراف عملياً باللغتين والعمل على وجودهما بصورة متكافئة في كل مرافق الدولة وفي الحياة اليومية لكون اللغتين تشكّلان أداة التعبير والمخاطبة بين أفراد الشعب الإريتري الواحد وفي الوقت ذاته أداة للتواصل الثقافي على مستوى الوطن مع الاحتفاظ باللهجات الأخرى لإثراء التجربة الإريتريّة من التراث الموروث لمختلف اللهجات الإريتريّة .

وانطلاقاً من تلك الحقيقة التاريخية والثقافية والحضارية تعتبر اللغتان العربية والتجريدية لغتي إريتريا الدولة ، ولا بد من إقرارهما في الدستور الإريتري المعد ، وكما هو مفهوم لدى الجميع فإن اللغة تعني الهوية والانتماء ، ومن غير المعقول أن لا تكون لنا الهوية والانتماء وهذا يختلف مع منطق التاريخ والواقع .

ومن المعروف أيضاً ، والثابت تاريخياً ، أن اللغة العربية ليس لها مدلول عرقي وخاصة بعد ظهور الإسلام والشعوب التي اكتسبت صفة العروبة بعد الإسلام بالمولد أو بالتمثل بالثقافة العربية ، وهذا المفهوم لا يستند على أساس عرقي بل يعتمد على أساس ثقافي وهو الذي وسع معنى العروبة .

وقد تأكد هذا المفهوم الجديد بعد ظهور الإسلام وخروج العرب من حدود بلادهم التقليدية ، واختلاطهم بالشعوب التي خضعت للنفوذ الإسلامى مما عرّب تلك الشعوب فتمثلت فى الثقافة العربية الإسلامية ؛ لأن الثقافة العربية والإسلامية توأمان ، متلازمان ليس هناك أى فرق بينهما بل نستطيع أن نقول إنهم جزء لا يتجزأ مكمل لبعض . فهؤلاء المستعربون الجدد لم يكونوا عرباً بالمفهوم العرفى البحت ، وإنما عرب بالمولد وعرب بالثقافة وعرب باللغة وبالانتماء والوجدان ^(١) .

والمهم فى الأمر أن المفهوم الثقافى للعروبة يتفق مع نظرة الإسلام الذى ساوى بين الجميع . وخير ما يؤكد هذا ما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه ابن عساكر بسنده إلى مالك بن أنس عن الظهري عن ابن سلكة بن عبد الرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطة إلى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى) . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل . . . يعنى (النبى - صلى الله عليه وسلم) فما بال هؤلاء ؟ » .

فقام إليه معاذ فأخذ بتلايبه حتى أتى به إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بمقالته . . فقام مقتضياً يجرد رداءه حتى دخل المسجد ، ثم نودى الصلاة جامعة . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (يا أيها الناس إن الرب واحد وإن الأبأب واحد وإن الدين دين واحد ألا وإن العروبة ليست لكم بأب ولا أم وإنما هى لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربية ، فقال معاذ وهو أخذ بتلايبه . . ما تقول فى هذا المنافق ؟ فقال : « ضعه إلى النار » فقال فكان من ارتد فقتل من الردة » ^(٢) .

وخلاصة القول : كما هو معروف أن اللغة هى الأداة الأولى للتعبير عن الثقافة المشتركة وهى التى تحفظ تراث الأجداد وتنقله إلى الأبناء والأحفاد ، فضلاً عن دورها فى غزو المستقبل ، وخاصة فى هذه العصور الحديثة التى تحتاج فيها الأمة إلى التفكير الدائم فى ماضيها وحاضرها ، وإلى لغة حية غنية مرنة تستوعب علوم العصر وتجارب الأمم المتقدمة . وهذا يتوفر فى اللغة العربية بالنسبة إلى إريتريا . لأن الناس فى حاجة إلى اللغة ، لأنهم فى

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٢٩٢

(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية تونس ،

١٩٨٥ ، ص ٣٨

حاجة إلى الاجتماع والتفاهم والترابط. والتعبير عن ذوات أنفسهم والاعتزاز بماضيهم وضمنان مستقبلهم مع جعل اللغة التجريبية ترواًماً للغة العربية فى البلاد . وأثبت التاريخ أن اللغة العربية لغة حية تستطيع أن تلبى حاجتنا كلها كما كان فى الماضى القريب (١) .

وقد يظن بعض الناس أن المطالبة باللغة العربية نوع من الدفاع عن النفس باعتبارى أحد الذين درسوا فى الدول العربية بهذه اللغة وتعد ثقافتهم الأساسية أو التقرب والتماق للعرب أو الولاء الشخصى كوسيلة لكسب الرزق ، إن بعض الظن إثم فليست غيرتنا على اللغة العربية والعروبة شيئاً من هذا كما يتوهم البعض ، وأن الخوف على مصير اللغة العربية فى إريتريا ليس خوفاً على مصير شخصى وإنما هو خوف على مصير جماعى أو قومى .

فاللغة عموماً هى ذاكرة الأمة ، بل هى قلبها الذى تشعر به وتفكر وتخيّل من خلاله ، واللغة ليست حافظة ذكريات فحسب ، بل هى وسيلتنا الأولى للتصور والتخيّل والتفكير فى الحاضر والمستقبل . ومن هنا جاء اهتمامنا بها ، ومن حق الجميع فى المطالبة بالحقوق الثقافية على قدم المساواة مع الآخرين دون أن يكون لجماعة ما أفضلية على غيرها .

فالتمتع بهذا حق داخل إطار الدولة بالطرق السلمية والديمقراطية . لأن مفهوم الثقافة فى القرن العشرين اتسع ليشمل معظم جوانب الحياة الفكرية والروحية والاجتماعية . وكثيراً من الجوانب المادية .

وأصبح تعريف الثقافة فى معظم دوائر المعارف الكبرى بلغاتها المختلفة ، إنها أسلوب الحياة السائد فى أى مجتمع بشرى . الثقافة هى التى تميز المجتمعات البشرية عن التجمعات الحيوانية ؛ ولهذا فهى تمثل عملية تنمية عامة على المستوى الفكرى والروحى والجمالى ؛ لتعكس فى النهاية حياة الشعوب (٢) .

ومن خلال هذا التعريف الواسع لمفهوم الثقافة الذى ساد هذا القرن كله * أصبحت الثقافة تمثل حياة المجتمع ومستوى تطوره ونموه وانطلاقه . وفى ظل هذه المفاهيم المعاصرة للثقافة أصبح تراث الأمة جانباً مهماً من جانب مكوناتها بما فى ذلك التاريخ بكل

(١) أحمد عبدالمعطى حجازى : مقال بعنوان ماذا نريد من اللغة ، القاهرة ، يونيو ١٩٩٦ ، ص ١٨

(٢) فاروق جويده : ما هى الثقافة : جريدة الأهرام : ١٥ ديسمبر ١٩٩٦

رموزه المعنوية والمادية . . هذا إذا كان تاريخ الشعب مجموعة من الأحداث والشخصيات والمواقف التي تمثل ذاكرة الأمة وضميرها وماضيها الحى . . ولهذا فإن أى اعتداء على قدسية التاريخ هو انتهاك لثقافة الشعب، واعتداء على ذاكرته، وهذا شيء فظيع فوق الاحتمال .

ومهما كانت المبررات فعلى المثقفين من أبناء وطننا بحاجة إلى انتفاضة علمية توقظهم من الجمود وتحركهم صوب المشاركة الجادة فى القضايا الإنسانية والعلمية الراهنة، حتى يستوى الناس جميعاً على الجادة ولا يستغل بعضهم بعضاً تحت أى زعم، أو مبرر، دون سند من قيم الحق أو العدل، بل هى المصلحة العاجلة، وازدراء البشر، وقسوة القلوب^(١)

وقوله تعالى :
وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرَجُوا بِمَاءٍ أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

والله المستعان والهادى إلى سواء السبيل .

واللغة العربية فى إريتريا واحدة من الثوابت الوطنية التى لا قيمة لاستقلال إريتريا بدونها ؛ فتهميشها ليس من مصلحة أحد، بل تعد قبلة موقوتة أو «الغم» قابل للانفجار فى أى وقت ؛ ولذلك لابد للدولة والمسئولين عن النظام من تجنب هذا الانفجار ، فالانتماءات والولاءات الثقافية موجودة بغض النظر عن المطالب بشأنها ؛ فهى أردنا أم لم نرد، تظل واقعا مرتبطا بالإنسان ورؤيته لنفسه والعالم من حوله .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُوْتِ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَنَزَعَ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ وَنَذَلُ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾

(١) السيد فيفل (دكتور) : نظام الحكم العنصرى فى جنوب إفريقيا ١٨٠٦ - ١٩١٠

(٢) قرآن كريم : سورة الأنعام ، الآيات ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

(٣) قرآن كريم : سورة آل عمران : آية ٢٦

obeikandi.com

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - ابن هشام : سيرة الرسول .
- ٣ - الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك .
- ٤ - دستور إريتريا : أعده مندوب الأمم المتحدة وفقا لنصوص المادة ١٢ من قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ديسمبر ١٩٥٠ .
- ٥ - جبهة التحرير الإريترية ، التنظيم الموحد : مهام نضالية مستمرة التوجيه المعنوى .
- ٦ - جبهة التحرر الإريترية - قوات التحرير الشعبية : مشروع الدستور والنظام الداخلى والبرنامج السياسى والعملى ، المادة الرابعة .
- ٧ - رينيه باسيه : النقوش الكتابية فى جزيرة دهلك ، ترجمة ونشر البعثة الخارجية لجبهة التحرير الإريترية ، سنة ١٩٧٧ .
- ٨ - جثمان جسلو : كتاب غرائب إثيوبيا .
- ٩ - اسبسنر ترمينجهان : الإسلام فى إثيوبيا .
- ١٠ - السنيور فيتا : مدير المعارف فى إريتريا عام ١٩٣٨ ، الإرشادات السرية لنظام المدارس الابتدائية ، ترجمة جبهة التحرير الإريترية .
- ١١ - محمد عثمان أبو بكر : مذكرة قدمت إلى رئيس وأعضاء المفوضية الإريترية عام ١٩٣٥ وهى عبارة عن مقترحات وآراء حول الدستور الإريترى الجديد مؤكدة فيها

الثوابت الوطنية وأهمها اللغة العربية .

١٢ - عبده بدوى (دكتور) : دراسات فى الآثار الإفريقية فى الحياة العربية القديمة .

١٣ - رجب محمد عبدالحليم (دكتور) : بحث نشر فى ندوة اللغة العربية عن شرق إفريقيا بعنوان : « الخلفية التاريخية للغة العربية فى شرق إفريقيا » بجامعة القاهرة ، والتي أقامها مركز تعليم اللغة العربية للأفارقة ، بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٩٦ .

١٤ - راجية محمد عفت (دكتورة) : اللغة العربية فى تنزانيا ، بحث القته فى الندوة المذكورة أعلاه .

١٥ - عبدالله نجب محمد (دكتور) : بحث القى فى الندوة الدولية للقرن الإفريقى ، الصراع الثقافى فى القرن الإفريقى بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ٥ - ١٠ يناير ١٩٨٥ ، القاهرة .

١٦ - حسن بن أحمد : سيرة الحبشة عام ١٦٦٥ م .

١٧ - كتاب قانون الملك : الفه مهاجر قبلى من مصر ، ومعظمه من الفقه الإسلامى ومن القوانين المصرية .

١٨ - عبدالله نجيب (دكتور) : مذكرة عن الأدب السواحلى وتأثيره على العرب .

ثانياً : المراجع :

١ - عثمان صالح سبى : جغرافية إريتريا ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٢ - محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر أرضاً وشعباً ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٣ - يوسف حسن (دكتور) : تبادل التأثير الثقافى بين الحجاز واليمن ومصر من

جهة وبين وسط وشمال إفريقيا «إثيوبيا - إريتريا - وادي النيل - أوغندا من جهة أخرى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٥ .

٤ - محمد عبدالغنى سعودى (دكتور) : العلاقات العربية الإفريقية، القاهرة، ١٩٧٨ .

٥ - عبدالمجيد عابدين : بين الحبشة والعرب .

٦ - السيد رجب حراز (دكتور) : إريتريا الحديثة .

٧ - نبيلة عمر الحاج إدريس : موجز عن التعليم والإسلام والاقتصاد فى إريتريا ، ١٤١٥هـ .

٨ - عبدالبارى عبدالرزاق النجم : إريتريا شعباً وكفاحاً ، بغداد ١٩٧١ .

٩ - محمد عثمان على خير : إريتريا الصراع بين مشروع التجرانية وانتمائها العربى ، جدة ١٩٩٤ .

١٠ - جون جنتر : داخل إفريقيا .

١١ - حامد صالح تركى : إريتريا والتحديات العصرية .

١٢ - عبدالقادر مقوص محمد الجبرتى : المفتى إبراهيم المختار ، تحدى مواقف .

١٣ - محمد عدنان سالم : الكتاب العرب وتحديات الثقافة ، دار الفكر المعاصر بيروت ١٩٩٦ .

١٤ - جمعية المعلمين الإريتريين : ترانيم ثورية من إريتريا .

١٥ - ج . س . تريفاسكس : إريتريا فى مرحلة الانتقال ١٩٤١ - ١٩٥٢ م

ترجمة جوزيف صفيير ، عام ١٩٦٠ ، دار المسيرة ، بيروت .

١٦ - الاتحاد العام لطلبة إريتريا : دراسة تاريخية عن الثورة الإريترية .

١٧ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية ، تونس ، ١٩٨٥ .

١٨ - السيد على أحمد فليفل (دكتور) : نظام الحكم العنصرى فى جنوب إفريقيا ، القاهرة ١٩٩٠ .

ثالثاً: الدوريات :

١ - أحمد يوسف القرع : جريدة الأهرام ، ٩ مايو ١٩٩٦ ، القاهرة .

٢ - عونى شريف : مجلة الدراسات السودانية .

٣ - محمد على : معلومات تاريخية عن جزيرة دهلك الإريترية ، جريدة الوثبة .

٤ - حبشى ردى : حوار مع السيد عمر محمد برج ، جريدة العهد ، ٩ فبراير ١٩٨٨ .

٥ - عبدالله الرفاعى (دكتور) : حوار مع الرئيس أسياىس أفورقى ، رئيس دولة إريتريا ، فى جريدة «الملمون» الجمعة ١٨ رجب ١٤١٧هـ / ٢٩ نوفمبر ١٩٩٦ ، جدة ، العدد ٦١٧ .

٦ - أحمد البغدادى (دكتور) : مفهوم الثقافة ، مجلة عالم الفكر ، ابريل - يونيو ١٩٩٦ .

٧ - عبدالرحيم إبراهيم عمر : مقال بعنوان : إريتريا عربية ملمة ، جريدة «الملمون» ، العدد - ٤٦٠ ، ٢٦ / ١١ / ١٩٩٣ .

٨ - رضا السماك : إريتريا والجامعة العربية، جريدة الخليج ، العدد ٥٢٨٠ ،
الشارقة، ١٩٩٣ .

٩ - حسن البطل : مقال بعنوان : إريتريا بعد الاستقلال، لغة المصالح تحكم
العلاقات الخارجية ، جريدة الوفد ، القاهرة ، ١٩/٧/١٩٩٣ .

١٠ - نوراي أبو خليل : اللغة العربية وموقفها من نضال الشعب الإريتري، جريدة
الشرق الأوسط ، العدد ٣٤٢٧ ، طبعة جدة ، ١٦/٤/١٩٨٨ .

١١ - مجلة الثورة الإريتريّة : بيروت ١٩٨١ ، العدد ١٦٩ .

١٢ - عبدالباري عطوف : ولادة شباب للأدب الإريتري ، جريدة المدينة ،
١٩٨١/٣/٤ .

١٣ - جريدة العرب ، ٢٤/١١/١٩٨٦ .

١٤ - أحمد عبدالمعطي حجازي : مقال بعنوان : ماذا نريد من اللغة العربية ،
القاهرة، الأهرام ١٩٩٦ .

١٥ - محمد طه توكل : حوار مع وزير التعليم الإريتري في أسمرا ، جريدة الشرق .

الفهرس

٥	إهداء
٧	تقديم
١٣	المقدمة
(٣٥ - ٢١)	الفصل التمهيدي
٢٣	الموقع الجغرافي
٢٥	العلاقات التاريخية والحضارية بين الجزيرة العربية ومنطقة القرن الإفريقي
٢٩	التأثير الثقافي بين الحبشة والجزيرة العربية
(٦٢ - ٣٧)	الفصل الأول
	الخلفية التاريخية وحقيقة الصراع الثقافي في منطقة القرن الإفريقي عبر العصور المختلفة
٤٠	لمحة تاريخية
٤٦	الخلفية التاريخية قبل الصراع
٥٠	الصراع الثقافي في مختلف العصور القديمة والحديثة
(١٠١ - ٦٣)	الفصل الثاني
	اللغة العربية وتأثيرها في السكان الإريتريين
٦٥	الهضبة الإريترية وتأثيرها بالثقافة العربية
٨٩	تأثير الثقافة العربية الإسلامية
٩٨	اللغة العربية وتأثيرها على اللهجات المحلية
(١٣٧ - ١٠٣)	الفصل الثالث
	حذور الثقافة العربية في إريتريا.
١٠٩	الثقافة واللغة العربية قبل ظهور الاستعمار الأوروبي في إريتريا
١١٧	الثقافة والتعليم في ظل الاستعمار الإيطالي
١١٩	الثقافة والتعليم في فترة نمو الحركة الوطنية في إريتريا عام ١٩٤١

١٣٩ - ١٥١	الفصل الرابع
	العلاقات التاريخية بين العرب وإريتريا
١٤٠	إريتريا وانتمائها التاريخي للعرب ثقافياً وجغرافياً
	موقف الدول العربية من القضية الإريترية عموماً والعلاقات العربية الإريترية بصفة خاصة
١٤٤	
١٤٩	اللغة العربية موقعها من نضال الشعب الإريترى
١٥٣ - ١٧٦	الفصل الخامس
	اللغة العربية من الاحتلال الإثيوبى حتى الثورة
١٥٤	الثقافة والتعليم فى عهد الحكومة الفيدرالية
١٥٧	الثقافة والتعليم فى عهد الاحتلال الإثيوبى
١٥٩	الثقافة العربية عموماً
١٦١	التعليم والثقافة فى عهد الثورة الإريترية
١٦٣	دور الفصائل الإريترية فى التعليم والثورة
١٧٠	دور الفصائل الإريترية فى الثقافة العربية والإعلام
١٧٧ - ٢٤٢	الفصل السادس
	الأدب الشعبى الإريترى وتأثره باللغة العربية
١٧٩	الأدب الشعبى فى إريتريا
١٨٥	الأدب فى عهد الثورة
٢١٠	تطور الفنون الإريترية
٢١٨	الفن فى المعركة من خلال معارض الثورة الإريترية بالصور
٢٤٣	الخاتمة
٢٤٩	أهم المصادر والمراجع
٢٥٤	الفهرس

الناشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

تصويبات الغلطات المطبعية

=====

رقم الصفحة	الكلمة الخطأ	الكلمة الصحيحة
٤٢	تاود	تاود
٤٢	الانثيوبية	الإريتريّة
٤٤	باخع	باضع
٥١	اروسو	اروموا
٥٣	ادوليب	ادوليس
٨٥	جامع اغردات	جامع الخلفاء الراشدين باسمرة
٨٩	المنيلادى	الميلادى
٩٠	الكابية	الكتابية
٩٥	البلىى	البلىنى
٩٩	طفارة	ظفار
١١٩	مجر	محبر
١٢٢	احدوباي	اقدوباي
١٢٥	يورى	بورى
١٢٥	مهمر	سمهر
١٢٨	حوك	جوك

obeikandi.com